



شرح مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

من الدرس ١ إلى الدرس ٣

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

١٤٤٠/٠٧/٠٨ هـ

الدرس الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فإن معرفة المسلم بالشر وأمور الجاهلية من أجل أن يحذر ذلك ويتجنبه ويُحذّر إخوانه المسلمين منه مطلبٌ عظيم جداً ، وكثيرٌ من الناس إنما أُتي حيث وقع في الجهل والضلال والباطل بسبب عدم معرفته بالشر ووسائله وأسبابه ، ولهذا قيل قديماً : «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي» الذي لا يعرف الشر كيف يتقيه! ولهذا جاء في صحيح البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني» ، وأهل العلم يقولون: «إن في تعريف الشر تحذيراً من باطله» ، وهذه فائدة عظيمة ؛ إن في تعريف الشر تحذيراً من باطله ؛ أي إذا عرف المسلم الشر وعرف خطورته وعرف أضراره عليه في الدنيا والآخرة فإن هذا أعظم عونٍ له بعد الله عز وجل على توقي الشر والحذر منه . ولهذا -أيها الأخوة الكرام- كما أن المسلم مطالب بمعرفة الخير ليفعله فإنه في الوقت نفسه مطالب بمعرفة الشر ليتقيه ، وكما أن كتاب ربنا عز وجل بيّن لنا الخير لنفعله أيضاً بيّن لنا الشر لنجتنبه ، وهكذا سنة نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، بيّن لنا جلّ وعلا الشر وبيّن لنا صفات أهل الشر ولنتقي أهلهم ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] أي: لتتضح للناس فيحذروها ويتقوها ويتقوا أعمالهم وخصالهم وصفاتهم، ولهذا أيضاً قيل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه فإن من لم يعرف الشر من الناس يقع فيه

الذي لا يعرف الشر ربما وقع في الشر من حيث ظنه حقاً وهدى . وعندما تضعف معرفة الناس بالشر ووسائله وأسبابه ربما وقعوا في صور كثيرة منه وهم يظنون أنهم لم يقعوا في الشر بعد ، بل إن الأمور ربما اشتبهت عليهم ؛ فظنوا البدعة سنة ، والسنة بدعة ، والحق ضلالاً ، والضلال حقاً ، فتختلط الأمور وتلتبس ، ولا يستقيم للمسلم أمره في هذا الباب إلا إذا عرف الحق فلزمه وعرف الشر فحذر منه واجتنبه .

ويأتي هذا الكتاب الذي بين أيدينا وعنوانه «مسائل الجاهلية» أو «المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية» يأتي ضياءً لأهل الخير في باب عظيم تمس الحاجة إلى معرفته ؛ ألا وهو معرفة مسائل الجاهلية التي خالفها الرسول عليه الصلاة والسلام وجاء بمخالفتها وجاء بالتحذير منها .

ولك أن تسأل هنا : ما حاجتنا إلى معرفة مسائل الجاهلية التي جاء نبينا صلى الله عليه وسلم بمخالفتها والتحذير منها؟

والجواب: أن الله سبحانه وتعالى قضى قضاءً كونياً قديراً أخبر عنه رسوله عليه الصلاة والسلام أن هذه الأمة تتبع سنن من كان قبلها شبراً شبراً في الحديث الصحيح قال: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً ذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) ؛ فخصال الجاهلية التي خالفها النبي عليه الصلاة والسلام ونهى عنها وحذر منها في أحاديثه صلوات الله وسلامه عليه سيوجد في هذه الأمة من يتبعها بين مُقلِّ ومستكثر ، لكن لابد أن يوجد في هذه الأمة من يتبعها لأن الله عز وجل قضى ذلك قضاءً كونياً أخبر عنه نبينا عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً ذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) ؛ وهذا خبر من النبي صلى الله عليه وسلم خرج مخرج التحذير للأمة حتى يحذروا من خصال الجاهلية ويحذروا مما كان عليه أهل الجاهلية . ولا يمكن للإنسان أن يحذر خصال الجاهلية إذا لم يكن يعرفها . فإذاً معرفة خصال الجاهلية من أجل أن نتقيها وأن نحذر منها لا شك أنه من المطالب المهمة ولا سيما في زماننا هذا الذي كثر في الناس إتباع سنن الجاهلية سواءً في أبواب العقائد أو في أبواب العبادات أو في أبواب المعاملات والسلوك ، ولا سيما أيضاً مع كثرة وسائل الاتصال بين الأمم والشعوب وانفتاح الناس على أمم الكفر وعاداتهم وعقائدهم ومشاهدتهم لذلك كله ؛ فإن هذا مع أيضاً ضعف العلم بدين الله تبارك وتعالى أوجد في كثير من الناس شيئاً من خصال الجاهلية التي حذر منها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

وأقول في ختام هذه المقدمة : كل منا سيقف أمام الله عز وجل يوم القيامة والله عز وجل سائله ، والله عز وجل إنما خلقنا في هذه الحياة الدنيا لنستقيم على طاعته ولنلزم أمره ، ولنتبع أنبياءه ورسوله عليهم صلوات الله وسلامه ، وأن نحذر من كل باطل كان عليه الناس ، والباطل هو: كل ما كان على خلاف هدي الأنبياء والمرسلين . فالأنبياء جاءوا بكل خير وحذروا من كل شر كما قال عليه الصلاة والسلام: ((ما بعث الله من نبي إلا دعا أمته إلى خير ما يعلمه لهم، وحذّره من شر ما يعلمه لهم)) ؛ فالأنبياء جاءوا بكل خير وحذّروا من كل شر ، وهكذا يجب أن يكون المسلم محافظاً على ما جاء به الأنبياء من الدعوة إلى الخير ، وحذراً كل الحذر مما نهى عنه الأنبياء من الشرور والأباطيل .

ومن نعمة الله علينا أمة محمد عليه الصلاة والسلام أن الله عز وجل أذهب بدعوته صلى الله عليه وسلم باطل أهل الجاهلية وضلالهم ، وانظر أيه الأخ الكريم إلى ذلك الموقف العظيم المبارك الذي وقفه نبينا عليه الصلاة والسلام عندما حج حجة الوداع ، ومكة قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام اجتمع فيها الباطل بكل صنوفه وبجميع ألوانه، الباطل فيما يتعلق بالعقائد ، والباطل فيما يتعلق بالعبادات ، والباطل فيما يتعلق بالدماء والأنفس وغير ذلك ، فُبعث النبي عليه الصلاة والسلام ومكة كان قد خيم عليها الباطل والضلال ، ليس هذا فحسب ؛ بل إن

الباطل خيّم على الأرض بأجمع وغطى الأرض كلها إلا قلة من الناس بقايا من أهل الكتاب ، وإلا فإن الجاهلية عمّت وطمّت وخيّمت على الأرض برمتها ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله نظر إلى الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب))؛ كانت الأرض كل من عليها ممقوت عند الله عز وجل مُبغض عنده إلا بقايا إلا قلة ، نزر قليل من أهل الكتاب ، وأما الأرض برمتها فقد خيّمت عليها الجاهلية وضربت بأطنابها في جميع أطرافها . ثم يَمُنُّ الله عز وجل على الأمة ببعثة محمداً عليه الصلاة والسلام ، وينشأ في هذا المجتمع الذي خيّمت فيه الجاهلية ويبدأ بالدعوة ، وتبدأ الدعوة إلى الإسلام في غربة كما قال عليه الصلاة والسلام: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)) ؛ فبدأ غريباً ، كل من يدعوه إلى الإسلام يستنكر هذه الدعوة لأنهم لا يعرفون شيئاً من الدين ، لا يعرفون الإيمان الصحيح ، لا يعرفون العقيدة ، خيّمت الجاهلية ، جاهلية عامة طبّقت الأرض إلا بقايا من أهل الكتاب ؛ فُبعث عليه الصلاة والسلام في الناس وأخذ يدعو ، وبدأت الدعوة تنتشر وضياؤها يشعّ ونورها يضيئ وتنتشر في الأرض ويكثر الأتباع إلى أن يشاء الله سبحانه وتعالى ويأتي عليه الصلاة والسلام إلى مكة ويحج ومعه الآلاف على الإسلام وعلى الدين الصحيح وعلى العقيدة الصحيحة ، ويخطب في الناس خطبةً عظيمة ويقول في تلك الخطبة وهو موضع شاهدنا لحديثنا يقول في تلك الخطبة: ((إن كل أمر من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين)) ثم أخذ يفصّل في ذكر بعض أمور الجاهلية في الأموال وفي الدماء إلى آخر ذلك.

وانظر النعمة استشعر هنا النعمة العظيمة الكبيرة بالإسلام ؛ أن مكة التي كانت خيّمت عليها الجاهلية وطبّقت أطرافها بعد سنوات قلائل بمَنّ الله تبارك وتعالى وفضله يخطب النبي عليه الصلاة والسلام ومكة ممتلئة بالمسلمين المعتنقين للدين الصحيح ويعلن أن كل أمر من أمر الجاهلية تحت قدميه. ولهذا أيّه المسلم يجب عليك أن تمضي بعزة الإسلام وأمور الجاهلية تضعها تحت قدميك . إياك أن تُفَتّن بمشرك أو بيهودي أو بنصراني أو بأي دين من أديان الباطلة ؛ أنت المسلم ، أنت المسلم أنت الذي تحمل الدين الصحيح الدين الحق ، أنت الذي منّ الله عز وجل عليك بمعرفة الإسلام ، فكيف ترضى لنفسك بالدون أن تتشبه بهذا أو ذاك من الكفار الذين لم يعرفوا هذا الدين الصحيح!! ولهذا كل أمر من أمر الجاهلية ضعه تحت قدميك وامضي في حياتك معزراً مكرماً ماضياً على دينك الصحيح مستقيماً عليه . يعينك على ذلك أن تعرف خصال الجاهلية وأمورهم وأعمالهم وصفاتهم حتى تكون منها على حذر.

واسأل الله عز وجل أن يقينا وإياكم ، وأن يهدينا جميعاً سواء السبيل ، وأن يبصرنا بديننا ، وأن يعيذنا جميعاً من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً ، وأن ينفعنا بهذا الكتاب النافع العظيم «كتاب مسائل الجاهلية» للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى . والآن نشرع في القراءة بهذا الكتاب .

قال الإمام الأَوّاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

هذه أمور خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأُميين مما لا غنى للمسلم عن معرفتها . فالضدّ يُظهر حسنه الضدّ وبضدّها تتبين الأشياء

قال رحمه الله: «هذه أمورٌ خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأُميين» قوله «هذه أمور» ؛ يفيدك أنه لم يقصد بهذا الكتيب حصر المسائل وجمعها كلها ، وإنما أراد أن ينبه على أخطر الأمور وأعظم المسائل مسائل الجاهلية خطورةً ، سواءً من هذه المسائل ما كان كفرًا مخرجاً من الملة أو دون ذلك ، أو أيضاً ما كان سبباً لبقائهم على الضلال الذي هم عليه ؛ فهذا أيضاً من خصال الجاهلية التي ينبغي أن تُعرف . كما أننا ينبغي أن نعرف أعمال الجاهلية نفسها أيضاً نعرف الأسباب التي منعتهم من قبول الحق ، لأن هذا من جاهليتهم ؛ كامتناعهم من قبول الحق لأجل الآباء أو لأجل الكثرة أو نحو ذلك من الأمور فكل ذلك جاهلية . فإذاً هذا الكتاب لم يحصر مسائل الجاهلية ولم يأتِ عليها جميعها ولا أراد ذلك المصنف ولا قصده ، وإنما قصد أن ينبه على أبرز وأهم المسائل التي خالف فيها النبي صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية الكتابيين والأُميين .

وقوله رحمة الله «أهل الجاهلية» ؛ الجاهلية : هذه نسبة إلى الجاهل ، والجاهل مشتق من الجهل ؛ فالمراد بالجاهلية: هم أهل الجهل ، والمراد بقوله «أهل الجاهلية من الكتابيين والأُميين» أي: أولئك الذين بُعث فيهم عليه الصلاة والسلام وكان قد خيّم عليهم الضلال وطبّق عليهم الجهل والباطل ، فكانوا في ضلال مبين وعماية مطبّقة عليهم إلا قلة قليلة ونزرٍ يسير من بقايا أهل الكتاب بقوا على التوحيد الخالص .

قال « أهل الجاهلية الكتابيين » أي أهل الكتاب ، والمراد هنا: اليهود والنصارى ؛ فإنهم أهل كتاب ولكن الكتاب الذي بأيدي اليهود والكتاب الذي بأيدي النصارى كتاب محرّف ومبدّل ومغيّر ، وأصبح فيه بدل التوحيد شركاً ، وبدل الهدى ضلالاً ، وبدل السنن والحق بدعاً وضلالاً وأموراً ابتدعوها واخترعوها ، فهي كتب محرفة ومبدلة، ولكن يقال لهم «أهل كتاب» باعتبار أنهم في الأصل على كتاب نبي من أنبياء الله ولكن طرأ عليهما ما طرأ بسبب أئمة الضلال فيهم من التحريف والتغيير والتبديل ، كما بيّن الله عز وجل ذلك في مواضع من كتابه تبارك وتعالى .

«والأُميين» المراد بهم: المشركين من غير أهل الكتاب ، وهم من كانوا على الشرك . والمشركون كانوا على أصناف كثيرة من الشرك ولم يكونوا على صنف واحد ؛ منهم من يعبد الشمس ، ومنهم من يعبد القمر ، منهم من يعبد الكواكب ، منهم من يعبد الأشجار والأحجار ، ومنهم من يعبد الصالحين والملائكة والأنبياء إلى غير ذلك ، فكان شركهم منوعاً وكانوا مختلفين في اتخاذ الأرباب كلّ يعبد ما يهواه .

قال: «ما لا غنى لمسلم عن معرفته» انتبه لهذه الكلمة المهمة ؛ الشيخ رحمة الله عليه يقول: لا غنى لمسلم أن يعرف هذه الأمور؛ لماذا؟! لك أن تتساءل ، وأجبت عن ذلك فيما تقدم . يقول : «لا غنى لمسلم عن معرفته» أي أن المسلم لا يستغني عن معرفة هذه الخصال التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى لماذا؟! لأجل أن يحذرها وأن يتقيها ، وكما قدمت «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي؟!» الذي لا يدري ما هو الشيء الذي يتقيه كيف يكون منه التقوى؟! وتقوى الله عز وجل: العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله ، وترك معصية الله على نور من الله خيفة عذاب الله. بهذا عرّفها أهل العلم ؛ فكيف يترك الإنسان معصية الله دون أن يعرف المعصية ودون أن يعرف الجاهلية ودون أن يعرف الباطل؟! فلهذا يقول رحمة الله عليه : «مما لا غنى لمسلم عن معرفته» .

ثم إن معرفتك بالباطل يفيدك فائدتين:

● الفائدة الأولى : أن تحذر الباطل .

● والفائدة الثانية: يعرفك بحسن الحق وجماله ، لأن الضد يُظهر حسنه الضد ؛ مثل لو قال لك شخص : عرّفني بالنور وجمال النور وحسنه وشدة حاجتنا إليه ، فقلت له: أرايت لو أنك في مكان مظلم وليس عندك نور وتريد أن تقرأ لا تستطيع وتريد أن تمشي فتتعثر في الطريق وتصف له الظلام ؛ وصفك الظلام له هو بحد ذاته بيانٌ لحسن النور.

قال لك شخص: حدثنا عن العافية والصحة وحاجتها؟ فقلت: أرايت عندما يكون الشخص مريض كيف لا يستطيع أن يفعل كذا ولا يستطيع أن يفعل كذا ويحس بالآلام ولا ينام ولا يرتاح إلى آخره ؛ يقول لك: الحمد لله والله العافية أمرها عظيم، أحسسته بحمال العافية بتحديثه عن ضدها .

فإذاً يُظهر حسن الشيء: بيان ضده ؛ فلو أردت أن تعرّف شخصاً ما بحسن التوحيد ويثبت له قبح الشرك ، بيانك له قبح الشرك بحد ذاته يعدّ بياناً لحسن التوحيد. ولهذا قال الشيخ هنا أورد هذا البيت قال:

فالضدّ يُظهر حسنه الضدّ وبضدّها تميّز الأشياء

إذاً معرفة مسائل الجاهلية يفيدك من جهتين:

الجهة الأولى: أنك تحذر هذه الخصال ، وتسأل الله تبارك وتعالى أن يعيدك منها وأن يحميك من الوقوع فيها .
الفائدة الثانية: يفيدك غبطة وفرحاً بفضل الله عليك بالإسلام ؛ أنت عندما تقرأ هذه الخصال وتستشعر معافاة الله سبحانه وتعالى لك منها ووقايتك منها تقول: الحمد لله الذي عافانا من هذه الأمور ومنّ علينا بالإسلام الصافي والدين النقي ؛ فتزداد تمسكاً وفرحاً بدينك الصحيح الذي منّ الله تبارك وتعالى عليك به. وهذا أمر يلاحظه الإنسان عندما يرى المبتلين بأبدانهم ، عندما يرى المبتلى يحس بالعافية يقول: الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاه فيه .

فهذه فائدة عظيمة أنت إذا قرأت خصال الجاهلية وعرفتها يفيدك أولاً: إتقاء هذه الخصال والبعد عنها ، ويفيدك ثانياً: معرفة بقدر قيمة ومكانة الدين العظيم الذي من الله تبارك وتعالى عليك به ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] .

قال رحمه الله تعالى :

فأهم ما فيها وأشدّها خطراً : عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة ، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ

هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢] .

بدأ الشيخ رحمه الله ببداية مهمة ، بل بقاعدة عظيمة وأصل متين يفيدك في جميع ما سيأتي من مسائل الجاهلية التي ذكرها رحمه الله تعالى محذراً منها ؛ فيقول رحمه الله: «فأهم ما فيها وأشدّها خطراً» ؛ أهم ما فيها: أي الجاهلية ومسائل الجاهلية ، وأشدّها خطراً : «عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم» إلى آخر كلامه

أولاً هذا يفيدنا فائدة مهمة في هذا الموضوع ، ألا وهي : أن خصال الجاهلية التي كانوا عليها وجاء الإسلام بمحاربتها ليست على مستوى واحد ، متفاوتة بعضها أخطر من بعض ، ولهذا قال لك الشيخ هنا: «فأهم ما فيها وأشدّه خطراً» ، إذاً هي ليست في الخطورة على درجة واحدة بل متفاوتة في الخطورة ؛ منها ما هو كفر أكبر ناقل من ملة الإسلام ، ومنها ما هو دون ذلك ليس كفراً أكبر وإنما هو من كبائر الذنوب وعظائم الآثام لكنه ليس مُخرجاً من ملة الإسلام.

إذاً خصال الجاهلية متفاوتة ، أخطر شيئاً في خصال الجاهلية يقول الشيخ: «عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام» ؛ هذا أخطر ما يكون ، عندما يكون قلب الإنسان ليس مؤمناً بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام سواءً كل ما جاء به ، أو ليس مؤمناً ببعض ما جاء به ليس عنده قناعات ؛ هذه جاهلية خطيرة جداً ، عندما يقول بعض الناس : "أنا لست مقتنع بكذا من أمور جاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام" هذا نوع من الجاهلية يصاب به قلبه أو قلوب بعض الناس ، عدم إيمان القلب ، والقلب هو الأساس ، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ؛ ألا وهي القلب))، يقول ابو هريرة في كلام له فيه توضيح لهذا الحديث يقول: «القلب ملك ، والأعضاء جنوده؛ فإذا طاب الملك طاب الجند ، وإذا خاب الملك خاب الجند» ؛ مع أن هذا الأمر ليس بمضطرد ، يعني: قد يطيب الملك

ويفسد بعض الجند، وقد يخيب الملك ويصلح بعض الجند، أما القلب إذا صلح لا يمكن أن تتخلف الجوارح عن مراده ، وإذا فسد أيضاً هي تبع له، فهو الأمر الناهي الموجّه وبقية الجوارح هي تبع له. فإذا كان قلب الإنسان والعياذ بالله لم يؤمن بما جاء به الرسول أو ببعض ما جاء به الرسول كيف يكون فعله للخير وعنايته به؟! إذا كان القلب نفسه غير مؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم !!

ولهذا أعظم أساس في بابنا هذا «باب الحذر من خصال الجاهلية»: أن يجتهد المسلم في عمارة قلبه بحب ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وحب دينه وحبه هو صلى الله عليه وسلم ، وأن يرضى قلبه بذلك ، ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسلاً)) ، وأن يبغض كل ما خالف ذلك.

وخذها قاعدة عندك ؛ كل ما خالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم فهو جاهلية ، لأن الحق والهدى بيّنه النبي عليه الصلاة والسلام بياناً تاماً ، اقرأ ذلك في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ، فكل ما خالف هديه عليه الصلاة والسلام فهو جاهلية لأن الأمور إما حق أو باطل ، والحق كله بيّنه النبي عليه الصلاة والسلام ، وماذا بعد الحق إلا الضلال!! ، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] الحق هو ما جاء به صلوات الله وسلامه عليه. إذاً أخطر ما يكون على الإنسان في هذا الباب عدم إيمان قلبه بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام.

يقول المصنف: «فإن انضاف ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة» ؛ إذا اجتمع في الشخص أمرين:

الأمر الأول : عدم الإيمان أو عدم القناعة القلبية بما جاء به الرسول ، والأمر الثاني: يستحسن ما عليه أهل الجاهلية. مثل ما يقال : معجب بهم وبصفاتهم وبهيئاتهم وبتعاملاتهم وبأحوالهم وبأمورهم وبأعيادهم إلى آخره ، معجب بهم ويتبع ما هم عليه ، حتى إن بعض الناس من شدة تتبعه لما عليه أهل الجاهلية يحرص ألا يفوت التبع لما عليه أهل الجاهلية شبراً شبراً خطوة خطوة ، كلما خطو خطوة في السفه والغي والضلال خطاها معهم وتابعهم عليها ؛ يستحسن ما عليه أهل الجاهلية ، وهذه فتنة تصاب بها بعض القلوب نسأل الله العافية ، تصاب بعض القلوب بفتنة فيبدأ يتابع أهل الجاهلية في كل ما يفعلونه ؛ حتى في أمور قبيحة سيئة تنفر منها الطباع تجده يتابعهم فيها . وحتى لا نطيل اضرب مثلاً: قصات الشعر ؛ الآن يُفتن بعض الناس بما عليه أهل الجاهلية فيتابعه خطوة خطوة في قصات الشعر ، وتجده إذا ذهب إلى المشتغل بقص الشعر يعرض عليه صور لأهل الجاهلية يحدد شخصاً من هؤلاء يقول: أنا أريد مثل هذا ، والآخر يقول: لا أنا أريد هذا أفضل ، والثاني يقول: لا أنا أريد... ثم يخلقون شعورهم حلقاً محرماً . النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن القزع ، وكل أعمال الجاهلية في حلق الشعر نوع

من هذا القزع الذي نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام ؛ فتجده لا يفعل الذي وجه إليه النبي عليه الصلاة والسلام ويتابع أهل الجاهلية في أمور تنفر منها الطباع السليمة .

وبدون مبالغة بعض قصص الشعر التي يفعلها بعض أبناء المسلمين مقلدين أهل الجاهلية بها قصص بشعة جداً ، إذا رآها الإنسان الذي عنده فطرة سليمة إن سلمه الله وإلا يكاد يستفرغ من المنظر الذي يراه من قبحه وشناعته ، ولكن لفساد القلوب وتلوث العقول والفتنة باتباع الجاهلية لا يبالى باتباعهم . هذا مثال وقس عليه أمثلة كثيرة جدا تفشوا في الناس بسبب فتنة القلوب باستحسان ما عليه أهل الجاهلية .

فإذا كان الإنسان يستحسن ما عليه أهل الجاهلية ، وفي الوقت نفسه لا يرتاح لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام لا تسأل عن هلكته وخسرانه ؛ ولهذا قال المصنف هنا: «تمت الخسارة» ؛ تمت الخسارة إذا اجتمع في الشخص أمران:

الأمر الأول : عدم الايمان بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام.

والأمر الثاني: استحسان ما عليه أهل الجاهلية سواء في أقوالهم أو في أفعالهم أو عقائدهم .

« كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢] » انظر الآية وشاهدها في كلام المصنف ؛ المصنف ذكر أمرين تتم بهما الخسارة؛ الأمر الأول: عدم الايمان بما جاء به الرسول. والأمر الثاني: اتباع ما عليه أهل الجاهلية. النتيجة : تمام الخسران ، والآية تنص على ذلك ؛ قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ أي استحسنا ما عليه أهل الجاهلية ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ أي لم يؤمنوا بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي أولئك الذين تمت خسارتهم.

قال رحمه الله تعالى :

المسألة الأولى : أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله لظنهم أن الله يحب ذلك وأن الصالحين يحبونه ، كما قال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] .

بدأ رحمه الله تبارك وتعالى بالمسألة الأولى ، وبدأ بها لأنها كبرى هذه المسائل وأخطرها وأشدّها ضرراً على الناس . قال : «المسألة الأولى : أنهم» أي أهل الجاهلية ؛ سواء أهل الكتاب أو المشركين الأميين .

قال: «أَنَّهُمْ يَتَعَبَّدُونَ بِإِشْرَاكِ الصَّالِحِينَ فِي دَعَاءِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ» واقع هؤلاء حقيقة أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا الصَّالِحِينَ وَغَيْرِ الصَّالِحِينَ ؛ أَشْرَكُوا الصَّالِحِينَ وَأَشْرَكُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ وَالْأَشْجَارَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، فَأَشْرَكُوا عِبَادَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَأَشْرَكُوا الْجَمَادَاتِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ أَوْ مِثْلًا حَجَرًا أَوْ شَجَرَةً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ . لَكِنْ خَصَّ الْمُؤَلَّفَ الصَّالِحِينَ بِالذِّكْرِ: لِأَنَّ عِبَادَةَ الصَّالِحِينَ أَقْرَبَ إِلَى النَّفْسِ مِنْ عِبَادَةِ الْحَجَرِ؛ لِمَاذَا؟! لِمَاذَا عِبَادَةُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ أَقْرَبَ إِلَى النَّفْسِ مِنْ عِبَادَةِ الْحَجَرِ؟ لِأَنَّ مَكَانَةَ الصَّالِحِ فِي النَّفْسِ أَعْظَمَ مِنْ مَكَانَةِ الْحَجَرِ، وَمِنْ هُنَا دَخَلَ الشَّيْطَانُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلُنَا ، وَأَوَّلَ مَا بَدَأَ الشَّرْكَ بِدَأْ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ ، لِأَنَّ النَّاسَ خُلِقُوا وَقُطِرُوا عَلَى التَّوْحِيدِ وَأَوَّلَ مَا بَدَأَ بِهِمُ الشَّرْكَ بِدَأْ مِنْ جِهَةِ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ عِبَادَةَ وَدٍّ وَيَعْقُوقَ وَسَوَاعَ وَنَسَرَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ كَانُوا فِي قَوْمِ نُوحٍ» ؛ رِجَالٌ مَعْرُوفِينَ بِالصَّلَاحِ فَلَمَّا مَاتُوا جَاءَ الشَّيْطَانُ إِلَى أَقْوَامِهِمْ وَذَكَرَهُمْ بِهَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ وَمَكَانَتِهِ وَقَالَ : إِذَا دَفَنْتُمُوهُمْ دَفْنًا عَادِيًّا سَوْفَ تَنْسَوْنَهُمْ لَكِنْ ابْنُوا عَلَى قُبُورِهِمْ أُنْبِيَةَ حَتَّى تَذَكَّرَكُمْ بِهِمْ وَأَيْضًا اصْنَعُوا لَهُمْ تَمَاثِيلَ عَلَى هَيْئَاتِهِمْ وَصُورَتِهِمْ وَأَشْخَاصِهِمْ ، فَقَطْ مِنْ أَجْلِ إِذَا رَأَيْتُمْ تِلْكَ الْأُنْبِيَةَ وَتِلْكَ الصُّورَ ذَكَرْتُمْ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ وَذَكَرْتُمْ الْخَيْرَ الَّذِي يَدْعُونَكُمْ إِلَيْهِ ، وَتَرَكَ هَذَا الْجِيلَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ. ثُمَّ جَاءَ لِلْجِيلِ الَّذِي بَعْدَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ آبَائُكُمْ وَأَجْدَادُكُمْ وَضَعُوا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ وَهَذِهِ الْأَنْصَابَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَغَاثُوا بِهِمْ أُغِيثُوا وَإِذَا طَلَبُوا مِنْهُمْ سَأَلُوا ؛ فَعَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ . أَوَّلَ شَرِّكَ حَصَلَ فِي النَّاسِ كَانَتْ هَذِهِ بَدَايَتُهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عِبَادَةَ الصَّالِحِينَ أَقْرَبَ إِلَى النَّاسِ وَأَسْهَلَ مِنْ عِبَادَةِ الْحَجَرِ ؛ لِمَكَانَةِ الصَّالِحِ فِي النَّفْسِ وَمَنْزِلَةِ الصَّالِحِ فِي النَّفْسِ ، وَلِهَذَا خَصَّ ذَلِكَ بِالذِّكْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قال : «أَنَّهُمْ يَتَعَبَّدُونَ بِإِشْرَاكِ الصَّالِحِينَ فِي دَعَاءِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ» ، ثُمَّ يَجْعَلُونَ ذَرِيعَتَهُمْ فِي ذَلِكَ الضَّلَالِ وَالْبَاطِلِ وَالشَّرِّ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّمَا أَرَدْنَا بِذَلِكَ الشَّفَاعَةَ «يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَظَنَّهُمْ أَنَّ اللَّهَ يَحِبُّ ذَلِكَ وَأَنَّ الصَّالِحِينَ يَحِبُّونَهُ» ؛ هَكَذَا يَفْتَنُ الشَّيْطَانُ النَّاسَ وَيُوقِعُهُمْ فِي شَبَكَةِ الشَّرِّ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ؛ يُوْهِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ يَحِبُّ ذَلِكَ، أَنَّ اللَّهَ يَحِبُّ مَنْ عِبَادَهُ أَنْ يَجْعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَسْطَاءً مِنَ الصَّالِحِينَ يَبْلُغُونَهُ حَاجَاتِ النَّاسِ وَالْعِيَاذَ بِاللَّهِ ، يُوْهِمُهُمْ ذَلِكَ، وَيُوْهِمُهُمْ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ أَنَّ الصَّالِحِينَ أَيْضًا يَحِبُّونَ ذَلِكَ . وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَحِبُّ ذَلِكَ ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ أَيْضًا لَا يَحِبُّونَ ذَلِكَ ، بَلْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ كُلُّهُمْ وَالصَّالِحُونَ مِنْ عِبَادِهِ أَجْمَعُوا عَلَى النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ .

قال : «يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَظَنَّهُمْ أَنَّ اللَّهَ يَحِبُّ ذَلِكَ وَأَنَّ الصَّالِحِينَ يَحِبُّونَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] » هَذِهِ طَرِيقَةُ أَهْلِ الشَّرِّ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَإِذَا سُئِلُوا لِمَاذَا تَمَارَسُونَ هَذَا الشَّرْكَ وَتَمَارَسُونَ هَذَا الْبَاطِلَ؟ يَقُولُونَ: «هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ»

قال : «وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٥] » يقول نحن لا نعبد هؤلاء الصالحين إلا من أجل أن يقربونا إلى الله ، ومن أجل أن يشفعوا لنا عند الله تبارك وتعالى ؛ ومن هنا ولج هؤلاء في الشرك ودخلوا فيه من أوسع أبوابه ؛ من هاتين الجهتين : جهة القرية ، وجهة الشفاعة . من أجل أن يقربوهم إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن أجل أن يكونوا لهم شفعاء عند الله عز وجل . فهذه من أبرز وأخطر خصال الجاهلية التي يجب على المسلم أن يعرفها من أجل أن يحذرهما وأن يتقيها .

وإذا نظرت في واقع المنتسبين إلى الإسلام تجد أن هذه الخصلة من خصال الجاهلية موجودة فيهم ، تجد الرجل أو المرأة يذهب إلى قبر الرجل الصالح وأحياناً غير الصالح ويقف أمام القبر خاشعاً باكياً متذللاً منكسراً وربما ذبح ذبيحة عند القبر ثم مَدَّ يديه إلى جهة القبر سائلاً متضرعاً طالباً من صاحب القبر نفسه يا فلان أدركني الحقي! والله بأذني سمعت امرأة تطوف في حج هذا العام وهي إلى جنب بيت الله تبارك وتعالى وتنادي بصوت عالي : "دخيلك يا محمد الحقي يا محمد" ! والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: ((إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ؛ رفعت الأقلام وجفت الصحف)).

وأحياناً بعض الكتب التي كُتبت على بعض طرق أهل الجاهلية للعوام وللجهال بأيديهم يقرؤونها؛ استغاثات شركية وتوجهات لغير الله ، حتى قرأت في بعضها كُتب فيها دعاء يقال عند زيارة قبر أحد الأولياء قال: "تذهب إليه متطهراً، وتقف أمام قبره خاشعاً خشوعك في الصلاة ، وتنحني قليلاً إلى جهته ثم تناديه باكياً : يا سيدي فلان أنا ببابك أنا لاأئذُ بجناحك أنا واقف بأعتابك إن لم تأخذ بيدي من الذي يأخذ بيدي! ، أنا عبدك الكسير وفلان الدليل وبك المستجير إلى آخره.." هذا ما هو؟! أي شيء هذا؟! أليس هذا هو أبرز خصلة كانت في الجاهلية وبُعث نبينا عليه الصلاة والسلام لمحاربتها وتخليص الناس منها؟! ثم يأتي دعاة الباطل إلى هؤلاء ويقولون لهم: هذا العمل هو العمل الصحيح الذي تقومون به ، هذه شفاعة ، أنتم تنادون هؤلاء وتستغيثون بهم من أجل أن يشفعوا لكم عند الله فرجعوا إلى الأمر نفسه ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] رجعوا إلى الأمر نفسه ﴿إِلَّا يُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٥] ولهذا لما جهل الناس هذه الخصلة من خصال الجاهلية وقع بعضهم وعددٌ منهم فيها من حيث يظنون أنهم على الحق وعلى الهدى .

قال رحمه الله تعالى :

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بالإخلاص وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما استحسنا فقد حرم الله

عليه الجنة ومأواه النار . وهذه هي المسألة التي تفرّق الناس لأجلها بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الجهاد كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] .

قال رحمه الله منبه على خطورة هذه المسألة: «وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم» وهنا يتألم المسلم الناصح غاية الألم إذا وجد أن أعظم مسألة خالف فيها الرسول صلى الله عليه وسلم يوجد في المنتسبين للإسلام من يمارسها هي بعينها بنفس العمل الذي كان يمارسه أولئك .

قال: «وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأتى بالإخلاص» أي أتى بالإخلاص بدل الشرك الذي كانوا عليه والتنديد الذي كانوا يمارسونه. فأتى بالإخلاص ، والإخلاص : هو إفراذ الله تبارك وتعالى بالعبادة ، لأن الإخلاص في اللغة : من الخالص وهو الصافي النقي ؛ بمعنى أن تكون العبادة من دعاء واستغاثة ورجاء وذبح وغير ذلك لله رب العالمين لا شريك له ، كما قال الله عز وجل ﴿قُلْ إِن صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢-١٦٣] ؛ فُبِعْثَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْإِخْلَاصِ ، قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ، قال جل وعلا ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

«وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل» كما قال تعالى ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] ، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ، وكما قال جل وعلا: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ التَّنْذُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحقاف: ٢١] أي كلهم على هذا الأصل «ألا تعبدوا إلا الله»، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ، وفي الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: ((نحن الأنبياء أبناء علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى)) أي عقيدتنا واحدة ؛ عبادة الله عز وجل مخلصين له الدين ، وأمهاتنا شتى : أي الأعمال والشرائع قد تختلف من نبي إلى آخر كما قال عز وجل ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨] .

قال : «وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص» أنه لا يقبل -أي الله عز وجل- من الأعمال إلا الخالص ؛ ولهذا قال في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال عز وجل في

الحديث القدسي: ((أنا أغني الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً)) أي: أي عمل كان ؛ دعاء ، رجاء ، ذبح ، نذر ، صلاة ، صيام ، حج ((من عمل عملاً)) عملاً هنا نكرة في هذا السياق فهي تعم كل عمل ، ((من عمل عملاً)) أي: أي عمل من الأعمال أشرك مع الله فيه غيره أياً كان هذا الغير تركه الله عز وجل وشركه . وهذا يدل على أن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه وابتغاء لمرضاته سبحانه وتعالى .

«وأخبر أن من فعل ما استحسنوا فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار»؛ وأخبر أي النبي عليه الصلاة والسلام أن من فعل ما استحسنوا أي ما استحسنه أهل الجاهلية من تلك العبادات الباطلة واتخاذ الأنداد من الصالحين والأولياء أو غيرهم فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ؛ وهذا دلّ عليه القرآن ودلت عليه السنة في القرآن ، في القرآن قال تعالى ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] ، وفي السنة قال عليه الصلاة والسلام: ((من مات وهو يدعو من دون الله نداءً دخل النار)) ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ثم قال رحمه الله: «وهذه المسألة التي تفرّق الناس لأجلها بين مسلم وكافر» المسلم هو المخلص ، والكافر هو المتخذ للأنداد بأي صيغة كانت وبأي مبرر كان. اتخاذ الأنداد شركٌ سواء سماه من مارسه «شفاعة» أو سماه «قربة» أو سماه «توسلاً» أو سماه بأي اسم كان الشرك يبقى شركاً وإن غُيّر مسماه ، تغيير المسميات لا يغير الحقائق هذه قاعدة ؛ الآن مثلاً لو أن شخصاً سَمِيَ الربا "فوائد بنكية" لا يشملها قول الله تعالى ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ أو يشملها؟! أو شخصٌ سَمِيَ الرشوة التي لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمها ((لعن الله الراشي والمرتشي)) قال هذه يا أخي إكرامية ، هل تسميتها إكرامية يلغي الحكم واللعن الذي ورد في الحديث؟! لا. أيضاً الخمر يقول هذه مشروبات روحية ، هل هذا الحكم أو هل هذه التسمية تلغي الحكم؟ لا. أيضاً شخص يمد يديه إلى غير الله ويقول: أنا لائذ بك ، أنا منكسرٌ عند بابك ، أنا لائذٌ بجانبك أنقذني أدركني الحقني إلى آخره .. وإذا قيل له ما هذا؟! قال :هذا توسل! هل يلغي الحكم لكونه سَمِيَ هذا الشرك توسلاً؟! فتغيير الأسماء لا يغير الحقائق ، الشرك شركٌ وإن غُيّر اسمه، حتى وإن سماه صاحبه شفاعة أو توسلاً . العبادة ومنها الدعاء حق لله ، لا يدعى إلا الله ((إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)) هذا أصل لا نزاع فيه وأمرٌ واضح بيّن ، فمن دعا غير الله واستغاث بغير الله ولجأ إلى غير الله تبارك وتعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا فهذا اتخذ نداءً مع الله تبارك وتعالى ولا يعفيه من تبعة ذلك كونه يسميه توسلاً أو يسميه شفاعةً أو يسميه قربة أو غير ذلك من الأسماء .

قال: «وهذه المسألة التي تفرّق الناس لأجلها بين مسلم وكافر» ؛ المسلم هو المخلص . والكافر هو الذي اتخذ مع الله الأنداد والشركاء. ولهذا في تمام الآية الأولى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى

اللَّهُ زَلْفَى ﴿﴾ قال في تمامها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ سمي عملهم هذا كفرًا بالله تبارك وتعالى.

قال: «وعندها وقعت العداوة» عند هذه المسألة وقعت العداوة ؛ بين من ومن؟ بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام دعاهم ليخلصوا العبادة لله جل وعلا ويوحّدوا الله بالعبادة ويتركوا عبادة الأنداد من الصالحين والملائكة والأنبياء والأشجار والأحجار وغيرها وقال لهم: ((قولوا لا إله إلا الله ثقلحوا)) داعياً لهم إلى التوحيد والإخلاص فماذا كان الجواب؟ قالوا ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:١٥] وايضاً تواصلوا بينهم على البقاء على تلك العبادة الباطلة ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿﴾ [ص:٦٠-٧] هذا افتراء ما علمنا في الملة الآخرة، وسيأتي ذكر هذا الأمر من مسائل الجاهلية يستدلون على الباطل الذي هم عليه بأنهم ما عرفوه في الملة الآخرة أي: ما عرفوه فيمن سبقهم . بعض الناس يُنكر عليه بعض الشرك أو بعض البدع ويقول: منذ نشأنا والآباء والأجداد ما نعرف هذا الذي تدعوا إليه ؛ فيرفض التوحيد ويرفض السنة بحجة أنه ما عرفه فيمن قبله ومن سبقه ، ويكون من سبقه على جاهلية أو على ضلال . وهذه مسألة سيأتي حديث المصنف رحمه الله تعالى عنها.

قال: «ولأجلها -أي لأجل هذه المسألة- شرع الجهاد ، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩] » والفتنة كما فسرهما بذلك ابن عباس وغيره : هي الشرك بالله ، قال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي حتى لا يكون في الناس شرك بالله عز وجل واتخاذاً للأنداد ، وهذه أعظم ذنب وأعظم معصية يقع الناس فيها ﴿وَيَكُونِ الدِّينُ كُلُّهُ لِّلَّهِ﴾ أي يكون الناس موحدين مخلصين لله تبارك وتعالى بعيدين عن الشرك. (قاتلوهم) من أجل ماذا؟ من أجل (أن لا تكون فتنة) أي لا يكون شرك بالله عز وجل (ويكون الدين كله لله) .

الشاهد أن هذه هي المسألة الأولى ، وهي أعظم المسائل وكبرى المسائل التي خالف النبي عليه الصلاة والسلام أهل الجاهلية ؛ والواجب على المسلم أن يعرف هذه المسألة معرفةً جيدة وأن يكون منها على حذر ، وأن يسأل الله تبارك وتعالى العظيم رب العرش العظيم أن ينجيه من هذه الخصلة التي هي أشد وأخطر خصال أهل الجاهلية ، وأن ينجيه من خصال أهل الجاهلية عموماً فإنه تبارك وتعالى الموفق والهادي لا شريك له . ومن الدعاء المأثور عنه صلوات الله وسلامه عليه في هذا الباب «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم» وكان ايضاً يقول في دعائه صلوات الله وسلامه عليه كل صباح «اللهم إني أعوذ بك من الكفر ومن الفقر وأعوذ

بك من عذاب القبر» ، والأدعية الماثورة عنه في هذا المعنى كثيرة ، ومن هذا القبيل أيضاً دعاء ابراهيم الخليل عليه السلام ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦] .
والله تعالى أعلم وصل الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

الثانية من مسائل الجاهلية : أنهم متفرقون في دينهم كما قال تعالى ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] ، وكذلك في دنياهم ويرون أن ذلك هو الصواب ، فأتى بالاجتماع بالدين بقوله : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ، ونهانا عن مشابكتهم بقوله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] ، ونهانا عن التفرق في الدنيا بقوله : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

هذه المسألة الثانية من مسائل الجاهلية التي خالفها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رحمه الله تعالى بدأ أول ما بدأ بذكر كبرى المسائل ؛ وهي الشرك بالله عز وجل الذي هو أظلم الظلم وأكبر الذنوب على الإطلاق . ثم بدأ رحمه الله بذكر المسألة الثانية مما كان عليه أهل الجاهلية ألا وهو: التفرق ؛ فكان أهل الجاهلية متفرقين لأنه ليس هناك شيء يجمعهم ، العقائد التي كانوا عليها عقائد باطلة ، والأديان التي كانوا يدينون بها أديان باطلة ، ومن المعلوم أن الباطل يفرق ولا يجمع ، وإنما الذي يجمع هو الحق والهدى ، ولهذا قيل عن أهل الحق «أهل الجماعة» لأن الحق هو الذي يجمع ، وقيل عن أهل الباطل «أهل الفرقة» لأن الباطل يفرق أهله ولا بد .

فأهل الجاهلية كانوا متفرقين ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤] ، العقائد التي يعتقدونها متفاوتة ؛ عبدوا أربابًا متفرقين ؛ فتفرقوا في أنفسهم واختلفوا ، ونشبت بينهم العداوات ، وأريق فيهم الدماء ، وكثرت فيهم الفتن ، وذلك كله لإعراضهم عن الحق والهدى ، ولهذا فإن الحق والهدى يؤلف بين القلوب المتنافرة ويجمع شتات الناس ، ويلم شعنتهم ويوحد كلمتهم ويلم صفهم وتحقق به سعادتهم ، أما إذا كانوا على الباطل فإنهم يتفرقون شذر مذر . إذاً من خصال الجاهلية التي كانوا عليها التفرق ؛ والتفرق الذي كانوا عليه ليس تفرقًا في الدين فقط ، بل هم متفرقون في الدين والدنيا ؛ أما في الدين : فكلًا منهم له عقيدته له مذهبه الذي أملاه عليه هواه أو ميوله أو رغبته

أو نحو ذلك ، والتفرق في الدين لأن بينهم أطماعٌ دنيوية لاحد لها يتقاتلون عليها وتراق دمائهم وتنتهك الأعراض وتستلب الأموال في حروب طاحنة قد تمضي السنوات الطوال فكانوا متفرقين في الدين والدنيا ؛ ولهذا قال رحمه الله تعالى : «أَنَّهُمْ -أي أهل الجاهلية- متفرقين في دينهم كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] ؛ كل حزب أي فئة منهم أو طائفة بما لديهم أي من دين أو عقيدة أو نحلة أو مذهب فرحون؛ أي كل منهم يرى أن الذي عنده هو الحق وأن الذي عند غيره هو الباطل ، والحق وراء ذلك كله ، بل هم متفرقون في الباطل والأهواء كل فرح بما عنده وما عنده باطل لا خير فيه ، ضلال لا هدى فيه.

قال : «وكذلك في دنياهم أي متفرقين في الدنيا ويرون ذلك هو الصواب» ؛ وانتبه هنا إلى قول المصنف رحمه الله «ويرون ذلك هو الصواب» أي يرون ما هم عليه من تفرق واختلاف وعداوات في الدين والدنيا يرون ذلك هو الصواب ، وكل فئة من هؤلاء ترى أن العز والمنعة والقوة بالانتصار للباطل التي هي عليه ومقاومة الآخرين ، والآخرين كذلك ، ثم القوي منهم يبطش بالضعيف ، وأصبحت حياتهم بسبب هذا التفرق أشبه ما يكون تمامًا بحياة الحيوانات المفترسة في الغابات ؛ ولهذا تسمى الشريعة التي هم عليها "شريعة الغاب" ؛ لأنهم يمارسون تمامًا ما تمارسه الأسود والحيوانات المفترسة في الغاب ، القوي منهم يأكل الضعيف ويتسلط عليه ويريق دمه وينتهك عرضه، إلى غير ذلك من الشرور العظيمة الكبيرة التي كانوا عليها وكانوا يعيشونها .

حتى قوله «ويرون ان ذلك هو الصواب» كم عندهم من الأشعار التي يمدحون فيها هذا الباطل الذي هم عليه ، ويمدحون الانتصارات التي يحققونها في قتل من يسمونهم الأعداء ، وهم كلهم أعداء لدين الله وأعداء للحق والهدى، لكنهم يتطاحنون ويتقاتلون على ضلال وباطل وضياح في الدنيا وفي الآخرة .

قال: «فأتى بالاجتماع» ؛ أي النبي عليه الصلاة والسلام أتى بالاجتماع ، فمن أعظم ما دعا إليه عليه الصلاة والسلام الاجتماع وذم الفرقة .

قال: «فأتى بالاجتماع في الدين» ولا يمكن أن يكون اجتماع إلا في الدين ؛ فأتى عليه الصلاة والسلام بالاجتماع في الدين: أي دعا الناس إلى أن يجتمعوا على دين واحد ، على عقيدة واحدة ، على عبادة رب واحد ، على لزوم شرع واحد ، على إتباع نبي واحد حُتِمت به الرسالات ، على لزوم كتاب الله عز وجل ووحيه وتنزيله ، دعا عليه الصلاة والسلام إلى هذا الاجتماع ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ

الدين ما وصَّى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرَّقوا فيه﴾ [الشورى: ١٣] ؛ فدعاهم عليه الصلاة والسلام إلى أن يجتمعوا على دين واحد ألا وهو دين الله عز وجل دين

الإسلام الذي رضي الله سبحانه وتعالى لعبادة ديننا ولا يقبل دينًا سواه ، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل

عمران: ١٩ ، ﴿وَمَنْ يُبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [البقرة: ١٣٠] ؛ فدعا عليه الصلاة والسلام عموم الناس إلى أن يجتمعوا على هذا الدين دين الإسلام الذي يؤلف بين القلوب المختلفة والأنفس المتفرقة ويجمعهم على أحسن ما يكون من اجتماع وإتلاف .

قال: «فأتى بالاجتماع بالدين بقوله ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾»؛ الذي وصى به جل وعلا هؤلاء الأنبياء ، وخصوا بالذكر لأنهم أولي العزم من الأنبياء وعددهم خمسة الذي ، الذي وصى به هؤلاء وغيرهم من أنبيائه ورسله عليهم صلوات الله وسلامه هو ما ذكره في تمام الآية بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ؛ «أن أقيموا الدين» أي الذي شرع الله لكم وأمركم به وأنزل به كتبه وبعث به رسله ، «أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» بل أحذروا من الفرقة ومن أسبابها وموجباتها وألزموا دين الله تبارك وتعالى واجتمعوا عليه .

قال: «وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾» [الأنعام: ١٥٩] ؛ وهذه الآية ساقها المصنف رحمه الله هنا لأن فيها ذمًا للفرقة وأهلها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ أي أحزابًا وطوائف لست منهم في شيء ؛ وهذا فيه دعوة للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ ممن كانت هذه حاله ، قال ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي لست منهم وليسوا منك ، ليسوا على نهجك ولست على نهجهم ، أنت منهم براء ، قال: ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ لأن الذي كان عليه عليه الصلاة والسلام اجتماع وألفة على الحق والهدى ، وهؤلاء الذي هم عليه افتراق واختلاف وفرقة على الباطل والردى ؛ فذم الله سبحانه وتعالى سبيلهم وبرأ نبيه صلى الله عليه وسلم منهم ومن حالهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ .

«ونحننا عن مشابحتهم» أي في ما كانوا عليه من فرقة وضلال «فقال سبحانه ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾» [آل عمران: ١٠٥] «أي احذروا أن تسلكوا سبيل هؤلاء الذين هم أهل فرقة وضلال وباطل، لا تكونوا مثلهم ولا تتشبهوا بهم .

ثم قال رحمه الله : «ونحننا عن التفرق في الدنيا بقوله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾» [آل عمران: ١٠٣] «نهي عليه الصلاة والسلام عن التفرق في الدنيا أي من أجل الدنيا ، ولا تساوي الدنيا شيئًا بحيث إنها تكون سببًا لفرقة بين

المؤمنين أو عداوات بين المسلمين ، فالإسلام الذي هم عليه هو المعيار الذي تجتمع عليه القلوب وتأتلف النفوس ، ولا يجوز لأهل الإسلام أن تنشب بينهم فرقة وعداوات من أجل الدنيا التي سيفارقونها أجمعين ولا يبقون فيها ، فالدنيا لا تساوي أن تنشب بين أهل الإسلام عداوات لأجلها ؛ فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الفرقة لأجل الدنيا ، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أحاديث عديدة في ذم التهاجر فوق ثلاث بسبب الأمور الدنيوية ، لأنه قد يقع نزاعات وخلافات في أمور دنيوية فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث أيام أو ثلاث ليال بسبب الأمور الدنيوية والمصالح الدنيوية ، فنهى عليه الصلاة والسلام عن التفرق في الدنيا .

وأورد المصنف رحمه الله تعالى دليلاً على ذلك وهو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ، ووجه الدلالة من هذه الآية : ما ذكره جماعة من المفسرين في معنى الآية أنها جاءت في سياق الامتنان على الأوس والخزرج الذين كانت قد نشبت بينهم حروب طاحنة قبل الإسلام وقتال طويل ودماء أريقت وأنفس أزهقت ، فجاءت هذه الآية في سياق الامتنان عليهم بمنة الإسلام الذي أذهب عنهم جاهلية الفرقة والقتال وإراقة الدماء والعداوات التي مبنية على ضلال وباطل ، فجاءت الآية في سياق الامتنان عليهم بمنة الله عز وجل بالاجتماع على الدين والحذر من الفرقة في الدنيا التي كان عليها أولئك ، قال: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ ؛ فهي جاءت في سياق الامتنان على هؤلاء الذين كانوا أعداء متفرقين لأجل الدنيا متحاربين عليهم متعادين متباغضين ، فجاءت هذه الآية تدعوهم إلى الاجتماع والاعتصام والألفة في سياق الامتنان عليهم بمنة الله عليهم إذ أنقذهم بالإسلام من الجاهلية والتفرق والقتال والعداوات العظيمة التي نشبت بينهم سنوات طوال وعمرٍ مديد . إذاً هذه من الخصال العظيمة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام ألا وهي الاجتماع مخالفاً بذلك الفرقة التي كان عليها أهل الجاهلية .

وأنتبه هنا إلى ان نبينا عليه الصلاة والسلام مع تحذيره أمته من الاختلاف في الدين والاختلاف في الدنيا أيضاً أخبر في الوقت نفسه أن الاختلاف سيوجد ، وأخبر بذلك محذراً منه ومن أسبابه ، ولهذا جاء عنه عليه الصلاة والسلام أحاديث عديدة في هذا المعنى كقوله عليه الصلاة والسلام : ((إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة)) ؛ الشاهد من الحديث قوله ((إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً)) قال ذلك على وجه التحذير للأمة ، ولهذا أرشد عليه الصلاة والسلام في السياق نفسه دون أن يُسأل عن موجبات الاجتماع والسلامة من الفرقة فقال : ((فعليكم بسنتي)) ثم قال: ((إياكم ومحدثات الأمور)) .

أيضاً صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافتترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)) ، قال ذلك عليه

الصلاة والسلام محذرا من الافتراق ومبينًا خطر الافتراق وأنه لا يجلب على الناس خيرا ، بل يجلب عليهم شرورا كثيرة وأضرار عظيمة . ولهذا ينبغي على كل مسلم أن يحذر من جاهلية الافتراق التي كان عليها أهل الجاهلية وجاء الإسلام بدمها والتحذير منها . والواجب على كل مسلم في هذا الباب أن يبحث عن أسباب الاجتماع والألفة والوحدة بين أمة الإسلام فيسعى في تحقيقها ، وأن يعرف أيضا أسباب الافتراق ليحذر منها ويتعد عنها . ويجب -أيها الإخوة- أن نعلم هنا أن أعظم أسباب الافتراق وجود مخالفات الدين من الشرك والعياذ بالله والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان ، فإن مثل هذه الأمور إذا وُجدت بين الناس فَرَّقَتْ صفهم . وكما قلنا فيما سبق كما أن الحق يجمع فإن الباطل يفرق ، ولهذا الشرك إذا وُجد والبدعة إذا وجدت والضلالات إذا وجدت ففرقت الناس ، ولا يمكن أن يجتمع الناس إلا على حبل الله ، لا يمكن أن يجتمعوا على البدع والأهواء والضلالات ، بل لا يمكن أن يجتمعوا إلا على حبل الله المتين ودينه القويم الذي بعث الله سبحانه وتعالى به أنبيائه ورسله عليهم صلوات الله وسلامه .

فالواجب على كل مسلم أن يجاهد نفسه على تحقيق الاجتماع والألفة؛ وذلك بحفظ الدين الذي يجمع ، وأن يحذر أشد الحذر من الفرقة؛ وذلك بالبعد عن الأهواء التي تفرق ، ولهذا ما أجملها من كلمة تداولها السلف وأهل السنة قديما وحديثا حيث يقولون : «أهل السنة والجماعة ، وأهل البدعة والفرقة» كلمة عظيمة جدا ، «أهل السنة والجماعة» لماذا؟ لأن السنة تجمع ، والبدعة ماذا تصنع ؟ تفرق. البدعة إذا وجدت بين الناس فرقته ، والسنة إذا وجدت بين الناس جمعتهم . ولهذا لاحظ ملاحظة عجيبة جدًا ؛ أن نبينا عليه الصلاة والسلام عندما قال : ((إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا)) نبه في الوقت نفسه إلى ما يحقق الاجتماع ودعاء إليه وإلى ما يوجب الفرقة وحذر منه ، لاحظتم عندما قال ((إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا)) نبه في الوقت نفسه على ما يحقق الاجتماع ودعاء إليه وهو السنة قال ((عليكم بسنتي)) ، ونبه في الوقت نفسه على ما يسبب الفرقة وحذر منه فقال ((وأياكم ومحدثات الأمور)) ؛ فمحدثات الأمور تفرق الناس ، وسنته عليه الصلاة والسلام تجمع الناس وتؤلف بينهم . ولهذا من أراد لنفسه ولأمة الإسلام أن تجتمع فليكن داعيةً إلى السنة محذرا من البدعة ، لأن السنة هي التي تجمع الناس ، والبدع هي التي تفرق الناس ، وإذا أردت شاهد ذلك ودليله فانظر حال الناس قبل مبعثه وحالهم بعد مبعثه ما لذي جمعهم ؟ لم يجمعهم إلا الحق والهدى الذي بُعث به عليه الصلاة والسلام ودعاء الناس إليه من إقامة التوحيد وإخلاص الدين لله تبارك وتعالى وإتباع نبيه صلى الله عليه وسلم ولزوم ما جاء به والحذر من الضلالات والأهواء والجاهليات والأباطيل ؛ هذا الذي اجتمع عليه الناس واتحدت كلمتهم بمبعثه صلوات الله وسلامه عليه .

هذه الخصلة الثانية والمسألة الثانية من مسائل الجاهلية التي جاء الإسلام بمخالفتها والتحذير منها .

قال رحمه الله تعالى :

الثالثة : أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة والسمع والطاعة له ذل ومهانة ؛ فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة ، وغلظ في ذلك وأبدأ فيه وأعاد. وهذه الثلاث هي التي جمع بينها فيما صح عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين أنه قال: ((إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم))، ولم يقع خلل في دين الناس وديناهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها.

ثم ذكر رحمه الله المسألة الثالثة قال: «إن مخالفة ولي الأمر -أي من ولي أمر الناس- إن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة والسمع والطاعة له ذل ومهانة» هذه ما هي؟ هذه جاهلية كان عليها أهل الجاهلية قبل الإسلام ومبعث النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ؛ كانوا يرون أن مخالفة ولي الأمر يعني إذا كان وليهم أمير أو تولى عليهم وإل يرون أن مخالفته وعدم الانقياد له فضيلة ، ويعدون هذا نوع من الرجولة ونوع من الجدارة ونوع من الشهامة ونوع من العزة ألا يسمع ولا يطيع ، وتجد الواحد منهم يقول في نفسه أنا أكبر من أن أسمع وأطيع ، هذه جاهلية كانوا عليها ، وعند أدنى مبرر يأنف من السمع والطاعة ؛ انظر شاهد ذلك في أهل الكتاب ماذا قالوا ﴿أَنْتَ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ الْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] عند أدنى مبرر تجده تأتية أنفه وتعالى وكبرياء ويشق عصا الطاعة ؛ هذه جاهلية كانوا عليها ، يرونها فضيلة ويتفاخرون بها أنه لا يسمع ولا يطيع وأن هذا نوع من الرجولة التي يتميزون بها والشهامة التي يتميزون بها والفضائل التي يختصون بها أنه لا يسمع ولا يطيع ، "أنا أسمع وأطيع!!" يقول "أسمع لفلان وأطيع لفلان!! لا ما أسمع له ولا أطيع ولاكرامة.." إلى آخره ، ثم يتفاخرون في أشعارهم ويمتدحون أنفسهم أنه لا يسمع ولا يطيع .

فكانوا يعدون مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة والسمع والطاعة له ذل ومهانة ؛ أن سمعه وطاعته لولي الأمر ذل ومهانة له يقول "كيف أبقي ذليل !! هذا ملك علي أو هذا وال علي أو هذا أمير علي !! أنا أمير نفسي ، أنا ليس لي أمير ولا يمكن أقبل إمارة لأحد على نفسي" هذه الجاهلية التي كانوا عليها هي التي جعلت أمورهم كلها فوضى ودائما في انشغاقات وفي تصدع وفي قتال وفي خلافات إلى آخره ؛ لماذا؟ -لاحظوا يا إخوان- لأن أمر الناس لا يتحقق إلا باجتماع ، ولا اجتماع إلا بأمر ، ولا أمير إلا بسمع وطاعة منتظمة .

أمور الناس ومصالح الناس لا يمكن أن تتحقق إلا بأمر وتفكر في هذا الأمر قليلا ؛ عندما يكون أناس في مجتمع وليس عليهم والي ، ليس هناك والي يسوس الناس كيف يصبح حال الناس؟ إذا كانوا كل والي نفسه وكل أمير

نفسه كيف يصبح حال الناس؟ والله تكون حالهم أقبح من حال الوحوش في الغابات ، إلا إذا كان عليهم أمير وينظم أمرهم ويسوسهم ولهذا قيل :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة لهم إلا إذا جهّاهم سادوا
فالناس ما يصلحون فوضى بدون أمير ، إذا لا تتحقق المصالح إلا باجتماع ، ولا اجتماع إلا بأمير ، ولا أمير إلا بسمع وطاعة ؛ إذا وجد الأمير والناس الذين من تحته كل واحد منهم يقول أنا أكبر من أن أسمع لهذا وأطيع ، أو آخر يقول : أتئى يكونوا له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، يقول " أنا أولى بالملك من فلان ، أنا فلان ابن فلان ابن فلان أنا أولى من هذا وأجدر منه بالملك ، وأنا عندي أموال كثيرة وأنا كذا وأنا كذا " ؛ فيأنف من السمع والطاعة ويتكبر على ذلك ، فهذه الجاهلية التي كانوا بها هي التي فرقتهم ؛ فجاء الإسلام بالاجتماع ، وجاء أيضا بوجوب تنصيب الوالي والسمع والطاعة له ، وجاء في هذا الباب أحاديث كثيرة جدًا حتى إن من اهتمام النبي عليه الصلاة والسلام بمسألة السمع والطاعة لولي الأمر جعلها مضمومة إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ومباني الإسلام الموجبة لدخول الجنة ، وقد قال ذلك في حجة الوداع في آخر حياته عليه الصلاة والسلام في حديثه الصحيح قال: ((أعبدوا ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة مالكم ، وأطيعوا ذا أمركم ؛ تدخلوا جنة ربكم)) ، فذكر طاعة ولي الأمر والسمع والطاعة لولي الأمر مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ضمها إلى مباني الإسلام قال: ((تدخلوا جنة ربكم)) .

ومن الناس الذين دخلت عليهم هذه الجاهلية -جاهلية عدم السمع والطاعة لولي الأمر- تجده إذا قرأت عليه الأحاديث التي في الأمر بالصلاة يقبلها ، أحاديث في إيتاء الزكاة يقبلها ونفسه تنشرح لها ، تقرأ عليه أحاديث في الصيام تنشرح لها ، تقرأ عليه أحاديث في الإمارة والسمع والطاعة تنقبض نفسه وتنكمش وينفر منها! لماذا؟ إلا لكون هذه الجاهلية دخلت عليه جاهلية أهل الضلال والباطل ، فتجده تنقبض نفسه من هذه الأحاديث ويأنف من سماعها وقبولها والله في القرآن الكريم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] فأمر جل وعلا إلى طاعة ولي الأمر ، قال أبو هريرة: «ولي الأمر: أي الأمراء» والنبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أطاع أميري فقد أطاعني)) ، وجاء عنه في هذا الباب أحاديث كثيرة جدا .

قال: «فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم» خالفهم : أي في هذه الجاهلية جاهلية عدم السمع والطاعة والانقياد لولي الأمر .

قال : «فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالصبر على جور الولاة» لاحظ هنا ملاحظة أن النبي عليه الصلاة والسلام أمر بالسمع والطاعة حتى للأمير الجائر ، أمر أن يسمع له ويطاع حتى ولو كان أمير جائرا ظالما يسمع الإنسان ويطيع ، لماذا؟ لأن مصلحة المجتمع الإسلامي لا يمكن أن تتحقق إلا بالانتظام ، وساعة

يعيشها الناس مع أمير جورٍ خير من سنوات بلا أمير ، لأنهم بلا أمير تصبح أمورهم فوضى لا حد لها ، أما إذا كان الأمير جائر نعم يتضررون في بعض الجوانب لكن في الجملة أمرهم منتظم والأمن فيهم متحقق ومصالحهم ماضية ومثل هذه الأمور الكبار متحققة ؛ فأمر عليه الصلاة والسلام بالسمع والطاعة حتى وإن جار الأمير وأمر بالصبر ، ولهذا قال: «وأمر بالصبر على جور الولاة»؛ جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من رأى من أميره شيء يكرهه فليصبر)) وهذا قول المصنف «أمر بالصبر» ، قال: ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتةً جاهلية)) ، قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث في معنى قوله ((إلا مات ميتةً جاهلية)) قال: «أي على صفة موتهم من حيث أنهم فوضى لا إمام لهم» ، الجاهلية هذه كانت حالهم فوضى لا إمام لهم . فمن مات مفارق الجماعة منشق عن السمع والطاعة نازعاً يد الطاعة للأمير ومات على هذه الحال يكون مات موتة الجاهلية، لماذا؟ لأن الجاهلية كانت أمورهم فوضى لا إمام لهم ، وإذا وجد إمام لا يسمعون له ولا يطيعون . أيضاً جاء عنه عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم أنه قال: ((من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية)) أي مات على الحال التي يموت عليها أهل الجاهلية من أنهم كانوا يعيشون فوضى لا إمام لهم ولا أمير ، فالإسلام جاء بمحاربة ذلك .

ثم قال رحمه الله : «وأمر بالسمع والطاعة» وهذا جاء في أحاديث كثيرة ، منها حديث العرابض بن سارية المشهور قال: «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا» قال: ((أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي))، السمع والطاعة: أي أن تسمع لقوله وتطيع لأمره ((والنصيحة)) وهذا في قوله عليه الصلاة والسلام في حديث تميم بن أوس الداري قال: عليه الصلاة والسلام : ((الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة)) قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : ((لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)) ؛ فالنصيحة لولي الأمر مطلوبة ، وما هي النصيحة ؟ قال أهل العلم في معناها : هي إرادة الخير للغير ، النصح لولي الأمر أن تريد له الخير ، تحب في قلبك له الخير ، تحب أن يكون صالحاً ، تحب أن يكون تقياً ، تحب أن يكون محكماً لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، تحب أن يكون بعيداً عن الأهواء والضلالات ، أيضاً تدعو له بالخير والصلاح ، تدعو له أن يصلحه الله ويصلح به البلاد وأن يذهب عنه البطانة الفاسدة وبطانة السوء ، تدعو لهم بذلك ، وإذا رأيت منه شيء تكرهه تنصحه بينك وبينه كما جاء عن نبينا عليه الصلاة والسلام ((من رأى من أميره شيء فليأخذ بيده ، فإن قبل وإلا أدى الذي عليه)) إذا كنت قادراً على ذلك ، وإذا كنت لست قادراً بلّغ من أهل العلم وأهل الفضل من يستطيعون ذلك تبرأ ذمتك ذلك ، وتبقى داعياً له بأن يصلحه الله وأن يهديه الله وأن يوفقه الله وأن يبعده عن الظلم وعن إيذاء الناس إلى غير ذلك ، تدعو له فهذه النصيحة ؛ ولهذا قال العلماء رحمهم الله : «إذا

رأيت الرجل يدعو للسلطان فاعلم أنه صاحب سنة ، وإذا رأيته يدعو عليه فاعلم أنه صاحب بدعة» لأن الإسلام جاء بالنصيحة لولي الأمر ، ومن النصيح لولي الأمر أن تدعوا له بالصلاح ، ليس معنى أن تدعو له : أنه إذا ظلمك وظلم الآخرين تقول جزاه الله خيرا ، وإنما تدعو له أن يهديه نسأل الله أن يهديه ، نسأل الله أن يصلحه ، نسأل الله أن يبعده عن هذا الظلم ، نسأل الله عز وجل أن يجعله خيرا على البلاد وعلى العباد ؛ هذا مقتضى النصيحة أن تدعو له بالخير والصلاح بالعافية بالهداية ، حتى أن الفضيل بن عياض رحمه الله وهو من أئمة السلف قال كلمة عجيبة قال : «لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان» أي لا أجعلها لنفسي ، لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان لماذا؟ لأن صلاح السلطان له وللناس ، وهذا من فقه السلف رحمهم الله في هذا الباب .

قال: «وغلَّظ في ذلك وأبدأ وأعاد فيه» أي تكرر عنه في هذا المعنى أحاديث كثيرة جدا ثبتت عنه عليه الصلاة والسلام ، ومن يقرأ في صحيح مسلم «كتاب الإمارة» يجد عددا كبيرا من الأحاديث عنه صلوات الله وسلامه عليه كلها في التأكيد على هذا المعنى.

قال رحمه الله : «وهذه الثلاث - أي الخصال - هي التي جمع بينها في ما صح عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين» هذه الثلاث أي : مخالفة المشركين في ما كانوا عليه من الشرك هذا الأول ، وما كانوا عليه من التفرق هذا الثاني ، وما كانوا عليه من عدم السمع والطاعة للأمير وهذا الثالث .

يقول المصنف : «هذه الثلاث جمعها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الثابت عنه في الصحيحين أنه قال : ((إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولأه الله أمركم))» جمع هذه الثلاث في حديث واحد . ولاحظ يا أخي الكريم أن هذه الأمور الثلاث بينها ارتباط وثيق .

الخصلة الأولى قال: ((أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا)) ، وعندما يريد الناس أن يعبدوا الله عز وجل في مجتمعات بأمن وإيمان وطمأنينة أيمن أن تتحقق لهم هذه العبادة بدون اجتماع ؟ أو لا بد من الاجتماع حتى يأمنون على الدماء وعلى الأعراض فيتهيأ لهم الجلوس لطلب العلم والذهاب إلى أماكن العبادة والأمن على الأموال والأعراض إلى آخره ، فهل يمكن أن ينتظم أمر العبادة بدون اجتماع ؟! ولهذا قال : ((أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا)) .

ثم ذكر أمر مرتبط بذلك قال: ((وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) لأنه إذا تفرق الناس وكثرت فيهم الفتن وعظم فيهم الهرج والقتل غفلوا عن العبادة ولم تتحقق لهم العبادة على وجهها وتماها ، لأن القلوب شُغلت بالفتن والقتال إلى آخره ، ولهذا قال: ((وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) .

ثم ذكر الأمر الثالث مرتبط بما سبق قال: ((وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)) ؛ تناصحوا أي تكونوا ناصحين لمن ولاه الله أمركم ، والنصيحة لولي الأمر: بالدعاء له ، محبة الخير له ، السمع والطاعة له ، عدم نزع اليد من الطاعة ، عدم شق الصف ، عدم الخروج إلى آخره ؛ فهذه أمور كلها منتظمة لا يمكن أن ينتظم أمر المسلمين إلا بها . ولهذا صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه أيضا جمع هذه الأمور الثلاثة في موعظته التي وعظها الناس في مسجد الخير في منى في حجة الوداع عندما قال عليه الصلاة والسلام : ((نضر الله امرئ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فربّ حامل فقه غير فقيه وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله ، ولزوم جماعة المسلمين ، ومناصرة من ولاه الله أمرهم)) أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، فذكر هذه الأمور الثلاثة : الإخلاص لله ، ولزوم الجماعة ، ومناصرة من ولاه الله تبارك وتعالى أمر المسلمين .

ولاحظ قوله هنا ((ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم))؛ وهذا تنبيه لمفارقة المسلمين ما عليه أهل الجاهلية ، «لا يغل» أي لا يحمل غلا بل يخلص لله وقلبه مرتاح لذلك مطمئن به ، ويحافظ على الجماعة وهو مغتبط بها سعيد بها فرح بتحقيقها ، وأيضا يسمع ويطيع لولي الأمر بدون أنفة وبدون كبر مما كان عليه أهل الجاهلية ، ولهذا قال : ((ثلاث لا يغل)) أي لا يحمل المسلم عليها غل بل نفسه لينه بها مطاوعة ممتثلة لأن بها سعادة المسلمين في دنياهم وآخرهم .

قال رحمه الله منبهاً على أهمية هذه المسائل الثلاث المجتمعة في هذا الحديث : «ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو ببعضها» عندما يُخل الناس بهذه الخصال الثلاث أو ببعضها فإنه يقع عليهم الخلل في دينهم ودنياهم ، أما إذا حققوا العبودية لله والإخلاص له سبحانه واجتمعت كلمتهم وسمعوا وأطاعوا لولي أمرهم فإن مصالحهم الدينية والدنيوية تتحقق ، وأما إذا أخلوا بهذه الثلاث أو ببعضها فإن مصالحهم الدينية والدنيوية تضيع ، وإذا ضاعت مصلحة الدين تبعها ضياع مصلحة الدنيا .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة: أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد؛ فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] ، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١] ، فأتاهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارِكُمْ ثُمَّ تَقُولُوا هَذَا مَا تَدْعُونَ﴾ [الأعراف: ٣] .

ثم ذكر رحمه الله الخصلة الرابعة من خصال الجاهلية « أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد » انتبه هنا أن دينهم أي العقائد التي هم عليها والأديان التي يمارسونها ويعتقدونها مبنية على أصول أعظمها التقليد . قوله « على أصول » سيأتي ذكر بعضها ، وبدأ بالتقليد لأنه أعظم أصل عندهم يبنون عليه أديانهم . والمراد بالتقليد: أي أخذ قول الغير بغير دليل ؛ يأخذ القول على عواهنه بدون دليل وبدون معرفة حجة له ولا برهان ، وإنما يأخذ قول الغير لأن الغير معظم عنده ، إما معظم من جهة النسب والد أو جد أو نحو ذلك ، أو معظم من جهة المكانة في المجتمع والمنزلة في المجتمع ، فتجده يقلد الآباء والأجداد ويقلد الأسياف بدون معرفة الدليل ، وإنما الذي يقولونه هو الحق ولا يبحث في دليل ولا ينظر فيه .

فأعظم أصل كانوا يبنون عليه أديانهم وعقائدهم هو التقليد ، ولهذا اجتمعت كلمة المشركين من أول الزمان إلى آخره على الاحتجاج بهذا الأصل وتقديمه في باب الاحتجاج ، ولهذا بدأ المصنف رحمه الله بهذه الآية وهي قوله ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ قوله « في قرية » نكرة ، وقوله « من نذير » أيضا نكرة ؛ وهذا يشعر بأنه عام لكل من كانوا قبلنا من أهل الشرك قبل مبعث نبينا عليه الصلاة والسلام كلهم كانوا على هذا السنن وعلى هذه الطريقة ؛ إذا جاءهم نذير في مكانهم في قريتهم يدعوهم للحق والهدى لا يقبلون دعوته بحجة ماذا ؟ قال ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] هكذا يستدلون ، استدلالهم تقليد الآباء كيف ما اتفق وعلى أي حال كانوا ، نحن وجدنا آبائنا على أمة أي على طريقة وعلى ملة وعلى ديانة ، ونحن على طريقتهم لا نحيد عنها قيد أملة ولا ننظر في كلامك ولا نلتفت إليه ولا نتفكر فيه ولا نسمع لك ، نحن وجدنا آبائنا على أمة ونحن ماضون على ما كان عليه الآباء ؛ تقليد أعمى ، أصبح الواحد منهم أسلم عنقه ورقبته إلى هؤلاء يقودونه إلى ما هم عليه من ضلال ، لا يتفكر ولا يتدبر بل ولا يجروا أي الواحد منهم أن يقول للكبراء الذين عنده ما الدليل أو ما الحجة على العقيدة التي تعتقدونها؟

وهذه الجاهلية مكن لها بعض دعاة الباطل ، ونحن عرفنا فيما سبق ما من خصلة من خصال الجاهلية إلا وسيوجد في الأمة من يفعلها ، مكن بعض دعاة الباطل وأئمة الضلال لهذه الخصلة التي هي التقليد الأعمى مكنوا لها في نفوس العوام ، ولهذا بعضهم يقولون - وأنظر إلى هذه الجاهلية - " يجب أن تكون مع الشيخ كالميت مع المغسل " الميت الآن مع المغسل كيف حاله ؟ يقلبه تحت فوق إلى آخره ولا يفعل شيء الميت ، يقول أنت تكون مع الشيخ كالميت مع المغسل ، صلي شرق يصلي ، غرب يصلي أي شيء يقول يفعل ، وأيضا يعطونهم قاعدة في الباب يقول " لا تعترض فتتطرد " لا تعترض أي شيء يقوله الشيخ أسمع وأطع ، وإياك أن تقول للشيخ لماذا أنتم

تعتقدون كذا؟ ولماذا تفعلون كذا ؟ ؛ هذه جاهلية تُغرس في نفوس الجهال والعوام ولهذا لا يتفكرون في حق ولا يتدبرون . ولهذا بدأ المصنف رحمه الله بالتنبيه على هذه الجاهلية حتى يحذر المسلم ألا يكون على هذه الجاهلية التي كان عليها أهل الباطل ، بل ينبغي أن يتبين الحق وأن يتبصر ، والحق أحق أن يُتبع ، حتى لو مضيت على الباطل ستين سنة سبعين سنة ثم تبين لي الحق لا غضاضة ، الرجوع إلى الحق خيرٌ من التماسي في الباطل .

قال رحمه الله : «أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم» وانتبه لقوله «القاعدة الكبرى» أي التي يبنون عليها أديانهم .

ذكر أيضا قول الله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي المشركين الكفار ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ بماذا يحتجون ؟ وبأي شيء يستدلون على عدم قبولهم ما أنزل الله ؟ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ تَتَّبِعُوا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ ، ثم يذكر ما يدل على بطلان ذلك يقول: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي لو كان الشيطان يدعو آبائكم إلى ما يؤدي بهم إلى السعير إلى النار أيضا تمشون ؟! رأيتم شخصا لو كان أباه يمشي أمامه إلى حفرة سحيقة هل يغمض عينيه ويمشي وراءه ويلقي نفسه في الحفرة ؟ أم يقول لأبيه إذا كان أمامه "انتبه هذه حفرة تهلكك لا تمضي فيها" يمنع والده أما هو في نفسه ممتنع ، لكن هؤلاء والعياذ بالله تقليد أعمى وعندهم أنفة من أن يخرج الواحد منهم عن دين آبائه . حتى أن بعضهم قد عرف أن دين محمد عليه الصلاة والسلام هو الدين الصحيح ولكنه لم يفارقه لأجل هذا التقليد الأعمى .

واعتبروا هنا أيها الأخوة بقصة أبي طالب عم النبي ، يقول المسيب ابن حزن : لما حضرت أبا طالب الوفاة أتى النبي صلى الله عليه وسلم إليه وجلس عنده ، وكان عنده بعض رؤوس الكفار منهم أبو جهل وعبد الله ابن أمية كانوا جالسين عنده ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : ((يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)) فقال له أبو جهل ومن عنده : «بل على ملة عبد المطلب» أي بل قل على ملة عبد المطلب ، لماذا هذا السؤال أنبهكم أن تجيلوا الفكر فيه لماذا قال له بل على ملة عبد المطلب ؟ يعني لماذا لم يقل "بل على دين عبادة الأصنام" ، "بل على الدين الذي نشأنا عليه"؟ نص على كلمة على ملة عبد المطلب ؛ «بل على ملة عبد المطلب» ؟ لأن هذا أصل كبير متمكن في النفوس ، مثل عندنا «قال الله تعالى» تماما ، إذا قلت للمسلم "قال الله تعالى" يعظم القرآن تعظيما بليغا يقول ليس لي كلمة مع قال الله تعالى ، هذا أصل كبير يعتبر عندهم ولهذا ذكره بهذا الأصل الكبير دون غيره ، قال «بل على ملة عبد المطلب» يعني على التقليد الذي نحن عليه للآباء والأجداد ما نتحرك عنه قيد أنملة ، فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم عليه قال ((يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)) قالوا له : بل على ملة عبد المطلب ، فمات والعياذ بالله وهو يقول : هو على ملة عبد المطلب ، وحزن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ((لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك)) ، فأنزل الله عز وجل قوله ﴿مَا كَانَ

لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴿١١٣﴾ [التوبة: ١١٣] وأنزل الله تسليَةً لِنبيه قوله سبحانه ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الفصل: ٥٦] . فهذه حجة مضي عليها أهل الشرك وهي كبرى حججهم وأعظم أصولهم التي يبنون عليها أديانهم وعقائدهم .

قال المصنف : «فأَتَاهُم -أي النبي عليه الصلاة والسلام- بقوله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ [سبا: ٤٦]» لأنهم قالوا فيما قالوا في شأن النبي عليه الصلاة والسلام إنه مجنون ، وقالوا كاهن ، وقالوا ساحر ، إلى آخر ذلك ؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام طلب منهم أن لا يستمعوا لهذه الكلمات هكذا بل يتفكروا .

ما وجه الشاهد من الآية لزم التقليد ؟ المقلد يأخذ قول الآخر بدون دليل وبدون تفكر وبدون تدبر ، أما الذي يتفكر ويتدبر وينظر في حقيقة الأمر تنكشف له حقائق غير الذي قيلت له ، أنا أضرب لكم مثلاً جميلاً من أجل ما يكون في هذا الباب؛ في صحيح مسلم حديث ابن عباس في قصة ضمام الأزدي ، ضمام الأزدي جاء إلى مكة في أول مبعث النبي عليه الصلاة والسلام فكان إذا مشى في طرقات مكة يسمعون يقولون "إن محمداً مجنون" ، انتبه معي للآية ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ ، هم بينهم يروّجون في الناس "محمد مجنون" ، وكلما جاء شخص إلى مكة من الغرباء قالوا له : انتبه عندنا واحد اسمه محمد مجنون لا تقربه ، عقله مختل لا تأتي عنده ولا تسمع له ، إذا أخذ قولهم هكذا كما قالوه قبله بدون دليل وبدون تفكر لن يقرب من محمد عليه الصلاة والسلام أبداً ولا يسمع له ، من الذي يريد أن يجالس مجنوناً !! من الذي عنده وقت يذهب ويجالس مجنون أو يسمع لمجنون !! فكانوا يضعون هذه الكلمات للصمد . ضمام دخل مكة فكان يسمع الناس في الشوارع يقولون "محمد مجنون" الكلمة فاشيه في مكة ، الله أكبر !! الآن في مكة تتردد «محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم» وفي ذاك الوقت كان مكة يتردد فيها وفي أرجائها وفي شوارعها وبين الناس "محمد مجنون" هذا الذي كان يتردد في طرقات مكة وفي شوارع مكة محمد مجنون وكل ما دخل واحد لا يسمع من الناس إلا هذه الكلمة . ضمام دخل إلى مكة وسمع الناس يقولون "محمد مجنون" فماذا قال؟ قال: «إنني راق» كان يرقى وبعض أهل الجاهلية كان عندهم الرقية ، وفي الحديث قال النبي عليه الصلاة والسلام ((أعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقية ما لم تكن شركاً)) ، قال : «إنني لراقٍ وشفى الله على يدي من شاء ، لئن لقيت محمداً لأقرأن عليه لا أرقينه لعل الله يشفيه على يدي» مجنون!! أنا أرقى رقيت عدد وشفاهم الله على يدي ، لئن لقيت محمداً لا أقرأن عليه لعل الله يشفيه على يدي ، فلما لقي النبي عليه الصلاة والسلام عرض عليه أن يرقيه قال له : «إنني لراق وإن الله شفى على يدي من شاء من عباده فهل لك في ذلك؟» يعني تريد أقرأ عليك لعل الله يشفيك من هذا الذي أنت فيه ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ((إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا

، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)) قال الرجل : أعد علي كلامك هذا ، كلام عظيم جدا ، كلام من أكبر الكلام وأعظم الكلام وأفخم الكلام وأجمل الكلام ، هذه الكلمات جمعت الدين كله وجمعت الجمال كله ، من أجمل الكلام وأبدعه ، كلام من أقوى ما يكون ، شيء آخر غير الدعايات التي تروّج والتي تُبث ، أعجبه الكلام غاية الإعجاب وشدّه قال: «أعد علي كلامك هذا» فأعاده النبي عليه الصلاة والسلام فماذا قال ضمام؟ قال : «لقد سمعتُ كلام السحرة وما هذا بكلامهم ، وسمعت كلام الكهنة وما هذا بكلامهم ، وكلام المجانين وليس هذا بكلامهم ، أعطني يدك أبايعك على الإسلام» فقال النبي صلى الله وسلم : ((عنك وعن قومك؟)) قال : «عني وعن قومي» كان سيّدًا في قومه ، فبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام عنه وعن قومه ، أسلم هو وقومه .

الله عز وجل هنا يقول : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفَةٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ أعمل عقلك وفكر وانظر فيما يقال لك ، أما أن يقول لك كلام هكذا بدون دليل وبدون حجة وبدون برهان تصدق كلامه !! أنا سأضرب مثالا لا بد أن أضربه في هذا المقام ، من باب الإنصاف والأمانة التي نبرئ بها الذمة أمام الله سبحانه وتعالى . أذكر مره كنت في إحدى الدول فجمعي مجلس في سيارة مع رجل جميل في هندامه وفي هيئته ومظهره ، ونحن في السيارة وأنا إلى جنبه التفت علي قال: أنت من أي البلاد ؟ فعرفته بنفسه ، فقال: في ضمن كلام له قال: "عندكم محمد بن عبد الوهاب هذا رجل يكره النبي صلى الله عليه وسلم ويكره آل البيت" قلت سبحان الله يكره النبي ويكره آل البيت !! قال: نعم ، قلت: هذا كفر بالله عز وجل ، أين وجدت هذا الكلام نسأل الله العافية ، في أي كتاب من كتبه وجدت أنه يكره النبي ، قلت له محمد بن عبد الوهاب كما تعرف -ولا أدري هل يعرف ذلك أو لا- مات أكثر من مئة سنة وله كتب ، في أي كتاب من كتبه وجدته يعلن كراهيته للنبي عليه الصلاة والسلام ويعلن كراهيته لآل البيت ؟ قال: موجود ، قلت: أعطني الموجود وين الموجود هذا كتبه موجودة حتى هنا عندكم ، إذا تحب نجلس أنا وإياك نذهب ونقرأ في كتبه أرني هذا حتى أنا أرجع نذيرا للناس أحذرهم من هذا الرجل الذي يكره النبي ، "يا أخي وين هذا الكلام؟" بهذه الصفة أنا كنت أتحدث معه ، قلت يا أخي أطلعني على هذا؟ قال: موجود قلت: أعطني الموجود ، قلت: أنا سأزيدك من الأمر ، إذا أعطيتني من كتبه هذا الذي تذكره عنه أنا سأعطيك لقاء أتعابك وجهدك وتعاونك معي سأعطيك مبلغ -وأعطيته مبلغ مغري جدًا من المال- قلت هذا المبلغ وكان معنا سائق السيارة وشخص آخر راكب كان يسمعون الحوار الذي بيني وبينه ، فالتفت علينا سائق السيارة متفاعلا مع الحديث وقال : أيوه صح أمش معاه وطلّع له الكلام ويعطيك المبلغ ، قلت: له تجي معانا ؟ قال: انا أجي معاكم كمان ، وكنا متفاعلين في الحديث قلت أعطيني الكلام أنا أبغى نص واحد فقط في أي من كتبه أنه يكره النبي صلى الله عليه وسلم ويكره آل البيت؟ فسكن قليل قال: يعني

مش موجود؟ قلت: كيف يعني مش موجود؟ أنت الآن الذي تقول أنه يكره النبي ويكره آل البيت أنت الذي تثبت لي ، أعطني الشيء الذي تقوله من كتبه ، فالآن لماذا تقول لي ما هو موجود؟ أنت لم تقول أنه يكره معناه أنك عندك حجج وعندك أدله تثبت ذلك قاطعه ، هل ترضى أنني أنسب لك شيء الآن وأنا ما رأيت وما عندي دليل عليه؟ قال: لا ما أَرْضَى. قلت: كيف ترضى لهذا العالم والإمام أن تنسب له كفر بالله سبحانه وتعالى وأنت ما عندك دليل ولا برهان !! قلت: له يا أخي الشيخ محمد بن عبد الوهاب له ستة أولاد تدري ما أسمائهم؟ قال: لا قلت: واحد أسمه الحسن ، وواحد الحسين وعلي وإبراهيم وعبدالله وفاطمة كلهم بأسماء آل البيت ، وواحد أسمه عبدالعزيز ليس اسماً من أسماء آل البيت ، والباقي كل أولاده سماهم على آل البيت هذا ماذا؟ قال: كيف؟ قلت: ما أدري أنت الآن الذي تبين لنا الأمر، قلت: الآن أنا سأُنهي معك الحديث بكلمة واحدة ، قلت: أنت ستقف أمام الله سبحانه وتعالى بكلماتك هذه إذا لم تتب منها ستلقى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ويكون خصمك هذا الرجل الذي تفتري عليه وتتقول عليه ما هو منه براء ، وما يبرأ منه أقل مسلم فضلاً عن إمام جليل من أئمة المسلمين ، وقلت له : أنا أزيدك من الأمر أنا ملتزم لك أن أُطِيعك في كتبه كلها تعظيم النبي عليه الصلاة والسلام وتوقيره والذب عنه واحترامه صلى الله عليه وسلم والذب عن سنته والذب عن آل بيته وبيان مكانة آل البيت وفضلهم إلى غير ذلك ، هذا كله موجود في كتب الشيخ قال: عجيب!

فالشاهد أن بعض الناس عندهم تقليد أعمى ، والتقليد الأعمى: قبول قول الغير بلا دليل ، ويمشي في مثل هذا التقليد الأعمى والعياذ بالله ويمضي عليه ثم يموت والعياذ بالله وهو عدو للدين وعدو لأولياء الله عز وجل وعدو للصالحين من عباده . الشاهد أن المصنف هنا قال: «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ قُرْآنٍ﴾ ثُمَّ تَوَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ» ، الشاهد من الآية : أن الله دعاهم للتفكر ، والتفكر أمر لا يقوم به المقلد التقليد الأعمى .

قال: «وَقَوْلُهُ ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ﴾» [الأعراف: ٣] « الشاهد من هذه الآية : أن الله عز وجل أمر بإتباع المنزل منه سبحانه وتعالى ، وحذر من إتباع الأولياء من دونه الذين يدعون الناس إلى تقليدهم والأخذ عنهم بلا حجة ولا برهان .

هذه المسألة الرابعة من المسائل التي خالف النبي صلى الله عليه وسلم فيها أهل الجاهلية ، ومن نجاه الله عز وجل من مثل هذا التقليد الأعمى ولاسيما في مثل هذا الزمان لشيوخ الباطل وأئمة الضلال يوفقه الله سبحانه وتعالى لكل خير . ولعلي أختم الحديث بقصة أخرى مفيدة في بابنا ذكرها لي رجل من الجمهوريات الإسلامية التي أنحلت وخلصها الله عز وجل مما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي ؛ رأيت رجل في تلك المناطق قال لي قصة عجيبة ، قال : أول رجل عربي زارنا بعد الانفتاح رجل من بلاد كذا ، سمى لي بلده ولا حاجة لي بذكر بلده ، فألقى كلمة

عندنا فالمسجد فألححت عليه أن يأتي عندنا بالبית ، يقول وكان قبل مجيئه كان وصلني كتاب جميل جدا للشيخ محمد بن عبد الوهاب كله آيات وأحاديث قرأته وأعجبنني ؛ آيات وأحاديث قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم ، يقول أعجبنني الكتاب وقرأته كثيرا ، يقول فجاء الرجل وجلس عندي وكان الكتاب بجانبه فلما رآه وقرأ اسم الشيخ رمى الكتاب بقوة في الأرض وقال كيف تدخل مثل هذا الكتاب؟ وذكر ألفاظ قبيحة له يقول أنا هالني الأمر مع أي قرأت الكتاب أكثر من مرة لم أرى فيه إلا آيات وأحاديث ، وتفكرت في الأمر قلت إذا كان هذا الكتاب في باطل فالباطل في الآيات والأحاديث لأن الكتاب ليس فيه إلا آيات وأحاديث ، يقول هكذا تفكرت في الأمر ، ثم ذهبت إلى الكتاب وحملته برفق وأدب مع الكتاب مع كلام الله وكلام رسوله ورجعت إلى الشيخ مرة ثانية وجلست بجانبه وقلت أنا رجل ما عندي علم وأنت رجل عالم هذا الكتاب تفضل أقرأ الكتاب وأطلعني على بعض الباطل الذي فيه ، أنت الآن تقول فيه باطل أطلعني حتى أستفيد وأحذر من الكتاب ، يقول أنا في قراره نفسي مطمئن ما فيه شيء لأنه آيات وأحاديث مجمعه جمعها الشيخ ورتبها رحمه الله ، يقول أنا مطمئن ما غيه خطأ يقول فمسك الرجل الكتاب وقبَّه ينظر فيه من أوله إلى أن وصل صفحة الغلاف ، صاحب القصة هو الذي يحدثني بنفسه يقول إلى أن وصل إلى الغلاف ، يقول ولما وصل إلى الغلاف قال الأمر يحتاج إلى دراسة الآن ما عندنا وقت ، عرفت أن ما فيه ، تفكر الرجل ، أما الذي يأخذ الكلام هكذا على عواهنه يضلّه أئمة الضلال الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم عنهم ((إن أخوف ما أخاف على أمتي أئمة الضلال)).

وأسأل الله عز وجل ألا يجعل في قلبنا غلا لأحد من عباده المؤمنين ؛ ولا سيما الأئمة المصلحين والدعاة المجددين أئمة الهدى وأئمة الحق وأنصاره . نسأل الله عز وجل أن يصلحنا ، وأن يهدينا ، وأن يهدي لنا وأن يهدي بنا ، وأن ييسر الهدى لنا ، وأن يبارك لنا أجمعين في أوقاتنا وأعمارنا وذرياتنا وأموالنا ، وأن يجعلنا مباركين أينما كنا ، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ، وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر ، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنه تبارك وتعالى غفور رحيم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :
الخامسة : أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر ، ويحتجون به على صحة الشيء ، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله ؛ فأتاهم بضد ذلك ، وأوضحه في غير موضع من القرآن .

قال المصنف رحمه الله تعالى : «أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر» ؛ هذه قاعده تدل على جاهلية أولئك وعدم تفكيرهم في الأمور وتبصرهم فيها وبحتمهم عن الحق والهدى ، وإنما يقيسون الأمور بمثل هذه الأقيسة الفاسدة التي يبنون عليها صحة الأمر الذي هم عليه .

في المسألة الأولى التي جاءت قبل هذه المسألة كانوا يبنون الباطل الذي هم عليه على التقليد الأعمى وأخذ قول الغير بغير دليل ، وهنا يجعلون حجتهم ومستندهم على الباطل الذي هم عليه كثرة عددهم ، ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعْزِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٥] أي من دلائل أننا على الحق وشواهد صحة ديننا وسلامة عقيدتنا أننا أهل كثرة في المال والأولاد ؛ قالوا كثرة أولادنا وكثرة أموالنا هذا دليل على أننا لا نعذب ، العذاب لا يصيبنا ، الدليل الكثرة .

وهذا يكثر في احتجاج هؤلاء على باطلهم بكونهم أكثر عدداً أو أكثر مالاً أو أكثر ولداً أو نحو ذلك، ثم في الوقت نفسه يُعملون الدليل من جهة أخرى يقولون: إن الدليل على بطلان ما جاء به الأنبياء أن أعدادهم قلة وأن أتباعهم شذمة قليلون ، فقلة عدد من مع الأنبياء من الأتباع وكثرة عددهم هم يقولون هذا دليل على أننا نحن على حق وليس الأنبياء ومن اتبعهم ، قد جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((رأيت النبي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد ، والنبي يأتي معه الرجل ، والنبي يأتي معه الرجلان ، والنبي يأتي معه الرهط العدد)) الذي هو دون العشرة ، فقلة العدد عند الأنبياء وقلة الأتباع وكثرة عددهم هم جعلوا ذلك دليلاً على صحة ما هم عليه ودليلاً على بطلان ما جاء به الأنبياء .

فهذا قياس باطل وجاهلية جهلاء كان عليها هؤلاء القوم ؛ ولهذا قال المصنف رحمه الله مبيناً هذه الجاهلية قال :

«أن من أكبر قواعدهم» منبهاً بذلك إلى أن هذه قاعدة كبيرة جداً عند القوم «الاغترار بالكثرة» يغترون بكثرة عددهم.

«أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالكثرة ، ويحتجون به على صحة الشيء» انتبه هنا إلى قوله رحمه الله «ويحتجون به على صحة الشيء» ، مثلاً إذا قيل لهم ما الدليل على صحة عبادتكم للأصنام؟ وعلى بطلان التوحيد الذي تدعو إليه الأنبياء؟ يقولون: أكثر الناس على هذا الشيء الذي نحن عليه ، أكثر الناس على هذا الأمر ، وأقل الناس هم الذين اتبعوا الانبياء ؛ فيجعلون دليل صحة ما هم عليه كثرة الناس !! أرايتم لو كانت كثرة الناس اجتمعت على انتهاب أموال الناس بالباطل ، على الفواحش ، على الرذائل إلى آخر ذلك.. أيكون ذلك دليلاً على صحة هذه الأشياء؛ لولا فساد القوم وفساد عقولهم؟! يجعلون مقياس صحة الأمر وسلامته واستقامته كثرة من عليه .

وهذا الأمر جاهلية ، ولا تزال توجد كما أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام: ((لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) ، الآن يستدل بعض الناس على صحة مثلاً جماعته أو حزبه أو نحو ذلك بكثرة الأصوات وكثرة الناصحين فيقول: هذا دليل على صحة مانحن عليه وأننا نحن الأحق والأولى والأجدر ، أو يقال مثلاً: الرأي العام يدل على كذا ، الرأي العام قد يكون أصحاب الرأي أو الغلبة جهلاء وسفهاء ولا يعرفون الحق ولا الهدى ، فكيف يُجعل كثرة العدد دليلاً على صحة الأمر واستقامته وسلامته؟! وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] ، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبا: ١٣] ؛ «قليل من عبادي الشكور» هل هذا دليل على أن الأكثر وهم الكفور لله تبارك وتعالى هم الذين على الحق؟! في سورة الشعراء ذكر الله سبحانه وتعالى قَصَصَ عدد من الأنبياء وكان يذكر في خاتمة كل قصة في ثمانية مواضع تقريباً يذكر جل وعلا قوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨] أي أكثرهم كافرين مشركين بالله . وقال جل وعلا في سورة يوسف: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] ، وقال : ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فالكثرة ولو كانت كاثرة جداً وعدداً عظيماً ليس دليلاً على صحة الإنسان أو صحة عقيدته أو صحة مذهبه أو صحة وجهته ، هذه ليست مقياساً ، والأصوات أيضاً ليست مقياساً ، قد يكون أكثر المصوتين سفهاء وجهلاء ولا يتبصرون في حقائق الأمور ولا يعون، فالكثرة ليست مقياساً على صحة الأمر وسلامته واستقامته .

قال: «ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله» يجعلون هذا دليلاً على بطلان الشيء ، يقولون: من الأدلة بطلان ما جاء به الأنبياء أنه أشياء غريبة ليست موجودة ، أو أعداد أتباع الأنبياء قليلون فهذا دليل على أن الأمر الذي عليه الأنبياء أمر باطل . قد قال عليه الصلاة والسلام: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)) ، وانتبه هنا إذا عاد الإسلام غريباً كيف تتحول حال كثير من الناس بسبب غلبة الجهل عليهم

وقلة العلم إلى تعظيم ما يخالف دين الأنبياء وما يدعو إليه الأنبياء بحجة أن أكثر الناس على ذلك ؛ وهذا نوع من غربة الدين ونوع من مشابهة أهل الجاهلية في هذه الحُصلة التي نبهه عليها المصنف رحمه الله تعالى .

قال: «فَأَتَاهُمْ بِضِدِّ ذَلِكَ وَأَوْضَحَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ» يشير رحمه الله تعالى إلى الآيات الكثيرة التي فيها بيان الله سبحانه وتعالى إلى أن أكثر الناس على الباطل ، وأقلهم هم الذين على الحق وعلى الشكر لله عز وجل وعلى الإقامة لتوحيده جل وعلا ؛ مما يدل دلالة واضحة إلى أن الكثرة ليست مقياساً لصحة الأمر الذي يعتقده الإنسان .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة : الاحتجاج بالمتقدمين ؛ كقوله ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥١] ، وقوله : ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى﴾ [المؤمنون: ٢٤] .

السادسة من مسائل الجاهلية : «الاحتجاج بالمتقدمين» ؛ أي يحتجون على ما هم عليه من باطل ، أو يحتجون أيضاً على أبطال ما جاء به الأنبياء بالمتقدمين ، كأن يقولوا مثلاً هذا الذي دعوت عليه لا نعرفه نحن ولا يعرفه آبائنا ولا أجدادنا ، فيحتجون بالمتقدمين . أو أيضاً يحتجون بالمتقدمين على الممارسات الخاطئة التي هم عليها يقولون: هذا الذي نعمله نحن فعله آبائنا من قبل وفعله آبائهم وآباء آبائهم ، كلهم كانوا يفعلون ذلك فمعنى ذلك كلنا على باطل وأنت وحدك على حق؟! والنفر الثلاثة أو الأربعة الذين معك أنتم الذين على حق؟! ونحن وآبائنا وأجدادنا كل هؤلاء على باطل!! كل هذه الأمم على باطل وأنت وحدك على حق!! فيحتجون على باطلهم بالمتقدمين .

وهذا يكثر في احتجاج مشركين أهل الباطل في قديم الزمان وحديثه ؛ ولهذا أورد رحمه الله ما ذكره الله سبحانه وتعالى عن فرعون في محاجته لموسى عليه السلام ، لما ذكر له موسى الآيات البينات والشواهد الواضحات على وجوب عبادة الله عز وجل وإخلاص الدين له وبطلان الشرك الذي عليه هؤلاء؛ قال له فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥١] أي فما شأن القرون الأولى الماضية؟ كلهم مضوا على ما نحن عليه ، فهل هذا الذي عليه هؤلاء القرون الأولى باطل ، والذي أنت عليه وحدك هو الحق؟! ما بال القرون الأولى؟! هكذا أورد فرعون هذا الكلام في سياق المحاجة بينه وبين موسى عليه السلام محتجاً بالقرون الأولى ، ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ .

وأورد أيضا رحمه الله قول أهل الشرك والباطل: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤] ؛ يعني هذا الذي تدعوننا إليه ما سبق أن سمعناه لا من الآباء ولا من الأجداد ولا من الأولين فينا ما سمعنا هذا ؛ مستدلين بذلك على بطلان الأمر.

وهذه الجاهلية موجودة في بعض الناس، بعض الناس يذكر له سنة صحيحة ثابتة وعقيدة واضحة عليها الدليل البين فيرفضها لا يقبلها ، وإذا قيل له لماذا؟ قال: ما سمعنا بهذا لا في آبائنا ولا في أجدادنا ولا .. ؛ فيجعل عدم سماعه في ذلك أو عدم وجود لهذا الأمر دليلاً على بطلانه ، فهذه جاهلية . يجب على المسلم أن يتفكر وأن يتدبر وأن يتبع الحق أينما وجدته وأن يأخذ به إذا ظفر به .

قال رحمه الله تعالى :

السابعة : الاستدلال بقوم اعطوا قوى في الأفهام والأعمال وفي الملك والمال والجاه ؛ فرد الله ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦] وقوله: ﴿وَكُنَّا مِنْ قَبْلُ نَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] ، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] .

ثم ذكر هذه المسألة السابعة من مسائل الجاهلية : «الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال وفي الملك والمال والجاه» يستدلون -أي على صحة ما هم عليه- بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال أو في الملك والمال والجاه. إذا قيل لأحد ما الدليل على صحة هذه العقيدة التي أنت عليها ؟ قال فلان ويشير إلى أحد البارزين في الفهم مثلاً وفي الذكاء ، أو أحد أصحاب الأموال الطائلة أو أصحاب الرئاسات والزعامات ؛ يقول معنا فلان، بعضهم يقول في مقام الاستدلال : لو لم يكن معنا إلا فلان يكفي ؛ هذا حجة قاسمة لو لم يكن معنا إلا فلان هذا واحد وهو كافي فكيف ومعنا فلان وفلان وفلان!! هذا دليل هذا دليل واضح قاطع حاسم أن الذي نحن عليه هو الحق ، لو لم يكن معنا إلا فلان وحده كافي، ويشير إلى أحد مثلاً أصحاب الأموال الطائلة أو أصحاب الرئاسات، أو أصحاب الذكاء ممن لهم خبرة ودراية بأمور الدنيا ، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧] ، فيشير مثلاً إلى أحد أهل الفهم والذكاء في أمور الدنيا يقول نحن معنا فلان يقول هل تشك في ذكائه ؟ هل تشك في فهم فلان ؟ هل تشك في رجاحة عقله؟! معنا هو فيجعلون هذا دليل على صحة الأمر الذي هم عليه ، وهذا نوع من الجاهلية التي كان عليها أولئك .

قال: «الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال وفي الملك والمال والجاه ؛ فرد الله ذلك» أي رد الله عليهم هذا الاستدلال وهذا الاحتجاج بأن الذكاء والفطنة والرئاسة والمال وكثرة الأموال والأولاد هذا ليس دليلاً

على صحه الأمر، ومن ذلكم قوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ مَكَّائُمْ فِيهِ سَمَعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦] عندهم سمع، وعندهم بصر، وعندهم أفئدة، وكانوا أذكىء في أمور الدنيا وعلى معرفة وخبرة ودراية بهذه الأمور، وأيضاً أعطاهم الله عز وجل تمكين، مكن لهم، لكن ما أغنت عنهم، قوله تعالى ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ هذا فيه إبطال لمن يستدل على صحة ما هو عليه بقوم لهم أفهام أو لهم أعمال -يعني مثلاً منتجات أو خبرات أو أشياء تتعلق بمصالح الدنيا- أو أيضاً لهم ملك أو مال أو جاه، فبين الله سبحانه وتعالى بهذا السياق أن وجود هذه الأشياء ليست دليلاً ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ .

قال : «وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا مِنْ قَبْلُ نَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]» ؛ الآية الأولى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٦] هذه تتعلق بالمشركين والآيتين الآخرين تتعلق بأهل الكتاب، وأنتم تعلمون أن المصنف يسوق الجاهليات الموجودة عند المشركين وعند أهل الكتاب .

فالشاهد هنا أنَّ الآية ﴿وَكُنَّا مِنْ قَبْلُ نَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ ، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ هذا دليل على أن أهل الكتاب كان عندهم علم، ومن العلم الذي كان عندهم -وانتبهوا هنا- معرفتهم بصحة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به، حتى قبل مبعثه كانوا على علم أنه سيبعث وأنه على حق ؛ هذا العلم الذي كان عندهم والمعرفة التي وجدت عندهم قبل مبعثه، حتى إن درجة علمهم بصحة ما هو عليه بلغت هذا المبلغ الذي ذكره الله قال : ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ ، مثل ما يعرف الرجل ابنه يعرفونه ؛ إذاً العلم موجود ، الفهم موجود ، الذكاء موجود ، لكن هل استجابوا له ؟ لم يستجيبوا إلا من منَّ الله عليه بالهداية منهم، وإلا لم يستجيبوا مع وجود هذا المعرفة .

فإذاً وجود الذكاء أو المعرفة أو الدراية بالأمور، أو التمكين أو المال أو الجاه أو نحو ذلك هذا ليس دليلاً على صحة حال الإنسان ومذهبه ؛ فهؤلاء اليهود كانوا على معرفة بمبعث النبي عليه الصلاة والسلام، وكانوا يستفتحون به عليه الصلاة والسلام على الذين كفروا أي على المشركين قبل أن يبعث يقولون سيبعث رجل اسمه كذا ، صفته كذا ، يستفتحون به عليه الصلاة والسلام على الذين كفروا ، ولما بُعث كانوا يعرفونه معرفة جيدة كما يعرفون أنبائهم ، لكن هذه المعرفة لم يستفيدوا منها بالإيمان به وتصديق ما جاء به صلوات الله وسلامه عليه . ولهذا من

الناس كما قيل من يؤتى ذكاءً ولا يؤتى زكاءً ، ويؤتى فهمًا ولا يؤتى علماً ، يكون عنده فهم وعنده ذكاء لكن لا يؤتى زكاءً ، ولا يؤتى الزكاء إلا من منَّ الله سبحانه وتعالى عليه بذلك ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يُشَاءُ﴾ [النور: ٢١] .

قال رحمه الله :

الثامنة: الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء، كقوله: ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] ، وقوله: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣] ؛ فرد الله بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾

[الأنعام: ٥٣] .

هذه أيضاً من مسائل الجاهلية : «الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء» أي الضعفاء من الناس في الأجسام وفي الأموال لم يتبعه إلا الضعفاء ؛ يقولون هذا دليل على بطلان ما يدعو إليه : أن أتباعه ضعفاء، وأنهم عدد من الضعفاء وقلة من الضعفاء وشرذمة من الضعفاء هذا دليل على بطلان ما يدعو إليه .

قال : « كقوله ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾ » لا يمكن! لم يتبعك إلا الأردلون من الناس؛ أنتبعك والحالة هذه!! فجعلوا كون أتباعه الأردلون أي قلة من الضعفاء دليلاً على بطلان ما يدعو إليه ، وجعلوه مانعاً لهم من قبول ما يدعو إليه ، قالوا : ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾ .

«وقوله: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ » أي ونحن الكثرة الكاثرة وهؤلاء القلة من الله عليهم!! أي هداهم للحق وبصرهم به وصرفنا عنه ؛ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟!

قال: «فرد الله عليهم بقوله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ » ؛ فالله جل وعلا بصير وحكيم وعليم سبحانه وتعالى، يختص برحمته من يشاء ويمنّ جلّ وعلا بفضله على من يشاء، وهو حكيم سبحانه وتعالى لا يفعل شيء إلا عن حكمة ، فردّ الله سبحانه عليهم باطلهم بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة: الاقتداء بفسقه العلماء والعباد ؛ فأتى بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] ، وبقوله: ﴿لَا تَعْلَوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] .

قال رحمه الله تعالى : «التاسعة : الاقتداء بفسقة العلماء والعُباد»؛ أي من فسق من العلماء والعباد ، أُشْتُهر بعلم أو أُشْتُهر أيضاً بعبادة ثم وقع في فسق قلّ أو كثر ؛ فمن الجاهلية الاستدلال بمن فسق من العلماء والعُباد يستدلون بفعله على صحة الأمر . وهذا كثير في الناس في قديم الزمان وحديثه؛ يستدلون على صحة الأمر بمن فسق من العلماء والعباد ، والله عز وجل رد هذا الاستدلال .

قال: «فأتى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْآخِبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾» فليس دليلاً احتجاج الإنسان على معصية من المعاصي أو إثم من الآثام أو منكر من المنكرات يكون العالم الفلاني يفعله أو يكون العابد الفلاني يمارسه ؛ هذا لا يعدُّ دليلاً ، ومن الذي قال إن العالم معصوماً أو العابد معصوماً ، فليس مسوّغاً كون العابد أو العالم يقع بخطأ من الأخطاء أو تجرّه نفسه أو يضعف فيقع في خطأ من الأخطاء أو زلة من الزلات فيجعل ذلك دليلاً على صحة ذلك الأمر .

قال : «وبقوله: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سُوءِ السَّبِيلِ﴾» ؛ الشاهد من ذلك : أن الاحتجاج بالعلماء أو العُباد من فسق منهم ووقع في المعاصي والمنكرات وجعل ذلك دليلاً على صحة هذه المعصية يكون العالم الفلاني يفعلها أو العابد الفلاني يفعلها هذا من الجاهلية، العالم قد يذنب وأيضاً العابد قد يذنب ، وإذا أذنب لا يُجعل وقوعه في الذنب دليلاً على صحة الأمر .

قال رحمه الله :

العاشرة: الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم ، كقولهم ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧] .

هذه المسألة العاشرة وهي: «الاستدلال على بطلان الدين» أي : الدين الصحيح الذي بعث به الأنبياء «بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم» يقولون : هؤلاء عقولهم ساذجة ، أفهامهم قاصرة، رأيهم هو الرأي الذي يبدو لأول الأمر، ليس عندهم عمق في الرأي وتبصّر في الأمور وإنما يأخذون بالشيء الذي يلوح من أول مرة دون أن يتبصروا بالأمور ويتحققوا من الأشياء ؛ فيجعلون هذا دليلاً على بطلان الحق بأن أفهام أهله ضعيفة وحفظهم ضعيف وقليل يقولون هذا دليل على بطلان الحق الذي يدعو إليه الأنبياء أنّ أتباع الأنبياء أفهامهم ضعيفة وحفظهم قليل ؛ وهذا كله أشياء يقولها هؤلاء يردون بها الحق ويسوغون بها الباطل .

وعندما يتحدثون هنا عن الأفهام يتحدثون عن أفهام بلغوا بها مبالغ من أمور الدنيا كما نبهه الله تعالى على ذلك

بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧٠] ، وهؤلاء عندما يتحدثون عن الأفهام لا ينصرف حديثهم إلا عن الفهم في أمور الدنيا . فإذا منَّ الله عز وجل على رجل ضعيف في أمور الدنيا ولا يضبطها ولا يعتني بها ولم تأخذ اهتمامه ثم أكرمه الله سبحانه وتعالى وهداه إلى الدين الصحيح يجعل أولئك مثل هذا دليل على بطلان ما جاء به الأنبياء ؛ أن أتباع الأنبياء أصحاب الرأي القاصر الرأي الذي يؤخذ عندما يلوح أول مره فيجعلون ذلك دليلاً لهم يستدلون به على بطلان الدين الصحيح .

قال رحمه الله تعالى :

الحادية عشر: الاستدلال بالقياس الفاسد كقولهم : ﴿إِنِ اتُّمِّمْنَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] .

أيضا من الأدلة التي يستعملونها وهي تدل على جاهليتهم: «الاستلال بالقياس الفاسد»؛ يأتون بأقيسة فاسدة يردون بها الحق ، ومثل ذلك المصنف بقولهم: ﴿إِنِ اتُّمِّمْنَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي مثلنا لكم اليد والسمع والبصر ، نحن وإياكم سواء فما الذي ميّركم؟! ما الذي جعلكم أنبياء ونحن لسنا أنبياء؟! أو جعلكم أهل الحق ونحن لسنا بأهل الحق؟! ما الذي ميّركم أنتم بشر مثلنا؟! فهذا قياس فاسد . الأنبياء بشر نعم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لكن الله عز وجل أكرمهم بماذا؟! ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] أكرمه الله بالوحي ، والله سبحانه وتعالى يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ، فهم بشر مثل البشر لكن الله عز وجل أكرمهم ومنَّ عليهم بالرسالة وتمام العبودية لله جل وعلا .

قال رحمه الله تعالى :

الثانية عشرة : إنكار القياس الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله عدم فهم الجامع والفارق.

قال رحمه الله تعالى : «إنكار القياس الصحيح» أي من ضمن جاهلية هؤلاء أنهم ينكرون الأقيسة الصحيحة ؛ وهي البراهين والحجج الواضحات التي تدل على كمال الحق وصحته وسلامته يرُدُّونها ولا يقبلونها، وبالمقابل يستخدمون أقيسة فاسدة يحتجون بها ويردون بها الحق . مثلاً : الآن عندما استعملوا القياس الفاسد الماضي بعدم صحة ما جاء به الأنبياء قالوا ﴿إِنِ اتُّمِّمْنَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ، لو جئت إلى هذا القياس وعكسته عليهم في أمور يسلّمون بها ، مثل تميّز شخص عليهم بكثرة الأولاد مثلاً أو تميّز شخص عليهم بملك أو جاه ، فيقال : أتقرُّون

لفلان بكثرة الأولاد تقرون له بجاهه ومكانته ومنزلته في الناس؟ يقولون نعم ، يقال : لم تقرُّون له بهذه الأمور التي حُصَّ بها ومُيِّزَ بها وأنتم بشر مثله؟! ما الذي ميَّزه عليكم؟! فيُقلب عليهم نفس القياس الذي استدلوا به ؛ فكونهم بشر لا يعني أنهم متساوون وليس بينهم تمايز ، البشر كلٌّ يدرك تمايزهم وتفاضلهم ، والله عز وجل يميِّز على من يشاء بالعقل والفهم والذكاء والزكاء والصلاح والاستقامة ؛ هي ممن الله عز وجل وهباته وعطيائه، ومن ذلك منَّه على من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة يجتبي من يشاء ويصطفي من يشاء ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الفص: ٦٨] له تبارك وتعالى الأمر من قبل ومن بعد.

قال: «إنكار القياس الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله عدم فهم الجامع والفارق» يعني سبب الخلل في الأمرين أي في استعمال القياس الفاسد أو انكار القياس الصحيح عدم فهم الجامع والفارق . لاحظ الآن في مسألتنا هذه وقد ذكرت لكم الدليل السابق لهم أو القياس الفاسد لهم ﴿إِنَّكُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ وعكسه، أردت بذكر عكسه حتى ننتبه للمسألة التي يشير إليها الشيخ «عدم إدراك الجامع والفارق» الجامع: البشرية ، الفارق: أمور كثيرة ، فهم لا يدركون الجامع والفارق ، يجعلون الجامع وهو البشرية دليلاً على إنكار النبوة ، إذا كنتم تجعلون كون الجامع البشرية دليلاً على إنكار النبوة من لازم ذلك أن تنكروا أمور كثيرة أنتم تسلمون بها فيها تمايز بين الناس ، من ضمن ذلك ما أشرت إليه: كثرة الأولاد مثلاً، أو مثلاً كثرة الأموال الملك أو الرئاسات أو غير ذلك . الجامع في هؤلاء البشرية فما الذي ميزهم؟ يقال لهم . إذاً كون هؤلاء يعملون الأقيسة الفاسدة وينكرون الأقيسة الصحيحة السبب في ذلك كما يقول المصنف: «الجامع لهذا» أي إنكار الصحيح «وما قبله» استعمال القياس الفاسد «عدم فهم الجامع والفارق» ومن هنا وجد في القوم الخلل .

ونكتفي بهذا القدر والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



شرح مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

من الدرس ٤ إلى الدرس ٧

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

١٥/٧/١٤٤٠ هـ

الدرس الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين في كتابه «مسائل الجاهلية»:
المسألة الثالثة عشر : الغلو في العلماء والصالحين كقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] .

قال رحمه الله تعالى : «المسألة الثالثة عشرة: الغلو في العلماء والصالحين» ؛ هذه المسألة الثالثة عشرة من مسائل الجاهلية التي جاء الاسلام بمخالفتها والتحذير منها ؛ الغلو في العلماء والصالحين .
الغلو: هو تجاوز الحد وتعديه في حق أهل العلم وفي حق أهل الصلاح من العباد ، وتجاوز الحد بهؤلاء بأن يعطوا من الخصائص والصفات ما ليس للعباد ، وأن يُنزل العبد فوق منزلته ، ولهذا صح في الحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما أحب أن تنزلوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها)) ، فالعبد إذا رُفِع فوق منزلته وأُعطي من خصائص الرب وصفاته فهذا غلوٌ باطل مهلكٌ لصاحبه ، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)).

والغلو في العلماء والصالحين: يكون من جهة إعطائهم شيء من خصائص الله تبارك تعالى؛ كالتصرف والتدبير ونحو ذلك ، أو إعطائهم شيء من صفات الله تبارك وتعالى؛ كالعلم بما كان وما سيكون والاطلاع على ما في الصدور، أو بصرف شيء من العبادة لهم؛ كدعائهم والاستغاثة بهم والتوكل عليهم ونحو ذلك من العبادات ، فهذا كله غلو باطل . وأيضاً يدخل في الغلو : الإطراء والزيادة في المدح ، قد قال عليه الصلاة والسلام: ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله)).

فحذّر رحمه الله تبارك وتعالى من هذه الخصلة التي كانت فيمن قبلنا وأخبر نبينا عليه الصلاة والسلام أنها كانت سبب هلكتهم ، وساق رحمه الله آية واحدة من كتاب الله عز وجل في التحذير من الغلو وهي قول الله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] ، والشاهد من الآية: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ ؛ وهذا عام يتناول كل صورة من صور الغلو في الدين ، ومن ذلكم الغلو في العلماء والعباد.

وهذا الأمر الذي حذّر منه ربنا جل وعلا في القرآن الكريم وحذّر منه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته الصحيحة وُجد في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعله؛ تحقيقاً لما ورد في قوله عليه الصلاة والسلام: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)) ، وُجد من حصل منه الغلو سواءً في العلماء أو في العباد والأولياء والصالحين من عباد الله ، وأصبح يُعتقد في هؤلاء ويُعطون من الصفات والخصائص ما لا يكون إلا لله تبارك وتعالى . ومن يطالع كتب المبتلين بالقبورية والضلال يراها طافحة بهذا الذي حذّر منه النبي صلوات الله وسلامه عليه .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة عشرة : أن كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي: النفي والإثبات ؛ فيتبعون الهوى والظن ويعرضون عن ما جاءت به الرسل .

ثم ذكر رحمه الله المسألة الرابعة عشرة وهي : أن كل ما تقدم أي من أنواع الاستدلالات التي كان عليها هؤلاء وأنواع العقائد والمذاهب التي كانوا عليها ، يقول «كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي النفي والإثبات» ؛ والمراد بالنفي: أي نفي الحق وردّه كيفما اتفق بأي طريقة كانت ، والإثبات: إثبات الباطل بأوهى الحجج وبما لا حجة فيه ولا برهان . فكل ما تقدم مبني على النفي والإثبات ، أي أن القوم ماضون على عقائد باطلة وأديان فاسدة لا يفكرون ولا يعتبرون ولا يتفكرون ولا يتعظون ، الحق يعتقدون الحق هو هذا الذي هم عليه ، وما سواه ينفونه هكذا بلا حجة ولا برهان ، فهم كل ما تقدم مبني على النفي والإثبات بمعنى: أن القوم على عقائد من أفسد ما يكون لكن طريقتهم في الاحتجاج والاستدلال: نفي الحق كيفما اتفق ، وإثبات الباطل بأي طريقة كانت ؛ هذه طريقة هؤلاء في الاحتجاج .

قال: «فيتبعون الهوى والظن» وهذه طريقتهم في الإثبات ، «ويعرضون عن ما جاءت به الرسل» وهذه طريقتهم في النفي ؛ الإثبات الذي عندهم قائم على الهوى والظن ، والنفي الذي عندهم قائم على الإعراض عما جاءت به الرسل ، معرض عنه لا يسمع ينفيه هكذا بدون أن يسمع ، يقول: هذا الذي جاءت به الرسل هو باطل ، هل سمعت الدليل؟ هل وقفت على الحجج؟ هل رأيت البراهين؟ فينفي ينفي كل ما جاءت به الرسل ويعتقد أنه باطل، ويرى أن الذي جاء به أو الذي عنده أو الذي يعتقدوه هو الحق وليس عنده عليه أي حجة أو برهان! فهذه طريقة جاهلية كان عليها أهل الجاهلية وجاء الإسلام بالتحذير من هذا المسلك الوخيم .

قال : «فيتبعون الهوى والظن» وذلك كما في قوله عز وجل بعد أن بين بطلان عبادة الأصنام اللات والعزى ومناة قال جل وعلا في ذلك السياق: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ

الْهُدَى ﴿النجم: ٢٣﴾ : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ هذه كما قدمت هي طريقتهم في الاحتجاج والاستدلال ؛ إتباع الظن وما تهواه النفس ، والعلماء يقولون: إتباع الباطل يكون إما عن علمٍ من متبع الباطل أو عن جهل؛ فإن كان عن علم فهو إتباع للهوى ، وإن كان عن جهل فهو إتباع للظن . ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ ؛ «إن يتبعون إلا الظن» أي في الأمور التي لا يعلمونها ، «وما تهوى الأنفس» أي في الأمور التي يعلمون أن ما هم عليه باطل، فهم أهل إتباع للهوى ، ولهذا قال جل وعلا في آية أخرى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠] ، إذا كانوا غير مستجيبين لك فهم متبعين للهوى ، إذا كان يسمع الحق ويرى الحجج والبيانات ولا يستجيب هذا متبع للهوى.

فإذاً هذه طريقة هؤلاء في الاستدلال: إتباع الظن ، والظن لا يغني من الحق شيئاً ، وإتباع للأهواء؛ أي: ما تميل إليه نفوسهم الفاسدة وأهوائهم الكاسدة ، وفي الوقت نفسه إعراض تام عن الهدى وعدم قبول له. ولهذا قال رحمه الله تعالى : «فيتبعون الهوى والظن ويعرضون عما جاءت به الرسل» ؛ لا يسمعون ولا يتواصون بعدم السماع ويتواصون بالإعراض عما جاءت به الرسل ، ويحاولون أيضاً سد باب السماع لما جاءت الرسل سماع الناس لهم بأي طريقة ، ولهذا كثر وصفهم للنبي عليه الصلاة والسلام بالصفات المنفرة ؛ قالوا ساحر ، قالوا كاهن ، قالوا مجنون ، إلى آخر ذلك ؛ لأنهم أرادوا ألا يسمع أحد من الناس لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ولما جاء به من الحق والهدى .

قال رحمه الله:

الخامسة عشرة : اعتذارهم عن إتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم؛ كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] ، وقوله: ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقْنَا كَيْثًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١] ؛ فأكذبهم الله وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم وأن الطبع بسبب كفرهم .

قال رحمه الله : «المسألة الخامسة عشرة: اعتذارهم عن ما آتاهم الله بعدم الفهم» ؛ هذا مسلك من المسالك التي يجيبون بها عندما يعلنون عدم استجابتهم لما جاءت به الرسل من الحجج والبيانات والدلائل الواضحات على وجوب إخلاص الدين لله تبارك وتعالى ، فيقولون : لا نفهم ، من الأشياء التي يسلكونها يقولون لا نفهم هذا كلام غير واضح لم نفهمه ، هذا كلام غامض غير واضح لا نفهم هذا الكلام ، يقولون ذلك لرد ما جاءت به الرسل معتردين بأن هذا الذي جاءت به الرسل بزعمهم غير واضح ولا بَيِّن ، مع أن ما جاءت به الرسل أوضح الواضحات وأبين البيّنات ، جاءوا بالبراهين الواضحة والحجج الساطعة التي فيها الضياء والنور وفيها الحق والهدى

، لكن هذه من أنواع المغالطات والدعاوى الزائفة التي يدّعيها هؤلاء في ردهم للحق والهدى الذي جاءت رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه .

يقولون في رد ما أتت به الرسل : أننا لا نفهم هذا الكلام ، ويقولون: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ ، والقلوب الغلف: هي التي عليها أغلفة، بحيث لا ينفذ إليها الحق ولا يصل إليها مغلفة؛ هذا هو القلب الأغلف الذي عليه غلاف عليه غطاء ولا يمكن أن يصل إليه حق أو هدى للغطاء الذي على قلبه . ولهذا لما تأتيتهم الدعوات والحجج والبيانات يقولون: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي: قلبنا عليه غلاف ، كل هذا الشيء الذي تقولونه وتدعوننا إليه ما ينفذ إلى قلوبنا لأن على قلوبنا أغلفة تحجب سماعنا لهذا الحق ؛ هكذا يقولون.

وأيضاً يقولون هذه الكلمة بعبارات مختلفة تؤدي إلى مؤدى واحد ؛ مثل ما قال قوم شعيب: ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ ، قالوا هذه الكلمة مشعرين بأنهم غير مستجيبين مدّعين أنهم لم يفقهوا كلامه ولم يتضح لهم مراده ، مع أن عناية الرسل بإيضاح الكلام وبيانه وتجليته للناس كانت أعظم عناية ، ومن دعاء نبي الله موسى عليه السلام قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿طه: ٢٥-٢٨﴾ كانوا على عناية تامة عظيمة ببيان القول وإيضاحه حتى يكون واضحاً يفقه ويفهم ، قد بينوا البيان المبين ، وأقاموا الحجج ، وأوضحوا دين الله تبارك وتعالى تمام إيضاح ، لكن هؤلاء معرضين عن الحق ، لا نفقه كثيراً مما تقولون، قالوا قلوبنا غلف .

يقول المصنف رحمه الله تعالى: «فأكذبهم الله أكذبهم الله» أي: بين كذبهم في قولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ .

قال: «فأكذبهم الله وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، وأن الطبع بسبب كفرهم» بين تبارك وتعالى أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، والطبع على القلوب له سبب وهو: كفرهم وإعراضهم عن الحق؛ ولهذا قال جل وعلا في قولهم: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ [النساء: ١٥٥] ، وسبب الطبع على القلوب: هو كفرهم بالله تبارك وتعالى ، ولهذا استمرار الكفر واستمرار الإنسان عليه يؤدي إلى الطبع على القلب ، ويصبح القلب مغلق كالقلب الذي عليه غلاف وأحاطت به أغشية؛ فلا يسمع حقاً ولا يهتدي بهدى ، قال : «فأكذبهم الله جل وعلا وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، وأن الطبع بسبب كفرهم» .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة عشرة : اعتياضهم عما أتاهم من الله بكتب السحر ، كما ذكر الله ذلك في قوله: ﴿بَدَّلَ فِرْقَانِ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ
سُلَيْمَانَ ﴿[البقرة: ١٠١-١٠٢] .

ثم ذكر المسألة السادسة عشرة : «اعتياضهم عما آتاهم من الله بكتب السحر» أي: جعلوا لأنفسهم عوضاً عن
ما جاءت به الرسل من الوحي المبين والهدي القويم والكلام المنزل من رب العالمين، جعلوا لأنفسهم عوضاً عن
ذلك كتب السحر كتب الطلاسم والشعوذة والدجل والباطل ، فأخذوا تلك الكتب ونبذوا كلام الله واعرضوا عنه
، وأخذوا بدلاً منه كتب السحر وما تتلوه الشياطين من الضلال والباطل أخذوا ذلك بدل الكلام المنزل من رب
العالمين تبارك وتعالى ؛ وهذا نهاية الخسران والعياذ بالله .

وساق رحمه الله تعالى الدليل على ذلك قال: ﴿بَدَفَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ وقال عز وجل قبل ذلك قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ
رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَفَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)
وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ؛ قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ
سُلَيْمَانَ﴾ هذا هو اعتياضهم عن ما جاءت به الرسل بهذا الذي تتلوه الشياطين على ملك سليمان . وملك
سليمان جاءت الشياطين بكتب تلك فيها السحر والباطل ودفتها تحت كرسيه ، أخفتها تحت كرسي سليمان
كما ذكر ذلك غير واحد من المفسرين ، ثم لما مات سليمان قالت لهم الشياطين : تعالوا إلى الحكمة إلى العلوم
النافعة أنظروها تحت كرسي سليمان ، فحفروا عنه ووجدوها ؛ فأخذوا هذه الكتب التي وضعتها الشياطين وتلتها
الشياطين وتركوا الحق الذي جاء به سليمان من عند الله تبارك وتعالى! وبرأ الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان من
هذه الكتب الباطلة ، لأنهم ادَّعَوْا أن هذه هي كتبه التي ملك بها الدنيا ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ
سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ برأ الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان من ذلك .

وانتبه هنا إلى فائدة عظيمة القدر ألا وهي: أن صيغة التبرئة لسليمان من هذا الذي تُسبب إليه وهي كتب السحر
جاءت صيغة التبرئة بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ؛ وهذا يفيد أن من يأخذ كتب السحر ويتعلم السحر يكفر
بالله تبارك وتعالى ويكون كافراً بالله ، لأن الله سبحانه وتعالى برأ نبيه سليمان من هذه الكتب كتب السحر بقوله:
﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ، فأفاد ذلك أن من تعلم السحر فهو كافر بالله العظيم ، ولهذا أيضاً قال بعدها بقليل:
﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ .

ثم إن هاتين الآيتين فيهما تنبيهٌ إلى أمر مهم جداً يبيّن الخطورة البالغة التي عليها أهل السحر ألا وهي: أن الرجل لا يكون ساحراً ولا يمكن أن يكون ساحراً إلا بأمرين ، فإذا وجد فيه وجد السحر ، وإذا لم يوجد فيه لم يوجد السحر، وكفى بذلك دلالة على شناعة السحر وقبحه ؛ أمران دلت عليهما الآيتان :

● الأمر الأول : لا يكون الساحر ساحراً إلا بنبد القرآن ونبد كلام الله تبارك وتعالى ، وكلما كان نبذه لكلام الله تبارك وتعالى أشد كان تمكنه في السحر أقوى ، ولهذا من يريد أن يتعلم السحر يقول له من يعلمه: أنبد القرآن ، وكلما كان نبذك للقرآن أشد كنت أقوى في السحر! ولهذا بعضهم يطلب مما يتعلم السحر أن يلقي القرآن في القاذورات مثلاً والعياذ بالله ، أو يضع عليه العذرة والعياذ بالله ، أو يطأ القرآن بقدميه والعياذ بالله ، أو نحو ذلك من الامتهان للقرآن والنبد للقرآن تقرباً للشياطين بذلك ، أو أيضاً يقال: اكتب القرآن بدم الحيض أو بالنجاسات أو غير ذلك من الأمور ، كلما كان نبذه للقرآن أشد كان ذلك أعظم تقرباً للشياطين ورضاً منهم به . هذه الخطوة الأولى.

● والخطوة الثانية التي يكون بها ساحراً : أن يتبع الشياطين في كل ما يدعونه إليه وأن يكون مستسلماً لا يرفض لهم أي طلب ، ولهذا قال: ﴿بَذَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ هذه الخطوة الأولى ، والخطوة الثانية ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ﴾

وقد حدثني رجل من إحدى الدول: أن جاراً له ساحر ومن أهل الكهانة والسعوذة وكانت تأتيه أموال يرفع مخدته ويخرج منها أموال طائلة، يقول فجلست عنده يوم وأنا ممن يترددون عليه أيام جهل وضلال ، يقول فقلت له أنا جارك وأنا فقير وأنت عندك هذه الأموال وأنت ليس عندك ميراث ولا عندك تجارات ولا عندك أعمال؛ فهذه الأموال من أين تأتيك؟! أنا أريد أن تدلني على طريقة ، قال فدلي على طريقة قال تفعلها إذا فعلتها تكون مثلي ، ولكن أنا أطلب منك طلباً أن كل شيء يقال لك تنفذ ما تتردد في أي أمر موافق؟ قال نعم أكد عليّ هذه القضية أي شيء يطلب منك تنفذ ، يقول أنا وافقت لحاجتي لكن ما ظننت أنهم سيطلبون مني أمور عظام! يقول وكنت مما كنت محافظ عليه من صغري أشد المحافظة الصلاة ، يقول لا يمكن أن أساوم عليها ، يقول فأول ما طلبوا مني في طريقة شرحها لا حاجة لنا بها ، يقول فأول شيء طلبوه مني قال تترك الصلاة! قلت: لا، كل شيء إلا الصلاة فانفصلت منهم ونجاني الله تبارك وتعالى بالصلاة التي كنت أحافظ عليها.

فطريقة هؤلاء في تعلم السحر تكون بأمرين : نبذ القرآن وامتهانه واحتقاره وإلقائه ، وإتباع ما تتلوه الشياطين إتباعاً تاماً بدون أي تردد أو إباء ؛ وهو كفرٌ بالله تبارك وتعالى . فانظروا إلى ضلال أولئك انظروا إلى ضلال أولئك كيف أنهم أعرضوا عن القرآن واتبعوا ما تتلوه الشياطين والعياذ بالله .

وسبحان الله!! ترى وجه شبه بين هؤلاء وبين كثير من الجهال والطغام والعوام ولا سيما في الضوابط والأمراض وشدة الأسقام، تجد بعضهم يعرض عن القرآن الذي فيه الشفاء ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] يُعرضون عن القرآن هذا الذي هو كتاب الشفاء ويذهبون الى الساحر الفلاني والمشعوذ الفلاني يطلبون من جهتهم شفاء ، ثم ينفذون لهم ما يريدونه حتى ولو كان الذي يريدونه شركاً بالله!! ولهذا بعض هؤلاء السحرة عندما يأتيه المريض من أجل العلاج يقول له: تذبح ديكاً في المكان الفلاني ولا تسمي ، لا تذكر اسم الله عليه أو تذبح شاة أو تذبح كذا إلى غير ذلك من الأمور، فيعرضون عن كتاب الله عز وجل ويقبلون على ما تتلوه الشياطين وما يدعو إليه السحرة والكهنة والمشعوذين ويُعرضون عن دين الله تبارك وتعالى.

قال رحمه الله تعالى :

السابعة عشرة : نسبة باطلهم إلى الأنبياء كقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله: ﴿مَا كَانَ

إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] .

هذه طريقة أيضاً من جاهلية هؤلاء ؛ أنهم ينسبون باطلهم إلى الأنبياء، وذلك من أجل الترويج للباطل الذي عندهم، ولهذا لاحظ لما أراد أولئك أن يروجوا للسحر وكتب السحر روجوا لها وأيضاً الشياطين كانت من وراء ذلك روجوا لها بأن هذه الكتب من؟! كتب سليمان! روجوا لها بين الناس بأن هذه كتب سليمان وجدناها تحت كرسيه ، وزعموا أن سليمان ملك الدنيا بهذه الكتب ، فروجوا لباطلهم بمثل هذه الدعاوى الزائفة بنسبة هذا الباطل إلى الأنبياء؛ ولهذا برأ الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان قال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي أن هذا الذي نسبته هؤلاء إلى سليمان ؛ سليمان عليه السلام برأ منه ،وهي كفر بالله، وسليمان عليه السلام مبرأ من الكفر.

أيضاً نظير ذلك ادعاء اليهود أن إبراهيم يهودياً ، وادعاء النصارى أن إبراهيم نصرانياً ، كلٌ منهم يدّعي أن إبراهيم كان على الدين الذي هم عليه، وبرأ الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم الخليل وبين أنه حنيف مسلم وأنه لم يكن من المشركين ، برأه من ذلك كله.

وهنا تعجب من هذه النسبة! ينسبون إبراهيم الخليل عليه السلام إلى اليهودية والنصرانية ، والتوراة والإنجيل لم تنزلا إلا من بعده! ومع ذلك يقولون هذا الكلام من أجل ترويج الباطل وترويج الضلال الذي هم عليه ؛ فهذه طريقة ومسلك من مسالك أهل الضلال.

وهنا أيضاً تنتبه إلى أمر : أنهم ينسبون إلى المعظمين والأكابر ما هم منه برءاء من عقائدهم وأديانهم من أجل أن

تروج، وهذا الأمر بعينه موجود ، ونبينا عليه السلام قد قال: ((لتبعن سنن من كان قبلكم)) ، الآن أصحاب الباطل على اختلاف عقائدهم وتنوع أباطيلهم وأضاليلهم إذا سألتهم قلت لهم هذا الدين الذي تعتقدون ما هو؟ هل هو بدع أو سنن؟ أي صاحب بدعة وأي صاحب ضلالة إذا سئل وقيل له هذا الدين الذي تعتقده والمذهب الذي تنتحله ما هو؟ هل هو من البدع والضلالات أم من السنن والحق والهدى؟ أي شيء يقول؟ كل صاحب باطل سيقول هذا هو الحق وهذا هو السنة وهذا هو الدين القويم ، ما يوجد صاحب باطل يدعو إلى باطل ويقول هذا باطل! ما يوجد . هل رأيتم أو سمعتم عن أحد يقول هذه بدع وضلالات وأباطيل وأدعوكم إليها وأود أن تعتنقوها؟ ما أحد يقول ذلك. كل صاحب ضلال ينسب ضلالة إلى إلى الأنبياء . هناك كتب معروفة عند أهل العلم اسمها «كتب الموضوعات» مليئة بالأحاديث التي كُذبت على من؟ على النبي عليهم الصلاة والسلام من أجل ترويج الباطل ، حتى الشرك الصراح والكفر البين الذي بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم جاءوا بأحاديث وضعوها على النبي عليه الصلاة والسلام من أجل أن يروجوا ذلك ؛ مثل قول أحد المشركين عبدة الأوثان قال: قال صلى الله عليه وسلم "من اعتقد في حجر نفعه" ؛ هذا وضعه مشرك من أجل أن يروج للشرك ويروج للباطل. وآخر من هؤلاء يقول: قال صلى الله عليه وسلم "إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور" ؛ كل هذه الأمور يأتون كذباً وافتراءً وينسبونها إلى النبي عليه الصلاة والسلام من أجل أن يروجوا باطلهم ، يقولون: قال صلى الله عليه وسلم "إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور" ؛ النبي صلى الله عليه وسلم سُمع عنه قبل أن يموت بلحظات يقول : ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) ؛ يحذر مما صنعوا صلوات الله وسلامه عليه ، ثم يأتي الأفاكين المفترين من عبدة القبور ومن أهل الشرك والضلال وينسب إليه عليه الصلاة والسلام مثل هذه الأكاذيب ومثل هذه الأباطيل التي يبرأ وينزه عنها كل مسلم ، فضلاً عن عالم ، فضلاً عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

هذه طريقة معروفة عند أهل الباطل وأهل الضلال ينسبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه ما لم يقل ، حتى لو نظرت في فروع العقائد وتفصيل الاعتقاد تجد هناك أحاديث كُذبت من أجل ترويج الباطل . أضرب مثلاً: من العقائد الثابتة في القرآن والسنة ودلائله في القرآن والسنة كثيرة أن الإيمان يزيد وينقص ، القرآن فيه آيات كثيرة تدل على زيادة الإيمان: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والسنة جاءت مصرحة بنقص الإيمان وضعفه ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)) ، ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) ، ((ما رأيت من ناقصات عقل ودين)) النصوص واضحة . فبعض أهل العقائد الباطلة في هذا الباب يعتقدون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، فكذب بعضهم على النبي صلى الله عليه

وسلم في أحاديث في هذا الباب وساقوا إسناداً مركباً مختلفاً جاء في نهايته قالوا : أن وفد عبد القيس أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه قالوا هل الإيمان يزيد وينقص؟ قال : "لا ؛ زيادته كفر ونقصانه شرك" . كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاق وافتراء ، ومثل هذا كثير .

وهناك أناس لا يتورعون ولا يخافون الله ما يبالي يقول قال صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنه ما قال ذلك ، ولهذا جاء في هذا الباب وعيد شديد من النبي عليه الصلاة والسلام قال فيه: ((من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)) ، وجاء عنه في هذا الباب أحاديث كثيرة؛ لماذا ؟ هذا سدّ لهذا المسلك ، وأن أهل الباطل من أجل ترويج باطلهم يقولون هذا دين النبي عليه الصلاة والسلام وهذا الذي دعا إليه صلى الله عليه وسلم ، ولهم في ذلك طرق في نسبة باطلهم إلى الأنبياء ؛ من الطرق: وضع الأحاديث ، ومن الطرق دعوى المنامات ، وهذه الشيطان له فيها دور ، دعوى المنامات وأنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأنه أيدهم على دينهم ، وبعضهم يدّعي أنه خرج عليه الصلاة والسلام من القبر وصافحهم وأيدهم بيده وقال طريقتكم هذه هي الطريقة الصحيحة ، ومثل هذه الطرق التي يروجون بها الباطل على العوام .

رأيت مرة كتاباً فيه من الأباطيل والأدعية الباطلة والشركيات الشيء الكثير وفيه طلاس وأمر غامضة غير واضحة، فنظرت في هذا الكتاب قلت من يقبل هذا الكتاب! ما أتصور أن أحداً يقبل هذا الكتاب ، ثم لما وصلت إلى نهاية الكتاب وجدت مؤلفه قال: -وهذا الكلام قاله من أجل أن يروج كتابه- يقول: "لما فرغت من تأليف هذا الكتاب ترددت في نشره فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي لماذا هذا التردد! أنشر الكتاب ، وحثني على نشره ورغبني وقال لا تتأخر، يقول ثم جاءني في نفس المنام أبو بكر وجاءني عمر وجاءني ... فوجدت أنه لا بد أن أنشر الكتاب" . العوام عندما يقرءون مثل هذا الكلام تكون هذه عندهم بمنزلة متفق عليه رواه البخاري ومسلم يأخذون الكتاب برمته ؛ هذه طريقة في ترويج الباطل على العوام والضحك على السفهاء والجهال ، والعوام مساكين ليس عندهم نقد ، وإذا جاءهم مثل هؤلاء وافتروا عليهم مثل هذه الافتراءات روجوا عليهم الباطل بيسر وسهولة .

فالشاهد أن من الجاهلية التي كان عليها المشركون الأول أنهم ينسبون باطلهم إلى الأنبياء ، وهذه الجاهلية موجودة عند أصحاب الضلال وأصحاب الطرق الباطلة ينسبون باطلهم إلى الأنبياء ، ويدّعون أن هذا هو الذي جاءت به الأنبياء ؛ فيجب على المسلم أن يكون في حيطة وحذر من ذلك .

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة عشرة: تناقضهم في الانتساب ؛ ينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك إتباعه .

وهذه من عجائب هؤلاء ، والباطل دائماً متناقض وأهله متناقضون ، فمن جاهلية هؤلاء تناقضهم ، ومثل المصنف رحمه الله لتناقض هؤلاء بمثال قال: «ينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام ينسبون أنفسهم إلى إبراهيم عليه السلام مع إظهارهم ترك إتباعه» ؛ فهم في الظاهر يدعون أنهم على ملة إبراهيم وأنهم أتباع لإبراهيم الخليل عليه السلام ، لكن في واقع الأمر وحقيقة العمل هم ليسو على ما كان عليه إبراهيم الخليل عليه السلام .

فيذاً الخصلة الأولى في المسألة السابقة: «ينسبون باطلهم إلى الأنبياء» ، وهذه خصلة أخرى من خصال هؤلاء : «أنهم متناقضون ينتسبون إلى الأنبياء ويناقضون ما تدعو إليه الأنبياء». إبراهيم الخليل كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، وهؤلاء أهل شرك وباطل .

ثم سبحانه الله!! من طرائق الترويج التي كان عليها المشركين -وهو له تعلق بالمسألة السابقة- النبي عليه الصلاة لما دخل مكة فاتحاً وكسّر الأصنام بيده وتلا قول الله عز وجل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] ، لما أراد أن يدخل البيت كان البيت الكعبة بيت الله كان في داخله أصنام كثيرة جداً فما دخل عليه الصلاة والسلام وأمرهم أولاً أن يخرجوا الأصنام وأن يكسروها التي داخل الكعبة ، فدخلوا وبدأ يكسرون الأصنام ووجدوا منها صنمين ووضعتا على صورة إبراهيم وإسماعيل -بدعوى هؤلاء- وفي أيديهما الأزلام وفي أيديهما الأزلام ، فلما ذكروا ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام برأ إبراهيم وإسماعيل من ذلك قال: ((والله ما استقسما بالأزلام قط)) ، برأهما من ذلك فوضعوا الأزلام . الآن لما توضع الأزلام في يد إبراهيم وإسماعيل في تلك الأصنام التي على صورتها ويأتي الجهال من الناس ويرونها في أيديهما يعتقدون أن هذا من دين إبراهيم ؛ هذه طريقة في ترويج الباطل ونسبة الباطل إلى أنبياء الله ورسله . على كل حال كل ذلكم من الجاهليات التي عليها هؤلاء.

المسألة الأخيرة وهي : «التناقض في الانتساب» هذه أيضاً موجودة في الناس إلى هذا الزمان ، تجد من الناس من ينتسب للسنة بل أحياناً ترى كتاباً مكتوب على غلافه «عقيدة أهل السنة» ثم تدخل في الداخل ترى ضلالات وبدع! فالانتساب إلى السنة أي سنة النبي عليه الصلاة والسلام لكن الحقيقة شيء آخر !

وكلاً يدعي وصلاً لليلي وما ليلي تقر لهم بذلك

فالدعوى رخيصة ولا قيمة لها ، ولهذا حسم النبي عليه الصلاة والسلام أو حُسم هذا الأمر غاية الحسم بقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] هذا هو المحك وهذا هو المقياس؛ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ، أما مجرد الدعوى ! الدعوى من أرخص ما يكون وأسهل ما يكون ؛ أن يدعي الإنسان لنفسه أنه يحب الله أو أنه من أولياء الله أو أنه من أتباع الأنبياء هذه دعوى سهلة ، فجعل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ليمتحن الناس أنفسهم على ضوئها ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ لا يكفي مجرد الدعوى ، لو كانت الدعوى كافية ماذا قال إخوان القردة والخنازير؟ قالوا ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ

وَأَحِبَّاهُ ﴿[المائدة: ١٨]﴾ هكذا قالوا ، فالدعاوى رخيصة جداً وسهلة على كل لسان ، لكن الدعاوى إذا لم يُقم عليها بينات أهلها أدعياء ، ليس الشأن أن تحب ولكن الشأن أن تُحب أن يحبك الله ، والله سبحانه لا يحبك بمجرد الدعاوى ((ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه الأعمال)).

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة عشره: قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم؛ كقدح اليهود في عيسى ، وقدح اليهود والنصارى في محمد صلى الله عليه وسلم .

هذه من جاهليات المشركين وأهل الضلال والباطل قال : «قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم»؛ يقدح في الصالح أوفى العالم بفعل بعض المنتسبين إليهم ، وقد يكون في بعض الأتباع والمنتسبين أنواع من الخطأ وأنواع من الزلل لا يتحملها إلا المخطئ نفسه؛ فهذه من الجاهلية التي كانت عند هؤلاء أن يقدحوا في الصالحين بفعل بعض الأتباع ، أي بوقوع بعض الأتباع ببعض الأخطاء فينسبونها إلى الصالحين .

قال: «كقدح اليهود في عيسى» من أجل بعض الأتباع ، «وقدح اليهود والنصارى في محمد صلى الله عليه وسلم» أيضاً من أجل بعض الأتباع ، إذا وجدت بعض الأخطاء في بعض الأتباع نسبوها إلى الصالحين ، والله جل وعلا أبطل ذلك بقوله : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] ، لا يحمل الإنسان أخطاء الآخرين ، وإذا بين ونصح ووعظ أدى الذي عليه ، قد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] ، قال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] ، النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك هداية الناس ولكنه بين البيان المبين الواضح ، ووفق الله عز وجل صحابته الكرام فاتبعوه واتبعوا النور الذي جاء به عليه الصلاة والسلام وكانوا أئمة هدى ومنارات حق.

فعلى كل حال من الأشياء التي كان عليها أهل الجاهلية: محاولة التشكيك في الأنبياء أو في العلماء أو غيرهم بسبب بعض الأخطاء التي قد تكون في بعض الأتباع.

نكتفي بهذا والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الدرس الخامس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه مسائل الجاهلية :
العشرون : اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين ، ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه لسليمان عليه السلام.

قال رحمه الله تعالى : «**العشرون**» أي من مسائل الجاهلية التي جاء الإسلام بمخالفتها وإبطالها وبيان فساد ما عليه أهلها

قال: «**اعتقادهم**» أي المشركون من الكتابيين والأُميين «**في مخاريق السحرة وأمثالهم**» ؛ مخاريق السحرة : أي الأمور الخارقة للعادة ؛ عادة الناس وما ألفوه من الأشياء المنتظمة والمألوفة في حياتهم . فالمخاريق التي تقع على أيدي السحرة وأمثالهم أي من الكهان والعرفان والمنجمين وغير هؤلاء قد تكون سبب فتنة لكثير من الناس للتعلم بالباطل والأوهام والضلال والفساد ، وهذا أمرٌ كان من وراء فتنة كثير من الناس وتعلقهم بالباطل والضلال ؛ ولهذا ذكر رحمه الله تعالى أن من اعتقاد أهل الجاهلية: أنهم يعتقدون في مخاريق السحرة ؛ مخاريق السحرة أي الأمور الخارقة للعادة التي تجري على أيدي السحرة وأمثالهم .

قال : «**يعتقدون أنها من كرامات الصالحين**» أي كل أمرٍ خارق للعادة يروونه على رجل يجعلونه كرامةً من الله سبحانه وتعالى له ، ولم يتنبه هؤلاء أن خوارق العادة تكون على أقسام ثلاثة:

❖ القسم الأول: خارقٌ للعادة يجريه الله تبارك وتعالى على يد نبي من أنبيائه ورسوله مما خص به جل وعلا رسله الكرام ؛ وهذه تسمى «آيات» ، لأنها علامات من العلامات على صدق النبوة وتأيد الله تبارك وتعالى لهم ، مثل انشقاق القمر ﴿اقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] ، هذه آية من الآيات التي تظهر صدق النبي صلى الله عليه وسلم . وليس ما يظهر صدق النبي الآيات فقط ، بل صدقه يظهر من أمور كثيرة وأبواب عديدة بينها أهل العلم . الشاهد أن الأمر الخارق للعادة الذي يجريه الله تبارك وتعالى على يد نبي من أنبيائه هذا آية من آيات النبوة ؛ تكثير الطعام بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام ، نبع الماء من بين أصابعه ، إلى

غير ذلك من الأمور الخارقة للعادة التي أجراها الله جل وعلا على أيدي نبيه عليه الصلاة والسلام والأنبياء من قبله هذه كلها من آيات النبوة.

❖ القسم الثاني: الأمر الخارق الذي يجريه الله تبارك وتعالى لصالح من الصالحين وعابد من العباد المطيعين لله تبارك وتعالى ، وكرامة الولي من أولياء الله تبارك وتعالى هي آية للنبي ، لأنه نالها بإتباعه له وطاعته ولزومه نهجه ؛ وهذه ليس ضابطها مجرد الخارق نفسه وليلاحظ هذا ، ليس ضابطها مجرد الأمر الخارق ووجوده ، وإنما ضابطها صلاح الإنسان واستقامته ؛ ولهذا قال العلماء : «أعظم كرامة لزوم الاستقامة» ؛ أن يلزم الإنسان طريق الاستقامة والإتباع للنبي صلى الله عليه وسلم ، فليس دليل فضل الإنسان ووجود الخارق على يديه ، وإنما دليل فضله وشاهد نبله استقامته على طاعة الله واتباعه لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. والخارق الذي يجريه سبحانه وتعالى لبعض أوليائه الصالحين من عبادته يكون لأحد أمرين : إما لحاجة أو لحاجة ، إما لحاجة يؤيده بها تبارك وتعالى ويظهر صدق ما يدعو إليه من إتباع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، أو لحاجة في ضرورة من الضرورات في طعام أو صحة أو نجاة من هلكة أو نحو ذلك من الأمور ؛ فهي تكون للحاجة وتكون للحاجة . ومن أمارات الصلاح والصدق مع الله تبارك وتعالى أن من يجري الله سبحانه وتعالى على أيديهم الكرامات لا يتفاخرون بها على الناس ولا يتعالون بها عليهم ولا يجعلونها وسيلة لترأسهم أو ترفعهم أو غير ذلك من الأغراض والغايات والمصالح التي تكون في غير الأولياء والصالحين من عباد الله تبارك وتعالى. فإذاً هذا القسم الثاني ؛ القسم الثاني: الأمور الخارقة للعادة التي يجريها الله سبحانه وتعالى على أيدي الصالحين من عبادته ، وهذه يسميها أهل العلم «كرامات الأولياء» وهي حق ، كرامات الأولياء حق ، والله سبحانه وتعالى من على كثير من أوليائه بأنواع من الكرامات المتنوعة ، وكتب السير والتاريخ والأخبار مليئة بالشواهد على ذلك ، حتى قال شيخ الإسلام رحمه الله : تعداد ذلك مثل المطر. كثيرة جداً هذه الأمور التي يمن الله سبحانه وتعالى بها على الصالحين من عبادته . وكما قدّمت -وأعيد ذلك مؤكداً- ليس مقياس صلاح الإنسان وجود الأمر الخارق للعادة، بل مقياس صلاح الإنسان هو لزومه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكه بطاعة الله جل وعلا ومحافظته على فرائض الإسلام وواجبات الدين وبعده عن المحرمات ؛ ولهذا قال أهل العلم في هذا الباب : «أعظم كرامة لزوم الاستقامة» ، وأرادوا بهذه الكلمة قطع الطريق على الدجاجة وأهل الباطل الذين يستعملون الخوارق للعادة سبيلاً للضلال والباطل ونشر الفساد في الناس .

❖ القسم الثالث من الخوارق للعادة : ما يتحدث عنه المصنف هنا رحمه الله تعالى بقوله «مخاريق السحرة

وأمثالهم»؛ الذين يتعلقون بالشياطين ويتقربون إلى الجن ويحصل على أيديهم أشياء خارقة لعادات الناس ؛ تكون بتعاونهم مع الشياطين وتقربهم لهم وعبادتهم للشياطين من دون الله تبارك وتعالى يحصل أمور خارقة للعادة فيفتتن الناس بهؤلاء ، مثل حمل الشياطين لبعض هؤلاء في الهواء ، أو تمكين هؤلاء من السير على الماء ، أو وطئ النار ، أو ابتلاع النار ، أو نحو ذلك من الأمور الخارقة للعادة ولمألوف الناس ؛ فتكون سبباً لفتنة الناس بهم وتعلق الناس بهم وظنهم أنهم من أولياء الله الصالحين ، مع أنهم لا يعرفون باستقامة ولا يحافظون على واجبات الدين وأهم ذلك الصلاة ، لا يعرفون بالمحافظة على الصلاة في جماعة المسلمين، ويعرفون بأنواع من الفسوق والمعاصي بل والكبائر وعظائم الآثام ، ومع ذلك يفتتن بهم الطغام والعوام والجهال ويعتقدون أنهم من أولياء الله تبارك وتعالى المقربين ، وأن وجود هذه الأمور الخارقة للعادة على أيديهم دليلاً على ولايتهم ، مع أنها أمور وُجدت بسبب ضلال هؤلاء وتعلقهم بالشياطين وتقربهم لهم . ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما كان يتحدث عن آية الكرسي وتكلم كلاماً عظيماً جداً قال : لو قُرئت هذه الآية بصدق -آية الكرسي- التي اشتملت على خمسة أسماء حسنى لله وأكثر من عشرين صفة . يقول: لو قرأت هذه الآية بصدق على تلك الأحوال الشيطانية أبطلتها، وذكر بعض الأمثلة على ذلك ؛ بعض من كانوا يطيطون أمام العوام بالهواء يدجلون عليهم يقولون قرئت عليهم أو قرأنا هذه الآية عليهم فسقطوا. تُبطل الأحوال الشيطانية وتطرد الشياطين من المكان .

فيجب هنا على المسلم أن يفرّق بين «الكرامة» وبين «المخاريق الشيطانية ومخاريق السحرة والدجاجلة» ، يجب أن يفرق بين «أولياء الرحمن» و«أولياء الشيطان»، يجب أن يفرّق بين «حزب الله» و«حزب الشيطان» ؛ فإنه إن لم يفرّق أفسد عليه دينه وأتلفت عقيدته وأوقع في الضلال والباطل . قد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كتاباً عظيماً في هذا الباب سماه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ؛ وذلك أن بعض الناس لا يفرق بين ولي الله تبارك وتعالى وولي الشيطان ، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، فبعض الناس لا يفرق بين ولي الله وولي الشيطان ، والفرق بينهما واضح لكن من الناس من لا يفرق ويُخدع ببعض الأمور الخارقة للعادة فيبني عليها .

ولهذا قال أحد السلف المتقدمين كلمة جميلة ينبغي أن تُحفظ ويُعتنى بها ؛ قال : «إذا رأيت الرجل يطير في السماء أو يمشي على الماء فلا تقبلنّ منه حتى يأتي بشاهدين عدلين: كتاب الله ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام»، إذا

جاءك بالشاهدين العدلين الكتاب والسنة بمعنى إن كانت أعماله وأقواله مبنية على الكتاب والسنة تقبل منه ، أما مجرد كونه حصل على يديه خارق للعادة فهذا ليس مقياساً وليس برهاناً ولا علامةً ، علامة صدق الإنسان أتباعه لسنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وتعظيمه لكلام الله وعنايته بدين الله تبارك وتعالى ؛ هذه العلامة الصادقة . أما الدجاجة وأكلة أموال الناس بالباطل ومن يُظهرون على أيدي الناس أشياء خارقة للعادة ، بل أحياناً يأتون بأشياء ليست خارقة للعادة ولكنها ليست موجودة في بلد معين ، بلد فقير مثلاً يأتون بأشياء ما سمع بها الناس فيجعلونها سبباً لإبراز أنفسهم وإظهار مثلاً ولايتهم وأنهم من أهل الكرامات .

ذكر لي أحد الناس أن قرية من القرى في بعض الدول النائية أراد بعض الناس أن يُدخلوا القرية في بعض الطرق الباطلة فبنوا لأحد أتباعهم بناية جميلة ووضعوا فيها المكيف الصحراوي الذي يدفع الهواء البارد حتى يكون المكان بارداً جميلاً ، هذا ما يعرفونه أول مرة يرون هذا الشيء في تلك القرية ، ووضعوا باباً كبيراً ينفتح بزر ، يضغط الزر ثم ينفتح الباب ، ووضعوا له فراش فاخر ومجلس فاخر ثم أشيع أنه هذا من الأولياء ، وإذا اجتمع الناس عند الباب ضغطت بخفية الزر الذي عند قدميه ثم ينفتح الباب ؛ قالوا هذا دليل أنه من أولياء الله ، عنده باب إذا أردنا أن نخرج انفتح وإذا أردنا أن ندخل أغلق الباب . وفُتِن الناس بهم ، قالوا ثم إنَّ أحد هؤلاء قُدِّر له أن جاء لبعض المدن المتحضرة المليئة بمثل هذه الأشياء فتبين له أن كل هؤلاء أولياء في المدن المتحضرة لأنهم عندهم أجواء مكيفة وعندهم الأبواب هذه الأتوماتيكية فكلهم من أولياء الله .

فالعوام يُخدعون بأشياء أصلاً ليست خارقة للعادة، ويُخدعون أيضاً بالأشياء خارقة للعادة ويُفتنون في دينهم ؛ فينبغي أن ينتبه هنا المسلم لقضية نؤكد عليها وهي: أن مجرد وجود الأمر الخارق للعادة لا يجوز أن يفتن الإنسان ، لأن الخارق للعادة قد يكون يحصل عن طريق التعلق بالشياطين وعن طريق السحر والشعوذة وأشياء من هذا القبيل ، فالخارق للعادة بحد ذاته ليس مقياساً على صلاح الإنسان وولايته ، المقياس على صلاح الإنسان وولايته استقامته على طاعة الله ، ثم المستقيم على طاعة الله - وانتبهوا لهذا الضابط المهم - لا يمكن أن يركي نفسه عند الناس ويقول لهم أنا ولي من أولياء الله ، أما أصحاب الخوارق الشيطانية فلا يبالي يقول لهم " أنا ولي من أولياء الله وأنتم لا تعرفون قدرتي ولا تعرفون مكاني أنا كذا وأنا كذا " ؛ هذا لا يقوله الصادق لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَتَّقُونَ﴾ [النجم: ٣٢] . عبدالله ابن أبي ثعلبة تابعي جليل يقول : «أدركتُ أكثر من ثلاثين صحابياً كلهم يخاف النفاق على نفسه»؛ صحابة أفاضل كرام لهم مكانتهم العالية لكنهم يخافون!! يقول الحسن البصري رحمه الله: «إن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة ، والمنافق جمع بين إساءة وأمن»؛ تجده مسيء لا يصلي لا يحافظ على الصلاة يرتكب المحرمات ، وأمن! ويقول أنا من الأولياء أنا من كذا يثي على نفسه يطري نفسه . فيجب أن يفرق المسلم بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وألا يُخدع بالأمور الخارقة للعادة التي فتنت كثيراً من الناس وأضلتهم عن سواء السبيل .

قال: «اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها كرامات الصالحين ، ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه لسليمان عليه السلام» يعني ينسبون هذه الأمور الخارقة للعادة أو السحر أو الدجل أو نحو ذلك إلى الأنبياء أو المعظمين كما نسبوه إلى سليمان ، ومر معنا تبرئة الله سبحانه وتعالى لنبيه سليمان من هذه النسبة الباطلة بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

قال رحمه الله:

الحادية والعشرون : تعبدهم بالمكاء والتصدية.

قال : «الحادية والعشرون» أي من مسائل الجاهلية «تعبدهم» أي تقرّبهم «بالمكاء والتصدية» ؛ المكاء: هو الصفير الذي يصدر عن طريق النفخ في الفم ، إما بالفم مجرداً ، أو بوضع اليد على الفم بطريقة معينة حتى يخرج للهواء المندفع من الجوف وله صوت يقال له الصفير . والتصدية: هي التصفيق ؛ وذلك بضرب اليدين ببعض بحيث يصدر صوتاً عالياً من هذا الضرب .

فكان الجاهليّون من الأميين والكتّابيين يتقربون بالمكاء والتصدية ؛ أي بالصفيق والصفير . وسبحان الله ثم سبحان الله !! كانوا عند بيت الله الحرام وعند الكعبة المشرفة في جاهليّتهم الجهلاء وضلالّتهم العمياء يطوفون ببيت الله تبارك وتعالى عراً نساءً ورجالاً حتى ليس عليهم ما يستر العورة المغلظة عند الكعبة شرفها الله! كانوا يطوفون عند الكعبة عراً حتى ليس عليهم ما يستر العورة المغلظة رجلاً ونساءً ! ويصفقون ويصفقون عند الكعبة عراً منظر من أقبح المناظر وأخزأها وأشنعها ، عراً ليس عليهم ثياب ، حتى المرأة كانت تطوف مع الرجال عارية ليس عليها حتى ما يستر عورتها المغلظة! وإحداهن كانت تطوف وتقول: "اليوم يبدو بعضه أو كله ، فما بدأ منه فلا أحله" ؛ لا أحله يعني أن يمسه أحد . لكنهم في جاهليّتهم الجهلاء ظنوا أن هذه قرينة وطاعة يُتقرب بها إلى الله ؛ فيطوفون عراً رجلاً ونساءً ، وعبادتهم عند الكعبة صفير و صفيق ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] ، مكاء: أي صفيراً . وتصدية: أي صفيقاً كما قال ذلك ابن عباس وابن عمر وغير واحد من الصحابة والمفسرين في معنى هذه الآية الكريمة .

فكانت هذه عبادتهم ؛ صفيق و صفير ورقص وقفز وخفض وتمايل ، هذه عبادتهم يصفقون ويصفرون ويتمايلون ويترنحون ، هذه عبادتهم عند البيت ، وقل مثل هذا وشبيهاً به عند النصارى واليهود ؛ عبادتهم مشتملة على الصفيق والصفير والرقص ، حتى في التوراة المحرفة المبدلة نُصِّ فيها على هذه المعاني ؛ «سَبِّحُوا اللَّهَ بِالْمَزْمَارِ وَالْعُودِ» هكذا مكتوب في التوراة (سَبِّحُوا اللَّهَ بِالْمَزْمَارِ وَالْعُودِ وَالرَّقْصِ عَلَى النِّغْمَاتِ) وأشياء من هذا الكلام موجود في

التوراة المحرفة ويعملون به !! يصفرون ويصفقون ويأتون بالمزامير والأعواد ويطنلون ويجعلون هذه قرينة لله تبارك وتعالى . فهذه جاهلية جهلاء وضلالة عمياء .

التقرب إلى الله بالصفيق والصفير واللهو والموسيقى والمعازف والرقص هذا كله من الضلال ومن الباطل الذي كان عليه أهل الجاهلية ، وماذا قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ((لَتَتَّبِعَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا ذِرَاعًا ذِرَاعًا حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضُبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ)) قال ذلك عليه الصلاة والسلام محذراً أُمته أن يسلكوا مسلك هؤلاء ، وهذا الأمر الذي حذّر منه نبينا عليه الصلاة والسلام وُجد في بعض الأمة ، هذه الجاهلية الجهلاء وُجدت في بعض الأمة التعبد والتقرب لله تبارك وتعالى بالسماع والرقص والطبول والمزامير ، يتقربون إلى الله تبارك وتعالى بهذه الأمور مثل الجاهلية متشبّهين بأهل الجاهلية من الأميين والكتابين ، حتى أن بعضهم يمارس هذه الممارسات الآثمة داخل المساجد!! يأتون بالمزامير داخل المساجد ويزمرون وينشدون ويتميلون ، حتى كتب أحد الأفاضل يصف هذه الممارسات التي تمارس ببعض المساجد كتب كتاباً سماه «ملاعب الوثنية» التي تحولت إليها بعض المساجد في بعض المناطق مما شاهده وراه بعينه ووصفه، شيء لا يصدق، داخل المساجد حتى تحولت إلى أشبه مما تكون ملاعب أهل الوثنية والضلال والباطل ، عزف ورقص وأنغام ونشيد وسماع ، "حَشَفٌ وَسَوْءُ كَيْلَةٍ" ، لهو وباطل والأناشيد التي يُطَرَّبُونَ أسمع أنفسهم عليها فيها شرك وضلال وبدع وغلو ، وهم ماضون على مثل هذا العمل .

وليس الأمر عند هذا الحد بل بعض من أَلَّفوا المؤلفات وهم على هذا المسلك وعلى هذه الطريقة كتبوا أبواباً خاصة تتعلق بالسماع وتتعلق بالرقص الذي يفعلونه ، حتى إنه في أحد الكتب المشهورة المتداولة التي أُلِّفَتْ وقُصِدَ بتأليفها أن تُحْيَا بها علوم دين الإسلام، عُقِدَ فيها باباً عُنوانه السماع ، وباباً آخر عنوانه الرقص وآداب الرقص الذي يكون في مثل هذه المجالس ، حتى قال صاحب ذلك الكتاب : أن سماع هذه الأناشيد وما يصحبها من تطريب ودُفٍّ ومزمار وغير ذلك أفضل من سماع القرآن من سبعة وجوه -هكذا قال! أفضل من سماع القرآن من سبعة وجوه- وأخذ يذكر وجوه سبعة بزعمه ومدعاه الباطل أنها أفضل من القرآن من حيث التأثير ومن حيث كذا ومن حيث كذا! ثم أنتقل بعد ذلك إلى الكلام على آداب الرقص ، يقول إذا كنت في مجلس سماع وحصل الإنشاد وحصل الدفوف وحصل الضرب وبدأ الرقص هناك آداب للرقص لا بد أن تكون محافظاً عليها في مجالس الرقص ، كما أن للأكل آداب ولطلب العلم آداب وللجيرة آداب أيضاً الرقص له آداب ، وآداب الرقص تُعد على أنها جملة من آداب الإسلام. يا سبحان الله !! جاهلية جهلاء ، ثم يذكر في آداب الرقص أشياء ، يقول مثلاً - مما أذكر أنني قرأته بنفسه - يقول: إذا كان الشيخ في حلقة الرقص أشد به الوجد وتفاعل مع المجلس ومزق ثيابه ، الشيخ مزق ثيابه مسك ثوبه ومزقه من شدة تفاعله مع مجلس الرقص ومزق ثيابه ، قال من الأدب في المجلس أن تخلع ثيابك! لأن ما يليق الشيخ يمزق ثيابه وأنت تبقى عليك هندامك، قال هذا خلاف الأدب . قال : الأدب الثاني إذا كان الشيخ وهو يهز ويرقص سقطت عمامته من على رأسه في المجلس قال من الأدب أن تخلع

عمامتك ، ما يليق أن الشيخ سقطت عمامته في المجلس من القرص والاهتزاز وأنت تبقى عليك عمامتك! وأخذ يذكر آداب الرقص ، وتقرأ في بعض الأماكن والبلدان على أنها آداب إسلامية وهي جاهلية جهلاء صنيع أهل الجاهلية تماماً ويلصقون كل هذا الباطل وكل هذا الضلال بالدين ويجعلونه جزءاً من الدين الذي يتقربون به إلى الله سبحانه وتعالى .

وهذه المجالس وما يحتفّ بها من قصع الطعام وأنواع المأكولات والمشتهيات يتنافسون على حضورها ، أما صلاة الجماعة والخشوع أمام الله سبحانه وتعالى والمحافظة على فرائض الإسلام هذه يفرطون فيها ولا يعتنون بها ، يُقرأ عليهم القرآن ما تنصدع قلوبهم ، وتقرأ عليهم هذه القصائد الملحّنة المطرّبة فيدمعون ويتباكون ويقولون هنا فعلاً التأثير . ثم يروي قصة عن رجل وخلاصة القصة : أنه كان يقرأ القرآن من صلاة الفجر إلى قريب الظهر ما دمعت عينه ثم جاء رجل وقرأ عليه بيتين فدمعت عينه ، قال: هذا شاهد أن القصائد هي التي تؤثر! .

وهكذا مثل هذا الدجل والتلفيق والتزوير على الناس تخطط الأمور ويُدخل الناس في الضلال من أوسع أبوابه . والمؤلف هنا رحمه الله تعالى ناصح للمسلمين ، أعطاك كلمة لا تبلغ سطرّاً لكنها كافية في التحذير قال : «تعبدهم بالمكاء والتصدية» ؛ فليحذر المسلم أشد الحذر أن يتقرب إلى سبحانه وتعالى بمثل هذا الضلال والباطل .

والإسلام جاء بإبطال ذلك ، ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [قصص: ٦٠] قال ابن مسعود رضي الله عنه : «والله الذي لا إله إلا هو إنه الغناء»، وجاء هذا المعنى عن ابن عباس وعن غيره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي هذه الأمور الباطلة ليضل الناس عن سبيل الله . وكم أضل الناس عن سبيل الله وعن إقامة الدين وعن المحافظة على الطاعات بمثل هذا اللهو الباطل ؛ تراهم يسمرون طوال الليل على اللهو مصحوباً بأطعمة ومشروبات إلى آخره ثم ينامون عن صلاة الفجر!! قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السمر بعد هدأة الليل كل ذلك حفاظاً على صلاة الفجر وعلى قيام الليل ، وهؤلاء بعيدون كل البعد عن هذه المعاني العظيمة الجليلة التي جاء بها الإسلام . وجاء عنه عليه الصلاة والسلام في صحيح البخاري وغيره قال: ((لا تقوم الساعة حتى يستحل أقوامٌ من أمتي الحِرَّ والحريم والخمر والمعاذف)) يستحلونها : أي أنها حرام لكنهم هم يعتقدون أنها حلال . وليس هذا فقط بل يعدونها من الثُرب التي يتقربون بها إلى الله تبارك وتعالى ، نسأل الله عز وجل لنا جميعاً الحفظ والعافية.

قال رحمه الله تعالى :

الثانية والعشرون: أنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

«الثانية والعشرون : أنهم -أي أهل الجاهلية - اتخذوا دينهم هواً ولعباً» ، اتخذوا دينهم هواً ولعباً تحتل أحد معنيين وكلاً منهما صحيح من حيث واقع هؤلاء .

﴿اتخذوا دينهم : أي الدين الذي من الله سبحانه وتعالى على البشرية به دين الإسلام ؛ اتخذوه هواً ولعباً ، أي أنهم إذا ذُكر لهم الإسلام أو ذُكرت لهم أحكام الإسلام أو أوامر الدين سخروا واستهزئوا وجعلوا ذلك مجالاً للتندر والضحك واللعب والعبث.﴾

﴿والمعنى الآخر: أن الأديان التي اخترعوها لأنفسهم وارتضوها لأنفسهم هي أقرب إلى أن تكون نوعاً من العبث واللعب منها إلى أن تكون تعبدًا وتقرباً ، مثل ما مر معنا في المعازف والملاهي والرقص هذه نوع من اللعب ليست عبادة ، العبادة لا تكون بمثل هذا اللعب، فهم اخترعوا هذه الأعمال وجعلوها ديناً وعبادة فاتخذوا دينهم هواً ولعباً؛ أي اخترعوا من الدين والعبادات أشياء من اللعب والعبث ليست ديناً ، فهذا معنى قوله ﴿اتخذوا دينهم هواً ولعباً﴾ [الأعراف: ٥١] .

وهذا الأمر الذي ذكره المصنف رحمه الله عن أهل الجاهلية أيضاً وُجد في بعض المنتمين للإسلام ؛ جعلوا الدين وما يتقربون به لله عز وجل مجالس للرقص وللمعازف وجعلوها ديناً ، بل إن بعضاً منهم من إفكه وافترائه وتبليسه على العوام استشهد على هذا الباطل بآيات القرآن الكريم ، عبثاً بالقرآن واتخاذاً للدين هواً ولعباً، أحدهم قال: قول الله تعالى ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] قال هذا دليل على الرقص! هذا ﴿اتخذوا دينهم هواً ولعباً﴾ ، قال : يعني يقفز ويقوم ويتمايل هذا معنى قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، قال هذا دليل من القرآن على مشروعية الرقص والتقرب به إلى الله ، هكذا قال .

هذا داخل تحت هذه الجاهلية ﴿اتخذوا دينهم هواً ولعباً﴾ ، بينما سَل كل مسلم حماه الله تبارك من باطل هؤلاء وإفكهم ما معنى قوله: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ماذا يقول ؟ أي وهو قائم يذكر الله ، وهو قاعد يذكر الله ، وهو نائم على جنبه يذكر الله ؛ أي أنه ذاكراً لله على كل أحواله ، هذا معنى الآية، كما قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه » ؛ وهو نائم على جنبه يذكر الله ، وهو جالس في مجلسه يذكر الله ، وهو قائم يذكر الله ، وهو ماشي يذكر الله قِيَامًا وقُعُودًا وعلى جنوبهم ، أي في كل أحوالهم يذكرون الله ؛ هذا معنى الآية وهو معنى واضح ، لكن من اتخذوا دينهم هواً ولعباً

طريقتهم هي هذه يعثون بآيات القرآن ويعثون بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل نشر الضلال الذي يمارسونه والباطل الذي يقترفونه.

قال رحمه الله تعالى :

الثالثة والعشرون : أن الحياة الدنيا غرهم فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه ، كقوله : ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعْزِينَ ﴾ [سبا: ٣٥] .

المسألة الثالثة والعشرون : «أن الحياة الدنيا غرهم» أي فتنهم ، والدنيا فيها فتنة ، فهؤلاء غرهم الحياة الدنيا ؛ أكرمهم الله عز وجل بالمال من عليهم بالمال بالرزق بالصحة بالولد بالمساكن فغرهم ذلك ، غرهم الحياة الدنيا وشغلهم عما خلُقوا لأجله وأوجدوا تحقيقه ، فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه ، ظنوا أن عطاء الله لهم أي من الدنيا أعطاهم مال أعطاهم صحة ، أعطاهم مساكن كبيرة وجميلة ، أعطاهم أولاد ، ظنوا أن عطاء الله سبحانه وتعالى لهم من الدنيا دليل على رضاه عنهم ، وهل عطاء الله سبحانه وتعالى للإنسان من الدنيا دليل على رضاه؟ أم أنه تبارك وتعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب؟ قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : ((لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة ماء)) ، فضلاً عن أن يعطي قصوراً أو يعطي أملاكاً واسعة ((ما سقى منها شربة ماء)) أي كأس ماء واحد لو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة .

فعطاء الإنسان من الدنيا ليست دليلاً على فضله ولا على نبله ولا على صلاحه ، وأقرأ في القرآن قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ هؤلاء : أي الكفار ، وهؤلاء : أي المسلمين ﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ أي في الدنيا ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (٢٠) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢٠-٢١] ؛ فالدنيا يعطيها الله سبحانه وتعالى من يحب ومن لا يحب ، بل قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، والآخرة جنة المؤمن وسجن الكافر)) ، فالمؤمن قد لا يعطى شيء من الدنيا ، قد يعيش إلى أن يموت وهو فقير ، بل قال عليه الصلاة والسلام ((رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره)) أي من صلاحه وتقواه وفضله واستقامته على طاعة الله ومحافظة لأوامر الله .

فالدنيا يعطيها الله سبحانه وتعالى من يحب ويعطيها من لا يحب ، وليس العطاء في الدنيا دليلاً على الرضا ، لكن أهل الجاهلية إذا نظروا عندهم عافية عندهم صحة عندهم مال عندهم أولاد يظنون أن هذا دليل على الرضا .

قال: «كقولهم ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾» [سبا: ٣٥] الدليل على أن لن نعذب ما هو؟
 أننا أكثر أموال وأولاد ، أعطانا الله أموال وأعطانا أولاد لا يعذبنا ، أما أنتم ما عندكم مال ولا عندكم أولاد وأنتم
 أفقر منا أنتم أحق بالعذاب منا ما أعطاكم شيء وأعطانا ، فكونه أعطانا أموالاً وأولاد هذا دليل على أنه لن
 يعذبنا! هذا استدلال هؤلاء وطريقتهم في الاستدلال ورد ما جاء به الأنبياء ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا
 نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ .

أيضاً صاحب الجنتين ماذا قال لصاحبه عندما كان يحاوره؟ في سورة الكهف ﴿قال أنا أكثر مالا وأعز نفراً﴾ هذا دليل
 على أنني أفضل منك ، عندي مال أكثر من مالك وأعز من نفرك ، فهذا دليل على أنني أفضل منك وأني أنا
 الذي لي الشأن ولي المكانة إلى آخره .

فيغترون بالحياة الدنيا ، يغتر بما أتاه الله من الصحة من المال أنظر إلى قول فرعون ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِي﴾ [الرؤف: ٥١] غرته الأنهار التي تجري من تحته غرته القصور العالية غرّه الجنود غرّه إلى آخره يقول
 متفخراً ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ ، لما كان غروره بهذه الأنهار أغرقه الله بالماء ، جعل عذابه غرقاً ،
 أنهار تجري من تحته غرته إلى أن قال «أنا ربكم الأعلى» ، قال ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] مغترأ
 جعل الله سبحانه وتعالى هلاكه غرقاً بالماء ، حتى أنه أعلن وهو يغرق ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو
 إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] ولكنه إيمان لا ينفع لأنه إيمان عن مشاهدة ، ولا ينفع الإيمان إلا إذا كان إيماناً بالغيب .

فالشاهد أن هؤلاء غرهم الحياة الدنيا ، غرهم توسيع الله عليهم بالمال ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ
 وَبَيْنَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦] ، مد الله لهم بالمال والأولاد ليس هذا دليلاً
 على أن هذه مسارعة لهم بالخيرات ؛ هذا استدراج ، ابتلاء ، امتحان ، اختبار ، ليس توسيع الله عليهم بالمال
 والولد مسارعة بالخيرات بل قد يكون المال الذي يوسع على الإنسان فيه فتنة له وسبباً لتعلقه بالدنيا وتركه للدين
 ، فليس من الشرط أن يكون التوسعة المال دليل الرضا . الشاهد أن هؤلاء فتنوا بالدنيا وظنوا أن عطاء الله سبحانه
 وتعالى من الدنيا دليلاً على رضا الله تبارك وتعالى عنهم ، وقد عرفنا من الشواهد العديدة من القرآن والسنة أن
 العطاء من الدنيا ليس دليلاً على الرضا ؛ فإنه تبارك وتعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، وأما الآخرة فلا
 يعطيها تبارك وتعالى إلا من يحب .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والعشرون: ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأنفة ، فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٢] الآيات .

قال رحمه الله : «الرابعة والعشرون: ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأنفة» هذا أيضاً نوع من الافتتان الذي ابتلي به هؤلاء بسبب وجود المال والولد والعطاء والصحة والعافية ، أفتتنوا بذلك واغترخوا به وامتنعوا من قبول الحق الذي جاء الأنبياء لكون الضعفاء سبقوهم إليه ، الضعفاء من الخدم والموالي والرقيق والفقراء ونحو ذلك سبقوهم إلى الحق والهدى فامتنعوا من قبوله وأخذوا الأمور بالأنفة ؛ قالوا كيف ندخل في هذا الدين الذي سبقنا إليه الضعفاء !! فامتنعوا من قبول ما به نجاتهم في الدنيا والآخرة بسبب أن الضعفاء سبقوهم إليه . وهذا نوع من الكبر والغرور ، ونوع من الاغترار بالدنيا والعطاء الذي من الله سبحانه وتعالى عليهم به ؛ فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ، قد قال أهل العلم وأوردوا ذلك في كتب التفسير في سبب نزول هذه الآية : أن بعض أعيان المشركين طلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام أن يُبعد هؤلاء الضعفاء ، "أبعد عنك هؤلاء الضعفاء ومن هم أقل منا منزلة ومكانة وننظر في الأمر في إتباعك ، أما نتبعك ومعك هؤلاء الضعفاء لا نتبعك" ، قال تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ يعني من من الله عليه بالإسلام والهداية والتوحيد والاستقامة هؤلاء تصبر نفسك معهم ولو كانوا ضعفاء ولو كانوا من كانوا ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] .

قال رحمه الله تعالى :

الخامسة والعشرون : الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] .

المسألة الرابعة والعشرون : «ترك الدخول في الحق بسبب سبق الضعفاء» وهنا رد الحق واعتقاد بطلانه لكونه سبق إليه الضعفاء ، وطريقة تقريرهم لهذا الاستدلال يقولون : لو كان هذا الذي يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم حق لما سبق إليه ضعفاء الناس ، بل سبق إليه العظماء والكبار وأصحاب الرأي وأصحاب الفهم ، أما كونه لم يسبق إليه إلا الضعفاء فهذا دليل على بطلانه .

إذاً المسألة الرابعة والعشرون أن تركهم للحق كان أنفة بسبب سبق الضعفاء إليه ، والمسألة الخامسة والعشرون

يستدلون بسبق الضعفاء إلى الحق أن هذا دليل على بطلانه ؛ لأنه لو كان حقاً لما سبق إليه الضعفاء بل يسبق إليه الوجهاء والأعيان أصحاب الأموال أصحاب الفكر .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة والعشرون: تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

التحريف : التبديل والتغيير ، تحريف كتاب الله: أي تغييره وتبديله ؛ وهذا يشمل التحريف اللفظي والتحريف المعنوي. التحريف اللفظي: بتغيير الألفاظ ، مثل تحريف اليهود ومن اتبع اليهود؛ ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] هكذا قال الله تعالى فحرفوا هذا اللفظ وقالوا «حنطة» زادوا نوناً . فالتحريف قد يكون للألفاظ وقد يكون للمعاني، يكون المعنى واضح ولكن يعطي الآية معنى آخر يوافق هواه ، نظير ما نقلت لكم قريبا عن أحدهم يقول إن قوله ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] دليل على الرقص الباطل ، هذا تحريف معنوي لأنه يعطي الآية معنى لا تدل عليه يحرف معنى الآية .

وهذه طريقة المبطلين ومطية الأفاكين ؛ يتخذون التحريف ثكافة لهم لنشر باطلهم ، إن استطاع أن يحرف الألفاظ حرفها ، وأن لم يستطع أن يحرف الألفاظ حرف المعاني . وفي الكتب السابقة كان تحريف الألفاظ متمكناً منه هؤلاء لأن الله عز وجل وكل إليهم حفظ تلك الكتب ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤] ، وكل إليهم حفظ تلك الكتب فحرفوا حتى ألفاظها ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] ، فكانوا يكتبون أشياء بأيديهم ويضيفونها إلى التوراة ، ويمسحون أشياء من التوراة ويطمسونها ويضعون بدلها أشياء ، يكتبونها هم بأيديهم وينشرونها بين الناس ويقولون هذا من عند الله ، والتوراة والإنجيل مليئان بالأشياء التي كتبت بأيدي المضلين وتُنسب إلى الله تبارك وتعالى مما ينزه عنه عز وجل ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الصفات: ١٨٠-١٨٢] ؛ نزه نفسه تبارك وتعالى عما يصفه به أعداء الرسل وسلّم على المرسلين لسلامة ما قالوه بحق الله من النقص والعيب . والتوراة والإنجيل فيها من الإفك والباطل والافتراء على الله ونسبة النقائص إلى الله تبارك وتعالى ما ينزه عنه ويُقدس تبارك وتعالى .

وأيضاً في أهل التوراة والإنجيل من التحريف المعنوي ما لا حد له ولا عدّ ، أما القرآن قد صانه وحفظه قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩٠] ، فالقرآن محفوظ ولا يُغيّر ولا يُبدّل ، لكن من لم يتمكنوا من تحريف

ألفاظ القرآن اشتغلوا بتحريف معاني القرآن دَجْلاً على الناس ونشراً للباطل ، ولهذا كثر عند أرباب الباطل والضلّال تحريف القرآن حسب رغباتهم وعقائدهم الزائفة الباطلة ومذاهبهم المنحرفة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦] أي بتغيير معانيه وتبديلها وتغييرها ، فكان من عقائد أهل الجاهلية «تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون» فهذه جاهلية ، تحريف الكتاب بتغيير ألفاظه أو بتغيير معانيه هذه من الجاهلية ومن سنّة اليهود ، ومن اشتغل بالتحريف فله شبه باليهود لأن هذه سنة اليهود وطريقتهم .

قال رحمه الله تعالى :

السابعة والعشرون : تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله كقوله ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩] .

المسألة السابعة والعشرون : «تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله» وهذه طريقة من طرق هؤلاء في نشر باطلهم، يؤلف الواحد منهم كتاباً قائماً على الدجل والإفك والشعوذة والباطل وينسب باطلة إلى الله تبارك وتعالى؛ يقول هذا من عند الله أو هذا من الدين الذي بُعثت به رسل الله ، يفعلون ذلك وذلك من أجل أن يروجوا باطلهم، ولهم في ذلك طرق عديدة ، كيف يُقنعون العوام أن هذا من عند الله ؟ لهم طرق عديدة ؛ بعضهم يقول : كُوشِفْتُ بذلك مكاشفة، وبعضهم يقول: حدثني بذلك قلبي عن ربي ، وبعضهم يقول: كُشِفَ لي اللوح المحفوظ فنقلته منه، وبعضهم يقول: رأيت ذلك مناماً، إلى آخر المسالك التي يسلكها هؤلاء في طريقة إقناع العوام والطُّغام والجهال بأن هذا الذي عندهم من عند الله أو جاءت به رسل الله . وكثيراً ما يصدّرون كتبهم الباطلة بمثل هذا الدجل ، إما أن يقول كوشفت ، أو يقول حدثني قلبي عن ربي ، حتى أنهم ينتقصون أهل الحق والهدى يقولون أنتم تأخذون دينكم ميت عن ميت حدثنا فلان عن فلان عن هؤلاء أموات ، أما نحن نأخذ ديننا عن الحي الذي لا يموت مباشرة عن الله عز وجل! دجل على العوام والطغام والجهال حتى يروجوا الباطل .

قلت لكم قريباً أنني رأيت كتاباً ألفه صاحبه في باب الذكر والدعاء ، والكتاب مليء بالطلاسم والشعوذة والاستغاثات الشّركية وكلمات غير واضحة وغير مفهومة كلمات غامضة وأسماء غامضة ، وقلت في نفسي من من الناس يقبل يقرأ هذا الكتاب أو ينظر فيه؟! ما أظن أن أحداً يقبل هذا الكتاب ، ثم نظرت في آخر الكتاب فإذا بصاحب الكتاب يقول : "لما فرغت من تأليف هذا الكتاب ترددت كثيراً في نشره ، فأتاني النبي عليه الصلاة والسلام في المنام ثم قال لي لماذا تحرم الناس من هذا الخير! عَجَّلْ بنشره" ويقول في نفس المنام أأتاني أبو بكر وقال لي عَجَّلْ ، وجاءني عمر وقال عَجَّلْ وجاءني عثمان قال عَجَّلْ! الخلفاء الراشدين الأربعة بعد النبي صلى الله عليه

وسلم كلهم جاءوه في نفس المنام ، وأصبح وذهب يجري إلى المطبعة وطبع الكتاب! العوام لما يرون مثل هذا الدجل ماذا يقولون؟ يقولون متفق عليه ليس فيه كلام ، النبي صلى الله عليه وسلم قال له وأبو بكر وعمر هذا خلاص.

فهذه طريقة لنشر الباطل ؛ ينسبونه إلى الله أو ينسبونه إلى الرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، وطريقة نسبة الباطل إلى الله أو إلى الرسل يمثل هذه المسالك ، إما ما يسمي بالمكاشفة أو مثلاً المنام أو غير ذلك من الطرائق ، وهي طرائق كثيرة يسلكها أهل الباطل .

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة والعشرون: أنهم لا يعقلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم ، كقوله: ﴿قَالُوا تَزْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ [البقرة: ٩١] .

أنَّ من طرائق أهل الجاهلية ولا سيما أهل الكتاب «أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم» ؛ يعني الشيء الذي وجدوه ونشؤوا عليه في طائفتهم يقبلونه ، أما ما سوى ذلك يردونه بحجة ماذا؟ بحجة أنه ليس موجوداً عندهم ولا معروفاً عندهم ، أو أنهم لم يسمعوا به ولم يمر عليهم مثله ؛ فهذه من الجاهلية ، مَنْ الذي يدَّعي لنفسه أنه أحاط أو أحاط جماعته أو رفقته بالخير ، حتى لو كان إنساناً جاداً في العلم والطلب قد يغيب عنه أنواع من العلوم لا يتمكن منها فيظفر بها عند غيره ، أليس قال النبي صلى الله عليه وسلم ((رب حامل فقهٍ غير فقيهه ، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه)) ، هذه الكلمة التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد الخيف ((رب حامل فقهٍ وهو غير فقيهه ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه)) هذه تقطع الجاهلية التي كان عليها هؤلاء .

((رب حامل فقه غير فقيهه)) إذا جاءك الحق من رجل أقل منك منزلة أو أقل منك مكانة أقبله ، بعض كبار السن إذا جاء له واحد من أولاده أو أولاد أولاده بحديث صحيح أو بحكم واضح من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يرده ، لا لشيء إلا لصغر سنه ، يقول من أنت الآن؟! أنت من أولاد أولادي والآن تأتي تعلمني هذا الحديث ويطرده ، لا يقبل منه بحجة أنه ما عرفه إلا من هذا الصغير ، بعض الناس بهذه الطريقة ، وأيضاً في الوقت نفسه بعض طلاب العلم الصغار ما يحسن أن يتأدب مع كبار السن فيستفزههم ويستشيرهم وينشئ فيهم حمية تُضر بهم وبه لا يتأدب معهم ، بينما الأدب مفتاح القلوب ، واحترام الكبار وتوقيرهم وحسن الأدب معهم مفتاح القلوب . قد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ

القلب لَافْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

لما دخل النبي عليه الصلاة والسلام مكة فاتحاً ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بوالده ، لم يسلم كان بعد في ذلك الوقت ، جاء بوالده وإذا كل شعره أبيض رأسه وحواجه ولحيته بيضاء كأنها ثغامه كما جاء في الحديث ، فجاء به ممسكا يده فجاء به عند النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام وكان للتو دخل مكة فاتحاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ((يا أبا بكر لماذا جعلت هذا الشيخ يأتينا! ألا أخبرتي أنا الذي آتيه؟)) هذا الكلام ماذا يصنع في القلوب ؟ الأدب العالي الرفيع العظيم ماذا يصنع في القلوب ؟ ثم وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال ((تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟)) قال : «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله».

فالصغير إذا بلغه شيء من العلم وأحب أن يفيد به كبيراً بالسن فيجب أن يتأدب وأن يراعي الأدب حتى لا يفتح على كبير السن نوعاً من الحمية الجاهلية ، كأن يقول مثلاً للكبير : سمعتُ اليوم حديثاً أعجبني وأنا متأكد أنك سمعته قبلي عشرات المرات ، أنت أكبر مني سنّاً وأعلم مني ، حديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، والله أنا اليوم سمعت هذا الحديث ، أنت أكيد قبلي سمعته عشرات المرات ، سبحان الله هذا حديث عظيم وفيه فوائد .. بمثل هذه الأساليب ونحوها وما أشبهها وما قاربها باللين والأدب وحسن المعاملة واحترام الكبير تتحقق الفائدة ، ثم بعض الآباء تجد مثلاً ابنه إذا كان استقام ما يحقق الواجب الشرعي مع والده من بر الوالد وحسن المعاملة والقيام بحقوق الوالد وطاعته ، ما يقوم بها ووالده يعلم أن هذه واجبه عليه في الإسلام وحق من حقوقه يراه مضيقاً لها ثم يأتي هذا الولد ويقول يا والدي أنت لماذا لا تعمل كذا الحديث كذا، ما يقبل منه لأن الابن نفسه مُضَيِّع . وهكذا تنشأ الفتنة بين الآباء والأبناء بسبب تضيق المشترك من الأب ومن الأبناء . على كل حال ينبغي على الإنسان أن يروض نفسه على قبول الحق والطَّوَاعية ولين الجانب ، لأن الحق أحق أن يتبع .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة والعشرون : أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله طائفتهم كما نبّه الله تعالى عليه بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

ثم ذكر مسألة وهي التاسعة والعشرون وهي تابعة لما قبلها ؛ «أهم مع ذلك» أي أنهم مع أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم «مع ذلك لا يعلمون بما تقوله طائفتهم» يعني ما تقوله طائفتهم من الحق لا يعلمون به كلّهُ، بل يغيب عنهم من الحق الموجود عند طائفتهم الشيء الكثير .

واستدل على ذلك بقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ هل موجود

عند طائفتكم مشروعية قتل الأنبياء ؟ فمع كونهم لا يقبلون من الحق إلا ما كان عند طائفتهم فإنهم يمارسون من الباطل ما ليس عند طائفتهم ، وكما قال المصنف «مع ذلك لا يعلمون بما تقوله طائفتهم» ولهذا يمارسون من الباطل أموراً ليست هي موجودة عند طائفتهم . ومثل هذه الأمور توجد عندما تكون هناك تعصبات لأهواء ولطرق معينة ونحو ذلك ؛ تجد بعضهم لا يقبل من الحق إلا ما وجد عند الطائفة التي يتعصب لها ، وفي الوقت نفسه ليس ملماً بكل ما يوجد عند الطائفة ، قد يكون عندها بعض الخير وكثير من الشر ، وبعض الخير الذي عنده لا يعرفه فلا يكون ملماً به ، فيقول: أنا لا أقبل من الحق إلا ما عند طائفتي ، ثم إن عند طائفته من الحق ما لا يعرفه ولا يعمل به.

والواجب على المسلم أن يجمع لنفسه بين أمرين : العلم النافع وهو قال الله و قال رسوله صلى الله عليه وسلم ، والعمل الصالح أي بهذا العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . قد قال الله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ [الفاتحة: ٦-٧] والمنعم عليهم : هم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح ، والمغضوب عليه : من عنده علم نافع لا يعمل به ، والضال : من عنده عمل بلا علم ، ولهذا قال من قال من السلف : «من فسد من علمائنا ففيه شبهة من اليهود ، ومن فسد من عبّادنا ففيه شبهة من النصارى».

ونكتفي بهذا القدر والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الدرس السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال شيخ الاسلام الإمام الأَوَّاب محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسماعين :
الثلاثون : وهي من عجائب آيات الله ؛ أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع وارتكبوا ما نهى الله عنه بالافتراق صار كل حزب بما لديهم فرحين.

قال رحمه الله تعالى : «المسألة الثلاثون» أي من مسائل الجاهلية التي جاء الإسلام بمخالفتها وإبطالها وبيان فساد ما عليه أهلها .

قال: «وهي من عجائب الله» لأنه أمر عجيب من حال أهل الجاهلية يبين التناقض الذي هم عليه ، والاضطراب الذي يعيشونه ، والمآلات السيئة التي يبوؤون بها جزاء جاهليتهم الجهلاء وضلالتهم العمياء .

قال: «وهي من عجائب آيات الله أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع وارتكبوا نهي الله عن الافتراق صار كل حزب بما لديهم فرحين»؛ أمرهم الله جل وعلا أن يكونوا مجتمعين على الحق والهدى وأوصاهم بذلك ، وأنبياء الله تبارك وتعالى من أولهم إلى آخرهم وصيتهم للناس أن يكونوا مجتمعين على الحق والهدى وأن لا يكونوا متفرقين في الباطل والردى ، كل يركب هواه وكل يتبع ميله وشهوته ، بل الواجب على الناس أن يجتمعوا على الحق. والاجتماع لا يمكن أن يكون على الأهواء لأن الأهواء مختلفة ، ولا يكون على الآراء لأن الآراء متباينة ، ولا يكون أيضا على الشهوات، الشهوات لاحد لها. لا يمكن أن يكون اجتماع إلا على الحق، ولهذا قال جل وعلا :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] لا يمكن أن يكون اعتصام إلا بحبل الله؛ وهو دينه وشرعه الذي

خلق تبارك وتعالى الخلق لأجله وأوجدهم لتحقيقه ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] ، هذه وصية الله عز وجل لأنبيائه ورسله ، وهي وصية الأنبياء لأممهم ؛ فكل نبي بعثه الله تبارك وتعالى يوصي أمته ويأمرهم أن يجتمعوا على الحق الذي هو دين الله عز وجل وشرعه ، ويحذروهم من التفرق في الأهواء والضلالات والباطل .

يقول الشيخ رحمه الله تعالى: من عجيب أمر من ترك هذه الوصية العظيمة - وهي الوصية بالاجتماع على الحق وترك التفرق على الباطل ؛ أن كل حزب منهم صار فرحا بما عنده ، وهذا غاية العجب! كل حزب فرح بما عنده ،

وهم أحزاب ليسوا بالعشرات بل بالمئات ، والحق واحد، الأهواء المتباينة والآراء المختلفة والآراء المتضاربة والتضاد الذي يعيشونه بل يكفّر بعضهم بعضاً ويضللّ بعضهم بعضاً وكل واحد من هؤلاء المختلفين فرح بما عنده، هذه غاية العجب كل واحد فرح بما عنده ، وحالهم أن أمرهم متقطع ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنبياء: ٩٣] ، أمرهم متقطع؛ أحدٌ مشرّق وآخر مُغرّب ، آراء متباينة ، عقول متضادة ، أهواء مختلفة ، وكل واحد من هؤلاء فرح بما عنده. فهذه من العجائب التي يعيشها هؤلاء - أهل الجاهلية - تركوا الحق والاعتصام به ولزومه وتفرقوا في الباطل ، ومع تفرقهم في الباطل - وهذا موطن العجب - كلُّ حزبٍ فرح بما عنده ، والذي عنده ضلال وباطل . يفرح بماذا؟! يفرح بضلاله؟! بفساد عقله؟! بانحراف فكره؟! بولوجه بالباطل من أوسع أبوابه؟! من كانت هذه حاله واجبه الندم والعودة إلى الحق ، لكن من عجبٍ أمر هؤلاء أنهم على ما هم عليه من باطل وضلال وتفرق فرح كل منهم بما عنده مغتبطٌ به .

قال رحمه الله تعالى :

الحادية والثلاثون : وهي من أعجب الآيات أيضاً ؛ معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة ، ومحبّتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبّيهم وفتّتهم غاية المحبة ، كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لما آتاهم بدين موسى عليه السلام وأتبعوا كتب السحر وهي من آل فرعون .

ثم ذكر رحمه الله تعالى هذه المسألة الحادية والثلاثين «وهي من أعجب الآيات ايضاً» ينبه رحمه الله تعالى على عجب هذه الآية وهذا الأمر من حال أهل الجاهلية .

قال: «معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة» ؛ لو أخذنا مثال بنو إسرائيل ؛ قوم موسى عليه السلام ينتسبون إلى موسى عليه السلام ، ولو قيل ماديّكم؟ قالوا ديننا دين موسى ، لا يقولون ديننا دين فرعون ، بل يرون أن فرعون عدواً لهم وعدواً لموسى ، فيقولون ديننا دين موسى ، وإذا قيل أنتم اتباع من؟ قالوا: نحن اتباع موسى ، ولو قيل لهم هل أنتم اتباع فرعون؟ قالوا: لا ، ويغضبون لو تُسبوا هذه النسبة . هذا من حيث الانتساب ، لكن أنظر إلى واقعهم؛ واقع اليهود والديانة التي هم عليها هل هي ديانة موسى أم ديانة فرعون؟ هنا يتبين لك التناقض الذي يعيشه هؤلاء ؛ من حيث الانتساب ينتسب إلى نبي من أنبياء الله ، ومن حيث واقعه العملي يمارس الدين الذي يمارسه أعداء الأنبياء ، وهذه عجيبة من العجائب كما نبه الشيخ رحمه الله تعالى على ذلك .

قال: «معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة» ؛ معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه ، انتسبوا كما مثلت دين موسى، لكن من حيث الواقع دين موسى وهو التوحيد والإخلاص لله تبارك وتعالى وفعل الصالحات وتجنب الكبائر والآثام والموبقات ، هل هم يحبون هذا الدين من حيث واقعهم العملي؟ أم هم ييغضونه ؟ قال رحمه الله:

«معاداتهم الدين الذي ينتسبون إليه غاية العداوة» ؛ فهم ينتسبون إلى دين موسى مجرد انتساب ، لكنهم من حيث واقعهم العملي مُعادين لدين موسى عليه السلام ودين الأنبياء عموماً أشد العداوة .

وفي الوقت نفسه ؛ قال : «ومحبتهم دين الكفار» ؛ ييغضون دين الأنبياء ويحبون دين الكفار ! وإذا سُئلوا من حيث الانتساب يقولون نحن على دين الأنبياء ، لكن من حيث الواقع ييغضون دين الأنبياء وهو التوحيد والإخلاص لله تبارك وتعالى واتباع أمره ، ويحبون دين الكفار ويميلون إليه ويطبقونه في واقعهم العملي .

قال : «ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبهم وفتتهم غاية المحبة» أي يحبون دين الكفار غاية المحبة ، يحبون دين أعدائهم وأعداء أنبيائهم غاية المحبة ويميلون إليه ، ويغضون دين الأنبياء «كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم» ، هذا مثال توضيحي يذكره الشيخ رحمه الله .

قال : «كما فعلوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم لما آتاهم بدين موسى عليه السلام ، واتبعوا كتب السحر وهي من دين فرعون» ؛ لاحظت العجيب من حال هؤلاء ! اليهود لما آتاهم النبي عليه الصلاة والسلام بدين موسى ، لأنه عليه الصلاة والسلام قال في الحديث الصحيح : ((نحن الأنبياء أبناء علات ديننا واحد ديننا واحد وأمهاتنا شتى)) ، فجاءهم بدين الأنبياء التوحيد ، الإخلاص لله تبارك وتعالى بالعبادة ، لزوم نهج الانبياء والتمسك

بما جاؤوا به ، مثل ما مر معنا في الآية الكريمة ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] فجاءهم عليه الصلاة

والسلام بدين موسى ودين نوح ودين إبراهيم ودين جميع أنبياء الله تبارك وتعالى ورُسله ؛ فماذا فعلوا ؟ هل أخذوا دين موسى الذي جاءهم به رسولنا عليه الصلاة والسلام ؟ الجواب : لا ، أخذوا دين السحرة الذي هو دين فرعون . موسى عليه السلام صاحب حق ، وفرعون صاحب باطل ، وكتاب موسى التوراة وكتب فرعون كتب

السحر ، يقول الله عز وجل : ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ ماذا فعلوا ؟! ﴿بَدَّ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ

﴿ يعني اتبعوا كتب السحر ، تركوا كتاب الله ووحيه سبحانه وتعالى وتنزيله واتبعوا كتب السحر ، وأصبحت هي كتبهم ، وعنها يأخذون ، ومنها يتلقون ، وبها يدينون ، أما كلام الله عز وجل ووحيه وتنزيله لا يدينون به ولا يرضونه ولا يقبلونه !! فهذه عجيبة من عجائب حال هؤلاء ؛ ينتسبون مجرد انتساب إلى موسى عليه السلام لكن من حيث الواقع العملي الذي يعيشونه يعيشون اتباع كتب السحر واعتناق كتب الباطل والضلال ، أما كتاب الله ووحيه وتنزيله فلا يؤمنون به ولا يدينون به ، فهذا من الجاهلية التي يعيشها هؤلاء .

ونبّهنا فيما سبق إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام : ((لَتَبْعَنَّ سَنَنْ مِنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا ، ذِرَاعًا ذِرَاعًا حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ)) ؛ من حيث الواقع العملي لعدد من المنتسبين إلى الإسلام تجده من حيث

الانتساب ينتسب للإسلام وينتسب لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ولو سُئِلَ الى ماذا تَنْتَسِبُ ؟ إلى السنة أو إلى البدعة ؟ ماذا يقول ؟ يقول الى السنة ماذا أريد بالبدعة! أنتسب الى السنة ، لكن إذا نظرت الى واقعه العملي يعيش بدع ويمارس بدع ليس عنده عليها دليل لا من القرآن ولا من السنة ، ثم يقول أنا صاحب سنة ، ولو قيل له هل أنت صاحب بدعة؟ يَغْضَبُ يقول: لا ، البدعة ضلالة . فينتسب الى السنة مجرد انتساب ولكن من حيث أنه الواقع العملي يمارس البدع والضلالات والأهواء والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان ؛ فهذه من العجائب التي يَعِيشُهَا بعض الناس .

ولهذا يجب على المسلم أن يَصْدُقَ مع الله تبارك وتعالى في انتسابه لدينه وانتسابه لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن يُعْظِمَ شَرَعَ الله ، وأن يُحْكِمَ الْكِتَابَ والسنة على نفسه ، وكما قال بعض السلف «من أَمَرَ السُّنَّةَ على نفسه نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ ، ومن أَمَرَ الْهَوَى على نفسه نطق بالبدعة» ؛ من أَمَرَ السُّنَّةَ على نفسه نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ ما معنى أَمَرَ السُّنَّةَ على نفسه ؟ أي يجعل السنة هي الأميرة هي الأمرة ، الذي تأمره به السنة ينقاد إليه ، ومن أَمَرَ الْبِدْعَةَ على نفسه أو من أَمَرَ الْهَوَى على نفسه نطق بالبدعة؛ الذي يتبع هواه ويكُفُّ رأسه ويمضي على ما يهوى وتهوى نفسه هذا ينطق بالبدعة والضلال .

وبهذا أيضاً يتبين أنَّ مُجَرَّدَ الانتساب لا يُغْنِي صاحبه شيئاً ولا يكفي ، بل لا بُدَّ مع الانتساب من القيام بحقيقة الدين ولزوم شَرع ربِّ العالمين ، أمَّا مُجَرَّدُ الانتساب لا يكفي صاحبه ولا يُغْنِيه شيئاً ، ولهذا قال الحسَن البصري رحمه الله تعالى : «ليس الإيمان بالتَّحَلِّي ولا بالتَّحَلِّي» ليس الإيمان مجرد شيء تتحلَّى به وتظاهر به و تكتفي بهذا «ليس الإيمان بالتَّحَلِّي ولا بالتَّحَلِّي ولكن الإيمان ما وَقَرَّ في القلب وصدَّقَتْهُ الأفعال» .

قال رحمه الله :

الثانية والثلاثون : كُفْرُهُم بِالْحَقِّ إِذَا كَانَ مَعَ مَنْ لَا يَهُودُونَهُ ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [البقرة: ١١٣] .

يقول رحمه الله تعالى : من جاهليَّة هؤلاء «كُفْرُهُم بِالْحَقِّ إِذَا كَانَ مَعَ مَنْ لَا يَهُودُونَهُ» ؛ وهذا من جاهليتهم لأن الحق أحقُّ أن يُتَّبَعَ أينما كان ، يجب على الإنسان أن يَرْضَحَ للحق وأن ينقاد للحق وأن يكون صاحب حقٍّ مُتَّبِعٍ للحق ، لا يكون صاحب باطل ، لكن هؤلاء من جاهليتهم أن الحق إذا كان مع من يُعَادُونَهُ أو من لا يهودونه لا يقبلون به ، إذا كان بينهم وبين شخص أو فئة عداوة وكان الحق معهم لا يقبلون الحق ولا يرضون به وتستنكف نفوسهم عن قبوله وتستكبر ، ويقولون: كيف نأخذ بهذا الحق وهو عند فلان من الناس وعند الفئة الفلانية من

النَّاسُ مِمَّنْ لَا يَهُودُونَهُمْ !! فلا يقبلون بالحق .

ومثَّل الشيخ رحمَه الله إلى العداوة التي بين اليهود والنصارى وكونُ كلِّ منهم لا يهوى الآخر؛ تولَّد عنه رفضُ كلِّ واحدٍ من الطَّرفين الحق الذي عند الآخر ، لا لشيء إلا لكونه لا يهوى صاحبه . وانظر هذا ظاهراً في الآية التي ساقها المصنِّف قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ؛ كلُّ فئةٍ منهما جَحَدَتِ الحَقَّ الذي عند الأُخرى وأبطلتهُ وادَّعت أنه ليس بشيء ؛ هل لكونها درست هذا ومَحَصَّتْهُ وميزتْهُ وتبيَّن لهم أنهم ليسوا على شيء ؟! أبداً ، وإنما لكونهم لا يهودونهم ، ولكونهم يُغضُّونهم ويُعادُونهم، فبنوا على ذلك الحُكْم على كل ما عندهم بالضلال والباطل .

قال: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يعني الله سبحانه وتعالى قال مُبطلاً هذا الحُكْم العام المُبني على غير هُدى ؛ قال : ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وهذا فيه تنبيه أن التقويم وتميز الحق من الباطل لا يُبنى على ماذا ؟ لا يبنى على عداوة بينك وبين إنسان فتقول بناءً على تلك العداوة أن كل ما عنده باطل ، أو بينك وبين فئة فتقول كل ما عندهم باطل لكون بينك وبينهم عداوة هذه جاهلية!

قال : ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ أي من أراد أن يُميز حقاً من باطل وهُدىً من ضلال فعليه أن يُميز ذلك في ضوئ الكتاب ، الكتاب هو الذي يميز به الإنسان الحق من الباطل والهُدى والضلال ، ولهذا يُسمَّى الكتاب «فُرْقَاناً» ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١] ، الفرقان هو الذي يُميِّز به بين حق وباطل ، وهُدى وضلال ، ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المالك: ٢٢] ، لا يمكن أن يكون الإنسان بهذه الصِّفة إلا إذا كان معه كتاب وحي من الله سبحانه وتعالى فيؤمن به كلام الله ويمضي سائراً عليه يُميِّز به بين حق و باطل وهُدى وضلال.

قال رحمه الله:

الثالثة والثلاثون: إنكارهم ما أقرُّوا أنه من دينهم ، كما فعلوا في حجِّ البَيْت ؛ فقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] .

هذه أيضاً من جاهليتهم؛ من جاهلية أهل الكتاب : «إنكارهم ما أقرُّوا أنه من دينهم» ؛ مما يُقرُّون به أنهم أتباع لإبراهيم الخليل عليه السلام ، بل زعموا أن إبراهيم يهودياً ، قد مرَّ معنا قولُ الله سبحانه وتعالى : ﴿مَا كَانَ

إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا ﴿ زَعَمُوا أَنَّهُ يَهُودِيٌّ وَأَنَّهُمْ هُمْ وَإِيَّاهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَدِينُهُمْ وَدِينُهُ وَاحِدٌ ، هكذا زعموا!

فيقول رحمه الله: «إنكارهم ما أقرُّوا أَنَّهُ من دينهم»؛ إبراهيم عليه السلام بالإجماع هو الذي بَنَى بيت الله هو الذي بَنَى الكَعْبَةَ ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴿ [البقرة: ١٢٧] هو الذي بَنَى الكعبة، وهو الذي أَدَّ النَّاسَ بِالْحَجِّ إِلَى الكعبة إلى بيتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَلَمَّا دَعَاهُم النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الْحَجِّ إِلَى اسْتِقْبَالِ الكعبة وهم يَدْعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ مِنْهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ هَذِهِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَقْبَلُوا !! ولهذا يقول الشيخ: «إنكارهم ما أقرُّوا أَنَّهُ من دينهم كما فعلوا في حَجِّ الْبَيْتِ ، فقال الله وتعالى : ﴿ وَمَنْ يُرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ » وما ذُكِرَ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا : أَنَّهُ فِي رَفْضِ هَؤُلَاءِ اسْتِقْبَالَ الْقِبْلَةِ وَالْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ رَاغِبِينَ عَنْ ذَلِكَ غَيْرِ قَابِلِينَ لَهُ ، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْطَالِ مَا هُمْ عَلَيْهِ : ﴿ وَمَنْ يُرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ ؛ فهم في الظاهر يَدْعُونَ الْإِنْتِسَابَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ وَأَنَّهُ عَلَى دِينِهِمْ ، ثُمَّ إِذَا دُعُوا إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ امْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَأَبَوْا ؛ وهذه جاهلية.

قال رحمه الله :

الرابعة والثلاثون: أن كل فرقة تدَّعي أَنَّهُ الناجية؛ فكذبهم الله بقوله: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنِ أَنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] ، ثم يَبَيِّنُ الصَّوَابَ بقوله: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة: ١١٢] .

ثم ذكر المسألة الرابعة والثلاثين: «أن كل فرقة تدَّعي أَنَّهُ الناجية» أي الناجية من عذاب الله وسخطه وناره التي أعدها لأعدائه ولل كفار ، فكل فرقة تدَّعي أَنَّهُ الناجية وأن النجاة من نصيبهم وأنهم هم الذين سيدخلون الجنة يوم القيامة ، ادَّعى هَؤُلَاءِ : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [البقرة: ١١١] ، أيضا قالوا كما في آية أخرى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨] ، وما أرخص الدعاوى على الألسنة، من السهل على كل لسان أن يدَّعي مثل هذه الدعاوى وأن ينطقها بلسانه ويقول: أنا الناجي ، وأنا من أهل الجنة، وأنا لن أدخل النار ، وأنا حبيبٌ إلى الله ، وأنا يحبني الله .. هذه كلمات سهلة أن تقال على اللسان.

فالشيخ يقول رحمه الله: من جاهلية هَؤُلَاءِ «أن كل فرقة تدَّعي أَنَّهُ الناجية ؛ فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ» في هذه الدعاوى ، بماذا أكذبهم ؟! -وقف هنا متأملاً- بماذا أكذبهم؟ قال: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنِ أَنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ الدعوى لا تكفي ، الذي يدَّعي لنفسه أنه ناجي فليأتني بالبرهان ، هاتوا برهانكم على النجاة. ولهذا في آية أخرى جعل الله

سبحانه وتعالى علامة النجاة لزوم الحق وأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] ؛ هذا هو البرهان ، أما مجرد الدعوى لا تكفي ولا تغني صاحبها شيئاً. قال ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ ، ثم ذكر الله تعالى البرهان .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : «ثم بين الصواب بقوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^٩» ؛ هذا هو البرهان ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾^٩ ، من كان بهذه الصفة تكون له النجاة ، أما مجرد ادعاء ؛ نحن أبناء الله وأحباؤه ، أو لن يدخل الجنة إلا نحن ، ولن ندخل النار أو نحو هذا الكلام هذا كله لا يجزئ صاحبة شيئاً. هاتوا برهانكم وذكر الله تعالى البرهان قال: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^٩ .

وقوله ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾^٩ جمع بين شرطي قبول الأعمال وهما: الإخلاص للمعبود بإسلام الوجه له وحده ، والمتابعة للرسول وذلك بإحسان العمل والإتباع لما جاءت به رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه؛ هذا هو البرهان الصادق ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^٩ .

نظير ما جاء في هذه الآية تماماً ما ورد في السنة ؛ قال عليه الصلاة والسلام: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ؛ كلها في النار إلا واحدة)) قالوا من هم ؟ قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) ، قوله : ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) مثل ما جاء في الآية ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^٩ لأن الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه هو إسلام الوجه لله وإحسان العبادة والإتيان بها كما شرع الله. ولهذا قال في الحديث ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) ؛ أي من كان كذلك كان من أهل النجاة ، أما مجرد الدعوى فالدعوى لا تغني صاحبها شيئاً ولا تُجدي . فإذا ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ البرهان هو الإسلام الوجه الله والإحسان بعبادة الله تعالى كما شرع الله عز وجل وأمر عباده بذلك .

قال رحمه الله تعالى :

الخامسة والثلاثون: التعبد بكشف العورات كقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا

بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]

قال : «الخامسة والثلاثون : التعبد بكشف العورات» والعياذ بالله ، أي من جاهلية هؤلاء أنهم اتخذوا كشف

العورات عبادة يتعبدون بها ، وهذا أمر كان يمارسه المشركون في الجاهلية ، وكانوا يطوفون بالبيت عراً! بعضهم حتى عورته المغلظة ليست مستورة عند بيت الله الحرام! وكانوا يقدون إلى مكة للحج من أنحاء مختلفة وإذا وصلوا إلى مكة تجردوا من ثيابهم قبل دخولها ، يقولون: لا نطوف ببيت الله بثياب أذنبا فيها! فيجردون أنفسهم من الملابس رجالا ونساء ويدخلون مكة عراً بدون ثياب تعبداً لله عز وجل والعياذ بالله بكشف العورات ، ثم يطوفون بالبيت عراً . وبعضهم يطلب من الحمص (من قريش) أن يعيره ثوبا طاهرا حتى يطوف به ، حتى أنهم في طلبهم يقول الرجل للرجل والمرأة للمرأة: أعطني تطوفاً - يعني ثوباً أطوف به - فإن وجد من يعطيه منهم ثوبا وإلا يطوف عارياً إلى الكعبة، طاف عاريا ورجع عاريا! وكانت امرأه منهم جاءت على هذا السنن وطافت عارية وأنشدت بيتا وهي تطوف ذكر في كتب الأخبار قالت : «اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله» وتمشي تطوف عارية عند بيت الله!! جاهلية جهلاء وضلالة عمياء .

ويتقربون إلى الله بالعري أمام بيته وعند بيته!! من أين لكم ذلك؟! ما هذه الممارسات الشنيعة القبيحة التي تفعلونها عند بيت الله؟! ماذا قالوا؟ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ ؛ لا اله إلا الله! احتجوا بماذا؟! بأمرين على هذا التعري والفحش وهذه القبائح والشنائع! احتجوا عليها بأمرين:

١. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ ولدنا هكذا آباءنا يمارسون هذه الممارسات ! طيب إذا كان أبوك لا يعقل تمضي

على ما هو عليه من فساد العقل وفساد الرأي والانحراف؟! تقليد أعمى وجدنا عليه آباءنا !

٢. الأمر الثاني وهو أشنع وأعظم وأفحش ؛ قالوا: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ ؛ الله عز وجل لا يأمر بالفحشاء ، الله يأمر

بالزينة ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] ، ليس فقط تلبس بل خذ زينتك وتزين بأجمل ما

يكون عندك من ثياب تلبسها مستعداً لصلاتك متهيئاً لعبادتك وطاعتك لله تبارك وتعالى .

فمن جاهلية هؤلاء التعبد لله تعالى بالعري ، وهذه الجاهلية التي كان عليها المشركون أيضا وجدت ، ووجد لها نظائر عند أهل الطرائق الباطلة ، حتى إنَّ عند بعض الطرقية من أهل الضلال يقولون : لا يبلغ المرید مبلغه ورتبته العالية في الطريقة إلا إذا تجرد عند شيخه!! ويعدون التجرد نوعاً من التقرب أو نوعاً من أبواب التوبة التي يتقربون بها إلى الله ويتعبدون لله تبارك وتعالى بها.

فهذه جاهلية جهلاء كان عليها أهل الشرك والباطل ، والله سبحانه وتعالى حمى أمة الإسلام ومنَّ عليهم بالإسلام الذي فيه هدايتهم للتي هي أقوم وفيه صلاحهم وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

ولعلنا هذا اليوم نكتفي بهذا القدر .

والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلّم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الدرس السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وأشهد إن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح وللسامعين:

المسألة السادسة والثلاثون : التعبد بتحريم الحلال كما تعبدوا بالشرك .

قال رحمه الله تعالى «المسألة السادسة والثلاثون» أي من مسائل الجاهلية «التعبد بتحريم الحلال»؛ التعبد: أي التدين والتقرب إلى الله تبارك وتعالى «بتحريم الحلال» أي بتحريم ما أحل الله سبحانه وتعالى لهم من الطيبات، يحرمون على أنفسهم ما أحل الله عز وجل ، أو يحرم عليهم أحبارهم ورهبانهم ما أحل الله عز وجل فيحرمونه، يحرمون على أنفسهم ما حرّمته نفوسهم عليهم وما حرّمه أيضاً عليهم الرهبان الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله عز وجل.

ومثّل رحمه الله تعالى على ذلك بأخطر ما يكون وهو الشرك بالله عز وجل، قال : «كما تعبدوا بالشرك» أي بالله عز وجل، والشرك محرم لكنهم أجازوه لأنفسهم وتدينوا به وتقرّبوا إلى الله تبارك وتعالى به وقالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٢٥] ؛ فأصبحت عقيدتهم تحليل الحرام وتحريم الحلال، مناقضةً لشرع الله سبحانه وتعالى ودينه الذي أمر به عباده جل وعلا عباده هدايةً له وفلاحاً وسعادةً في الدنيا والآخرة.

قال رحمه الله تعالى:

السابعة والثلاثون : التعبد باتخاذ الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله .

«التعبد باتخاذ الأحرار والرهبان»؛ الأحرار: علمائهم، والرهبان: عبّادهم، فتدين هؤلاء الجاهليون «باتخاذ الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله» أي أن ما يُحلُّه الرهبان لهم يحلونه وإن كان حرّمه الله ، وما يحرمه عليهم الرهبان يحرمونه ولو كان أحله الله، يحلون ما أحل لهم الرهبان ويحرمون ما حرّموا عليهم؛ فهذا من اتخاذ الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله، كما في الآية الكريمة ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] ، ولما سمع عدي رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية قال: «يا رسول الله لسنا نعبدهم!» ، قال عليه

الصلاة والسلام : ((أليسوا يحلون الحرام فتحلونه، ويحرمون الحلال فتحرمونه؟)) ، قال بلى، قال: ((فتلك عبادتهم)) . فعبادة الأحرار والرهبان تكون بطاعتهم بتحريم ما أحل الله وبتحليل ما حرم ، فهذه الطاعة بحد ذاتها عبادة ، فالشرك الذي وقعوا فيه هنا شرك الطاعة وتسوية الأحرار والرهبان بالله تبارك وتعالى ، لأن الحكم لله والخلق عبيد لله تبارك وتعالى ليس لهم تشريع أو أمر أو حكم ، ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١] .

قال رحمه الله:

الثامنة والثلاثون : الإلحاد في الصفات، كقوله تعالى ﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت: ٢٢]

وهذه كذلك من جاهلية هؤلاء «الإلحاد في الصفات» ، والإلحاد في صفات الله تبارك وتعالى: هو الميل والعدول بها عن الحق الثابت لها ، لأن الإلحاد مأخوذ من اللحد وهو الميل ؛ الحَدَّ السهم عن الرمية: أي مال ، فاللحد: هو الميل، والإلحاد في الصفات : هو الميل بها عن الحق الثابت لها . وحق صفات الله تبارك وتعالى أن يؤمن بها كما جاءت، وأن تُثبت كما وردت، وألا تُعطل بأن تُنفى أو تُحَرَّفَ بأن تُغَيَّرَ ألفاظها أو معانيها ومدلولاتها ، أو أن تُمثل صفاته تبارك وتعالى بصفات المخلوقين -تنزه الله تبارك وتعالى عن ذلك- ، أو أن تُكَيَّفَ بأن يحاول بعقله القاصر وفكره الضعيف أن يعرف كيفيتها ؛ فكل ذلك من الميل والعدول بها عن الحق الثابت لها فهو إلحاد في صفات الله تبارك وتعالى.

ولهذا الإلحاد ليس نوعاً واحداً ولا مسلكاً واحداً وإنما هو أنواع ومسالك ، يجمعها وصف الإلحاد وتتفرق طرائق الملحدون في صفات الله تبارك وتعالى. فأهل الجاهلية كان من أنواع جاهليتهم إلحادهم في صفات الله تبارك وتعالى، وذلك بالإنكار لها أو لشيء منها ، كما مثَّلَ لذلك المصنف رحمه الله تبارك وتعالى بقوله ﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ؛ هذا إلحاد في صفات الله تبارك وتعالى.

وقد ذُكِرَ في سبب نزولها : أن رجلين أو ثلاثة اجتمعوا عند بيت الله تبارك وتعالى وأخذوا يتحدثون ، ثم تساءلوا بينهم قالوا : أيسمع الله تبارك وتعالى كلامنا؟ فقال أحدهم : "إن رفعنا صوتنا به سمع وإن خافتنا لم يسمع" ، وهكذا أخذوا يتكلمون في سمع الله تبارك وتعالى وعلمه ؛ فأنزل الله جل وعلا ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٢) وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي

ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَوْىً لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿ فذكر تبارك وتعالى هذا الإلحاد الذي وقعوا فيه بظنهم ؛ أي اعتقادهم أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم كثيراً مما يعملون .

ولتلاحظ هنا أن هؤلاء الذين وصف الله تبارك وتعالى حالهم لم ينفوا صفة العلم لله تبارك وتعالى من أصلها ولم يحدوها من أساسها ، وإنما نفوا علمه بكثير من أعمالهم ؛ فذكر الله تبارك وتعالى أن هذا أوقعهم في الردى والهلاك ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ؛ فهذا الظن الفاسد والاعتقاد الباطل في صفات الله تبارك وتعالى أوقع هؤلاء في الردى والخسران ودخول النيران وحلول عقوبة الله تبارك وتعالى عليهم بجددهم لعلم الله تبارك وتعالى بكل شيء ؛ حيث ظنوا إن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون ، وهذا من الإلحاد في صفات الله تبارك وتعالى الذي يوقع صاحبه في الردى .

وهنا ننتبه إلى أن باب الصفات وإثباتها لله تبارك وتعالى يقوم على أصلين : إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل ، على حد قول الله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، ففي قوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ تنزيهه ، وفي قوله ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ إثبات ، فتوحيد الأسماء والصفات قائم على هذين الأصلين : التنزيه لله تبارك وتعالى عن كل ما لا يليق به ، وإثبات الكمال لله سبحانه وتعالى مما ثبت به كتابه وثبتت به سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فمن نفى ما أثبتته الله سبحانه وتعالى لنفسه أو ما أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات فهو ملحد ، ومن أثبت ما نفاه الله سبحانه وتعالى عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم فهو ملحد .

ولهذا ؛ الإلحاد يقع بإثبات ما نفى الله وبنفى ما أثبت ، والمثال الذي ساقه المصنف رحمه الله تعالى في قوله جل وعلا ﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ هذا إلحادٌ بنفى ما أثبت الله ، الله جلّ وعلا أثبت لنفسه العلم الواسع المحيط ، العلم بما كان ، والعلم بما سيكون ، والعلم بما لم يكن لو كان كيف يكون ، وأنه تبارك وتعالى أحاط بكل شيء علماً ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩] ، ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سبا: ٣] ، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] ، ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] أي بعلمه واطلاعه سبحانه وتعالى . فأثبت جلّ وعلا لنفسه العلم الواسع ، العلم المحيط ، العلم بكل شيء ، فمن نفى هذا الذي أثبتته الله سبحانه وتعالى لنفسه فهو ملحد ، كما صنع هؤلاء بقولهم أو بظنهم إن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون .

ويقع كذلك الإلحاد بإثبات ما نفى الله ؛ بأن يثبت لله تبارك وتعالى ما نفاه الله عن نفسه ، ومثال هذا النوع في

قوله تبارك وتعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٩) تَكَاذُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿ [مریم: ٨٨-٩١] ؛ فقولهم ﴿ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ هذا إلحادٌ بإثبات ما نفى الله، والمثال السابق إلحاد بنفي ما أثبت الله .

فمن أثبت ما نفى الله فهو ملحد، ومن نفى ما أثبتته الله تبارك وتعالى فهو ملحد ، وكل من الإلحادين -سواءً بإثبات ما نفى الله، أو بنفي ما أثبت- يوقع صاحبه في أشد الهلكة وأعظم الخسران ، ولهذا في النوع الأول قال: ﴿ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، وفي الثاني قال ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾ (٨٩) تَكَاذُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿ ؛ فهذا أمر أخطر ما يكون وأشنع ما يكون ويترتب عليه من الأضرار والنكال والعقوبات ما لا حد له ولا عد . فالإلحاد في صفات الله تبارك وتعالى جاهلية جهلاء وضلالة عمياء ، وحى الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام منها ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام حيث بينَّ عليه الصلاة والسلام للأمة واجبها نحو أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته، وأنها تُثبت لله ويؤمن بها وتُقر ، ويعظم الرب جلّ وعلاء ويُقدر جلّ وعلا حق قدره، ويُبتعد عن مسالك الضالين وطرائق أهل الجاهلية .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة والثلاثون :الإلحاد في الأسماء كقوله ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [الرعد: ٣٠] .

«الإلحاد في الأسماء» أي أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى ، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وفي هذا تهديد ووعيد من الله تبارك وتعالى من للملحدين في أسمائه ، توعدهم الله تبارك وتعالى وتهدهم على إلحادهم في أسمائه سبحانه أولاً : بقوله جل وعلا ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ أي تجنبوا طريقتهم واحذروا مسلكهم ، والأمر الثاني: بما ختمت به الآية وهو قوله تعالى: ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي سيعاقبون ، ولم يذكر نوع العقوبة التي يحلُّها بهم لفضاعتها وشدتها وعظم النكال الذي أعده الله سبحانه وتعالى للملحدين في أسمائه .

قال: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ أي آمنوا بها وأثبتوها له جلّ وعلا وتَقربوا الى الله سبحانه وتعالى بالإيمان بها والتوسُّل إليه تبارك وتعالى بالإيمان بها ومناجاته بذلك ، مقربين له جل وعلا بأسمائه الحسنى الثابتة في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا الإيمان بأسماء الله والإقرار يؤدي بالمؤمن إلى الجنة والفوز بثواب الله ،

كما صح بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : ((إن لله تسع وتسعين اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة)) ؛ من أحصاها : أي حفظها، وفهم معانيها ، وعمل بما تقتضيه من الإخلاص وحسن الرجاء وصدق مع الله وتوكل على الله وتتميم العبادة وتحقيق العبودية لله تبارك وتعالى . فالإيمان بأسماء الله تبارك وتعالى الحسنى يفضي بالعبد إلى كل خير ورفعة في الدنيا والآخرة ، أما الإلحاد في أسمائه سواء بنفيها أو بأن يثبت لله تبارك وتعالى من الأسماء ما لا يليق به جل وعلا ، أو بأن تحرف معانيها ومدلولاتها ، أو بأن يقاس تبارك وتعالى بخلقه ويمثل بهم، أو غير ذلك فهذا كله إلحاد في أسماء الله، وخروج بها عن الحق الثابت لها، وهو من صنائع ومسالك أهل الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها .

ومثّل الشيخ رحمه الله تعالى على هذا النوع بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُمْ يُكْفَرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠] ؛ وذلك أن المشركين لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلح الحديبية اتفقوا على أن يكتبوا كتاباً فيه ما تم بينهم من صلح، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم بكتابته فقال ((اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم»)) قال سهيل بن عمرو: ما ندري الرحمن ما هو؟ ما نعرف إلا رحمن اليمامة، فرفضوا أن يكتب اسم الله تبارك وتعالى «الرحمن» في ورقة الصلح وقالوا الرحمن ما ندري ما هو ، فجحدوا هذا الاسم . وكما نبه العلماء الجحد هنا ليس مبنياً على عدم معرفة القوم بأن الله تبارك وتعالى رحمن ، وإنما هو نوع معاندة ومكابرة وتكبر على الحق وعلى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا هم على معرفة بذلك، ويأتي ذكر هذا الاسم في أشعارهم كثيراً ، ف«الرحمن» جحدوه هنا عناداً وتكبراً ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] وإلا الاسم معروف ، ولهذا قال بن جرير الطبري رحمه الله تعالى في كتابه التفسير : «وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب لا تعرف اسم الله الرحمن» ، ثم بين ما يكذب هذه الدعوى؛ الاسم معروف عندهم ولكنهم جحدوا على وجه المعاندة، فسمى الله تبارك وتعالى جحدهم لهذا الاسم على وجه المعاندة والمكابرة كفراً ؛ قال: ﴿وَهُمْ يُكْفَرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ . وإذا كان جحد اسم واحد لله تبارك وتعالى سواء للمعاندة والمكابرة أو لأي سبب آخر سماه الله تبارك وتعالى كفراً ؛ فكيف بمن يجحد أكثر أسماء الله جلّ وعلاء وأكثر صفاته ويعاند في ذلك ويكابر ويقدم هواه ومنطقه ورأيه وفكره على كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم !! قال ﴿وَهُمْ يُكْفَرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ ؛ فسمى تبارك وتعالى هذا الجحد كفراً بالله تبارك وتعالى.

قال رحمه الله تعالى :

الأربعون : التعطيل كقول ال فرعون .

قال : «الأربعون: التعطيل»؛ والتعطيل : هو النفي والجحد لما أثبت الله سبحانه وتعالى ، مدلول هذه الكلمة لغةً التعطيل : هو النفي ، قول الله عز وجل ﴿وَبَرُّمُعْطَلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥] أي خالية متروكة، فالتعطيل هو النفي يقال " جيد معطلة من الحلبي " أي خالية ، تعطيل الأسماء والصفات: نفياً وعدم إثباتها لله تبارك وتعالى .

وهذا التعطيل كما نبه المصنف رحمه الله تعالى هو دين فرعون، دين فرعون هو التعطيل والجحد ، ولهذا كل معطل لأسماء الله تبارك وتعالى نسبته اللاتقئة به أنه هو فرعوني ، على طريقة فرعون في التعطيل والجحد د، أما الذي يثبت الصفات لله تبارك وتعالى فإنه على نهج الأنبياء وطريقتهم ، ولنضرب على ذلك مثلاً :

الله جلّ وعلا أثبت لنفسه في كتابه وأثبت له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته علوه جلّ وعلا على خلقه وأنه العلي العظيم الكبير المتعال الأعلى جلّ وعلا ، أثبت لنفسه ذلك وقامت البراهين الكثيرة على إثبات العلو له جلّ وعلا ، وهي براهين لاتعد بالمئات بل بالآلاف ، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحجج البينات على علو الله تبارك وتعالى لا حصر لها ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [البقرة: ٤] ، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢] ، ﴿أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] ، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، آيات كثيرة ناطقة وشاهدة بعلو الله تبارك وتعالى على خلقه ؛ فمن أثبت العلو لله فدينه دين الأنبياء ، ومن نفى علو الله تبارك وتعالى دينه دين من؟! موسى عليه السلام كان مما أبلغ فرعون به ودعاه إلى الإيمان به الإيمان بالله تبارك وتعالى المستوي على العرش العلي على الخلق علواً يليق بجلاله وكماله ، فجحد فرعون ذلك وقال: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِي صِرْ حَا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) **أَسْبَابُ السَّمَاوَاتِ فَاطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى**

وَأَنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] ؛ وهذا السياق فيه أن موسى عليه السلام أخبر فرعون أن الله في السماء ، ولهذا أراد بزعمه أن يبني صرحاً أي بناءً عالياً شاهقاً مرتفعاً ليصعد عليه وليطلع هل يوجد إله في العلو كما أخبر موسى أو لا يوجد؟ قال: ﴿وَأَنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ فجحد علو الله سبحانه وتعالى وجحد وجوده ، بل قال: ﴿مَا عَلِمْتُ

لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] ، وقال ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] . وهذا الجحد من فرعون ليس مبيناً عن عدم علم منه بوجود الله وأنه خالق هذه المخلوقات ، هو يعلم ولكنه يقول ذلك مكابرة وعناداً ، وقرأ دليل ذلك في قوله تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] ، وفي قوله تعالى فيما ذكره جل وعلا عن موسى

عليه السلام فيما قاله لفرعون قال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ﴾ [الإسراء: ١٠٢] ؛ ﴿لَقَدْ عَلِمْتُ﴾ أي يا فرعون ﴿مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ﴾ أي أنت في قرارة نفسك تعلم ولكن هذا الجحد كان من فرعون على وجه المعاندة والمكابرة.

فالذي يعطل الصفات فيه شبه من فرعون ، والذي يثبت الصفات هو على سَنَنِ الأنبياء .
والتعطيل كما قال أهل العلم تعطيلٌ كُلِّي ، وتعطيلٌ جُزْئِي ؛ الكُلِّي: بنفي الصفات والأسماء عموماً ، والجُزْئِي:
بتعطيل بعضها ، وذلك بإثبات بعضهاً وجحد بعضهاً ، ولهذا قال العلماء : باب الصفات واحد ؛ القول في بعض
الصفات كالقول في البعض الآخر .

قال رحمه الله تعالى :

الحادية والأربعون: نسبة النقائص إليه سبحانه.

قال رحمه الله : «الحادية والأربعون: نسبة النقائص إليه سبحانه، كالولد والحاجة والتعب مع تنزيه رهبانهم عن
بعض ذلك» ؛ وهذا أيضاً داخل فيما سبق ألا وهو: الإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته ، فمن جاهلية
أولئك الجهلاء وضلالتهم العمياء نسبتهم النقائص إليه ، والله سبحانه وتعالى منزّه عن النقائص والعيوب جل
وعلا.

«نسبتهم النقائص إليه» أي نسبتهم إلى الله تبارك وتعالى ما لا يليق به من النقائص والعيوب ، ومثّل لذلك ببعض
الأمثلة قال : «كالولد» أي كنسبة الولد إلى الله سبحانه وتعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨] ، قالوا
﴿عُزِّرْ أَبْنَى اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ، قالوا: الملائكة بنات الله ؛ فهذا من الإلحاد ، من الإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى
وصفاته: نسبة النقص إليه؛ كالولد .

«وكالحاجة» أي حاجته تبارك وتعالى إلى خلقه .

«والتعب» ؛ ولهذا قال عز وجل في سورة ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] أي وما مسنا من تعب ، لأن اليهود يدّعون أنه تبارك وتعالى وتنزه وتقدس أنه لما خلق
السموات والأرض تعب ، هكذا يزعم اليهود أخزاهم الله ، فنزه الله تبارك وتعالى نفسه عن ذلك قال: ﴿وَلَقَدْ
خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ .

ومن ذلك أيضاً: قول اليهود أخزاهم الله ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ، قال تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ
مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] .

قال : «مع تنزيه رهبانهم عن بعض ذلك» أي عن بعض هذا الذي أثبتوه لله من النقائص ، ينزهون رهبانهم عن
بعض ذلك ، رهبانهم عرفنا المراد به : أي عُبَادُهُمْ ، الرهبان: العُبَاد المنقطعين للعبادة ، ومن انقطاع بعض الرهبان

عن العبادة ترك النكاح والنسل ، وهذا مما يتعبدون لله تبارك وتعالى به أو بعض رهبانهم يتعبد لله به ترك النكاح والنسل، فتقربون لله تعالى بذلك . فالراهب الذي يبلغ الدرجة العالية في الرهبانية عندهم هو الذي ينقطع ولا ينكح ولا يكون له نسل ، وعندهم أن الراهب فعلاً هو من لا زوجة له ولا أولاد هذا هو المترهب . إذاً الراهب ينزهونه عن الزوجة والولد وأنها لا تليق به ، ثم هذا الذي ينزهون الراهب عنه ويرونه لا يليق به وأن مقامه أعلى يثبتونه لله تعالى الله وتقديس عن ذلك ؛ فيقولون أن الله اتخذ صاحبة واتخذ ولداً ، فيثبتون لله تبارك وتعالى ما ينزهون بعض رهبانهم عنه .

ولهذا يذكرون في القصص، ذكرها بعض أهل العلم، أن أحد المسلمين لقي جماعة من النصارى ومعهم راهب ، معهم رجل منهم مترهب ومنقطع عن الزواج وعن الذرية ، فأراد أن يخرجهم في هذا الباب فلما تبادلوا التحية قال للراهب كيف الزوجة والأولاد ؟ يسأله كيف زوجتك وأولادك ؟ فغضب من حوله قالوا: كيف تسأله عن الزوجة والأولاد وهو راهب؟! يعني هذا لا يليق به . ثم قال لهم : كيف تنزهون الراهب عن الزوجة والأولاد وأنتم تقولون اتخذ الله صاحبة وولداً؟! فتثبتون لله تبارك وتعالى ما تنزهون رهبانكم عنه وما ترونه غير لائق برهبانكم، ترونه لا يليق بالرهبان وتثبتونه للعظيم الكريم الرحمن سبحانه وتعالى!! فهذا من جاهلية هؤلاء الجهلاء وضلالتهم العمياء أنهم يثبتون لله تبارك وتعالى النقائص مما ينزهون بعض رهبانهم عنه .

قال رحمه الله تعالى :

الثانية والأربعون : الشرك في الملك كقول المجوس.

«الشرك في الملك» هذا من أيضاً الجاهلية التي وجدت في هؤلاء الشرك في الملك؛ أي: بإثبات مالك وخالق مع الله تبارك وتعالى «كشرك المجوس» والمجوس: هم الذين يدعون وجود خالقين، خالق للخير وخالق للشر، خالق للنور وخالق للظلمة، فالمجوسية هي إثبات خالق مع الله تبارك وتعالى ومالك مع الله جل وعلا . ولهذا من أثبت لغير الله تبارك وتعالى حظاً من الملك الاستقلالي أو التسخير والتدبير والتصرف في هذا الكون ففيه مجوسية وهو في ذلك على ذلك على نهج المجوس وعلى طريقة المجوس الذين يثبتون خالقاً مع الله تبارك وتعالى . ولهذا قال العلماء رحمهم الله عن القدرية نفاة القدر -قدر الله عز وجل- قالوا هم مجوس هذه الأمة ؛ لأن الذي يقول "إن العبد هو الخالق لفعل نفسه" أثبت خالقاً مع الله، فكان فيه شبه من المجوس، ولهذا قال أهل العلم : القدرية مجوس الأمة ، وجاء في حديث يُرفع للنبي صلى الله عليه وسلم ويحسنه بعض أهل العلم . كذلك يدخل في هذا الدهرية الذين يقولون ﴿وَمَا يُلْكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الباقية: ٢٤] وسيأتي الكلام عليهم عند ذكر المصنف لهم .

قال رحمه الله تعالى:

الثالث والأربعون: جحود القدر.

قال رحمه الله: «الثالثة والأربعون: جحود القدر» أي إنكاره . والقدر قدرة الله عز وجل ، والإيمان به ركن من أركان الإيمان وأصل من أصوله العظام ، ولا إيمان لمن لم يؤمن بالقدر، ولهذا لما سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره)) ؛ فذكر عليه الصلاة والسلام الإيمان بالقدر في جملة أصول الإيمان ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القم: ٤٩] ، وقال جل وعلا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا عَلَى قَدَرٍ يَأْمُرُ بِهٖ﴾ [طه: ٤٠] ، وقال جل وعلا ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] ، وقال جل وعلا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] وقال جل وعلا ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فالقدر أصل من أصول الإيمان وركن من أركان الدين ، ولا إيمان لأحد إلا بالإيمان بالقدر، بل القدر كما وصفه بذلك بن عباس رضي الله عنهما نظام التوحيد؛ أي لا ينتظم لأحد توحيده وإيمانه إلا بالإيمان بالقدر ، فإذا جحد القدر انتقض الإيمان والتوحيد، قال بن عباس رضي الله عنهما «القدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده»، نقض تكذيبه -أي بالقدر- توحيده أي لله جل وعلا . فلا يكون العبد مؤمناً بالله موحداً إلا إذا كان مؤمناً بأقدار الله سبحانه وتعالى وأن الأمور كلها بقدر ، وأن هذا الملك ملك الله، لا يمكن أن يكون فيه شيء أو أن يقع فيه شيء إلا بأذنه جل وعلا وبعلمه.

ثم إن الإيمان بالقدر لا يصح إلا بالإيمان بمراتبه الأربعة التي جاءت مبينه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي :

أولاً: الإيمان بعلم الله سبحانه وتعالى بما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وأنه جل وعلا أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً.

والمرتبة الثانية: الإيمان بأن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل خلقه السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)).

والمرتبة الثالثة : الإيمان بالمشيئة النافذة والقدرة الشاملة، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

والمرتبة الرابعة : الإيمان بخلق الله عز وجل للأشياء ، وأنه تبارك وتعالى خالق كل شيء ، وأنه جل وعلا رب العالمين هو خالقهم ومالكهم والمتصرف فيهم لا شريك له في شيء من ذلك .

فهذه مراتب القدر ، ولا يكون مؤمناً بالقدر من لا يؤمن بهذه المراتب. ولهذا الإيمان بالقدر حقيقته : الإيمان بعلم الله المحيط ، وكتابتته سبحانه وتعالى لمقادير الخلائق ، وأن الأمور بمشيئته سبحانه ، ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ، وأنه عز وجل الخالق لكل شيء ، فمن لا يؤمن بهذه الأمور لا يكون مؤمناً بالله تبارك وتعالى ، ومن لا يكون مؤمناً بالله لا يقبل الله سبحانه وتعالى منه عمل ، ولهذا قال جل وعلا ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٠] ، ولهذا جاء في الحديث أن الوليد بن عباد بن الصامت لما حضرت والده الوفاة رضي الله عنه أتى إليه وطلب منه أن يوصيه بوصيه وكان نائماً على فراشه ، فقال أجلسوني ، طلب منه ابنه أن يوصيه بوصيه فقال أجلسوني فأجلسوه ، فكان مما أوصاه أن قال : «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطئك لم يصيبك ، ثم قال له : اعلم أنك إن مت على ذلك مت على غير الإسلام أو على غير الملة» ، الذي لا يؤمن بالقدر يموت إن مات على ذلك يموت على غير ملة الإسلام ، لأن الإسلام جاء بالإيمان بقدر الله سبحانه وتعالى.

الشاهد أن من جاهلية هؤلاء جحد القدر وعدم الإيمان به ، إنكار القدر وعدم الإيمان به هذا من الجاهلية التي عند هؤلاء ، ولا يعني ذلك أن جميعهم لم يكونوا مؤمنين بالقدر ، بل بعضهم كانوا مؤمنين بالقدر مقراً به ، ويأتي في أشعارهم مثل قول أحدهم لمحبيبته:

يا عبل أين من المنية مهرب إن كان ربي في السماء قضاها

هذا شاعر جاهلي ؛ فيوجد فيهم من يؤمن بأن الأمور بقدر الله سبحانه وتعالى ، ويوجد فيهم من يجحد ومن يقول ﴿ وَمَا يُلْكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] ، ونحو ذلك.

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والأربعون: الاحتجاج على الله به .

«الرابعة والأربعون: الاحتجاج على الله به» أي بالقدر ، وهذه نوع من المغالطة التي يمارسها أهل الجاهلية؛ يحتجون على باطلهم بالقدر ، اذا قيل لهم : لماذا تشركون؟ ولماذا تتركبون الفحشاء؟ يقولون ﴿ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ [الزخرف: ٢٠] ، ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ

شَيْءٌ ﴿[النحل: ٣٥]﴾ ، فيحتجون على باطلهم بالقدر وأن الله سبحانه وتعالى لو شاء ما فعلنا ذلك، فيحتجون على باطلهم بالقدر، وهذا جاهلية ومن طريقة أهل الجاهلية. عندما يقال لشخص مثلاً لماذا لم تصلي؟ فيقول ما قدّر الله لي الصلاة ، هذه طريقة أهل الجاهلية، أو ما كتب الله لي الصلاة ؛ يحتج على باطله وعلى مخالفته بالقدر! فهذا نوع من الجاهلية ، لأن الله سبحانه وتعالى قدّر مقادير الخلائق وجعل للعبد مشيئة؛ يختار طريق الخير إن شاء، ويختار طريق الشر إن شاء ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البند: ١٠٠] ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((اعملوا فكلّ ميسر لما خلق له)) يقال اعمل لمن عنده مشيئة ، ولهذا قال سبحانه ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[التكوير: ٢٨-٢٩]﴾ ، فالإنسان عنده مشيئة يختار بها طريق الخير ويختار بها طريق الشر ، فكون الإنسان يحتج على باطله أو على مخالفته أو على تركه لطاعة الله سبحانه وتعالى بالقدر هذا من الجاهلية ، بينما الواجب على العبد في هذا المقام أن يجاهد نفسه على فعل الصالحات والقيام بالطاعات، ويطلب من الله العون والثبات والسداد ، أما أن يجلس معطلاً نفسه عن الخير مبتعداً عن مسالك الخير ثم يقول الله ما كتب لي ذلك!!، هل جاهدت نفسك على الخير وهل رجوت الله وسألته وطلبت منه وألححت عليه ورجوته فحرمك؟، أم أنك حرمت نفسك بإعراضك وصدودك وتركك لطاعة ربك تبارك وتعالى؟

الشاهد أن هذه جاهلية كان عليها المشركون ، ووجد في الأُمة من صار عنده وجه شبه للمشركين بذلك، يحتج على تركه للطاعات أو على فعله للمنكرات بالقدر .

قال رحمه الله تعالى :

الخامسة والأربعون: معارضة شرع الله بقدره .

«معارضة شرع الله بقدره» وهذه أيضاً جاهلية؛ يعارضون الشرع بالقدر ، وليس هناك معارضة إلا في رؤوس هؤلاء وأفهام هؤلاء ، وإلا الأمر منتظم ولا تعارض . فهؤلاء يعارضون شرع الله بقدره فيقولون: كيف يُقدّر سبحانه وتعالى ما لا يرضاه شرعاً؟ يُقدّر الكفر مثلاً كوناً وقدرًا والشرك وقد قال سبحانه وتعالى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] أي لا يرضاه شرعاً ودينًا!! وهذا ليس فيه تعارض إلا في أفهام هؤلاء وعقول هؤلاء .

ولهذا سلكوا هذا المسلك الباطل الآثم بأن عارضوا شرع الله سبحانه وتعالى بقدره وليس بينهما تعارض ، لأن الله سبحانه وتعالى قدّر الخير وقدّر الشر ، وابتلى عباده سبحانه وتعالى وامتحانهم واختبرهم ليميز الخبيث من الطيب، المؤمن من الكافر، الصادق من الكاذب، ابتلاهم سبحانه الله سبحانه وتعالى بذلك حتى يتحقق الامتحان

ويتحقق صدق الصادق وكذب الكاذب ، وَمَنْ الْمُقْبِلُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَقًّا مِنْ غَيْرِهِ ؛ ولهذا كانت هذه الدنيا دار امتحان وابتلاء ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ؛ فيحتاج من العبد أن يُقْبَلَ عَلَى شَرِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَدِينِهِ ، وأن يحقق العبودية لله تبارك وتعالى ، وأن يسأل الله جلّ وعلا دوماً وأبداً أن يثبتته على الحق والهدى وأن يعينه من الباطل والردى .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة والأربعون: مسبة الدهر ، كقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجنانية: ٢٤] .

قال رحمه الله تعالى : «السادسة والأربعون: مسبة الدهر، كقولهم ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾»، الدهر: هو تقلب الليل والنهار، وتقلب الليل والنهار ليس ليل والنهار فيه اختيار ، فهو مقلَّبٌ بتقلب الله سبحانه وتعالى، فسب المقلَّب بلا اختيار منه سبٌّ لِمُقْلَبِهِ ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((قال الله تعالى : يؤذيني بن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر؛ أَقْلَبُ الليل والنهار)) ، قوله «وأنا الدهر» ليس معناه أن الدهر اسم من أسماء الله وصفه من صفاته ، بل معناه واضح ؛ قال : ((وأنا الدهر)) ثم وضع المعنى قال ((أقلب الليل والنهار))، أي تقلَّب الليل والنهار -وهو الدهر- هو بتقلب الله . فسبُّ المقلَّب سبٌّ لمقلبه تبارك وتعالى، فالذي يسب الدهر يؤذي الله كما جاء في الحديث بهذه المسبة للدهر ((يؤذيني بن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أَقْلَبُ الليل والنهار)).

هذه جاهلية سب الدهر ، مثل قول الإنسان : "قاتل الله مثلاً هذا اليوم" أو نحو ذلك من الكلمات التي يسب فيها اليوم أو الساعة أو يلعن الساعة، أو هذه الحزة، أو هذا الوقت أو نحو ذلك ، فهذا كله من أفعال أهل الجاهلية التي جاء الإسلام بأبطاله والتحذير منه . وكان الواحد من أهل الجاهلية إذا أصيب بضائقة أو شدة أو مرض أو نزلت به نازلة أو أصيب بحادث أو نحو ذلك سب اليوم أو سب الساعة التي حصل فيها ذلك الشيء أو لعنها أو نحو ذلك ؛ هذا كله جاهلية ، لأن الساعة واليوم والدقيقة والليل والنهار والشهور لا تملك لنفسها شيء ، هي مقلبة بتقلب الله ، فسبها سب لمقلبه ومسخرها ، سب المسخر سب للمسخر جلّ وعلا . فمن جاهلية هؤلاء الجهلاء سب الدهر.

نكتفي بهذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على عبدالله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .



شرح مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

من الدرس ٨ إلى الدرس ١١

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

١٤٤٠/٠٧/٢٢ هـ

الدرس الثامن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وأشهد إن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال شيخ الإسلام الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله وغفر له وللشارح وللسامعين في كتابه مسائل الجاهلية :
المسألة السابعة والأربعون: إضافة نعم الله إلى غيره ، كقوله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] .

قال رحمه الله : «المسألة السابعة والأربعون» أي من مسائل الجاهلية «إضافة نعم الله إلى غيره» ؛ إضافة نعم الله من صحة أو مالٍ أو ولدٍ أو غير ذلك من النعم التي يُمن الله تبارك وتعالى بها على عباده ، والنعم كلها منة الله كما قال جل وعلا: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] ، وكما قال جل وعلا: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ، فالنعم كلها نعمه سبحانه ؛ فهو المنعم الكريم المعطي المنان الجواد سبحانه وتعالى. فمن جاهليه أهل الجاهلية نسبة النعم إلى غير المنعم ؛ نسبة النعم إلى من جعله الله سبحانه وتعالى سبباً في حصولها أو أيضاً من لم يجعل الله سبباً في حصولها ، وينسون فضل الله سبحانه وتعالى ومنه وتوفيقه وتيسيره .

وأورد رحمه الله شاهد ذلك ودليله قول الله عز وجل: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ ، وهذه الآية جاءت قريباً من أواخر سورة النحل ، وسورة النحل يسميها بعض أهل العلم «سورة النعم» لكثرة ما عدّد الله سبحانه وتعالى فيها من نعمه على عباده بأنواع النعم المتعلقة بالمسكن والمأكل والمشرب والملبس.. وغير ذلك من نعمه تبارك وتعالى الكثيرة على عباده ، فعدد جل وعلا في سورة النحل من نعمه ما لم يعدّد في سور أخرى ولهذا يسميها بعض أهل العلم «سورة النعم» ، في تمام ذكره لهذه النعم قال جل وعلا: ﴿كَذَلِكَ يُمِّمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١] أي لله جل وعلا ، وأيضاً قال في تمام هذه النعم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ يعرفون أنها من الله في قرارة نفوسهم، وأنه تبارك وتعالى هو المنعم بها والمتفضل ، لكن ينكرون نعمه الله بنسبتها إلى غيره ، مثل أن يقول قائلهم عندما يحظى بنعمة "إنما أوتيته على علم" ، أو يقول "ورثته كابر عن كابر" ، أو يقول "هذا بجدارتي وعرق جيبني وهذا بحذقي" ، أو يقول "أنا أهل لذلك" أو نحو ذلك ؛ فهذا كله داخل في قوله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ .

قول القائل "إنما أوتيته على علم" ، أو "هذا بحذقي وشارتي وجدارتي" أو "أنا حقيق به" أو "ورثته كابراً عن كابر" أو نحو ذلك كله داخل تحت قوله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ ؛ يعرفون أنه هو المنعم ولكن ينكرونها بنسبتها إما إلى ما جعله الله سبحانه سبباً لوجودها أو إلى ما لم يجعل تبارك وتعالى سبباً لوجودها ، مثل قولهم "مطرنا بنوء كذا وكذا" و النوء ليس سبب للمطر ، سبب المطر الافتقار إلى الله واستغفاره والتوبة إليه وفعل الطاعات ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢] .

ولهذا كما أن المسلم مطالباً أن يصون عقيدته مما يفسدها أو ينقضها فكذلك فهو مطالبٌ أن يصون ألفاظه من كل أمر يُخل بالإسلام لله وقدره تبارك وتعالى حق قدره ومعرفة منّه وفضله جل وعلا على العباد ، فكما أن القلوب تصلح أيضاً الألسنة ينبغي أن تُصلح وتُصان ، فإذا منّ الله تبارك وتعالى على عبده بنعمة وتفضل عليه بعبودية عليه أن يذكر نعمة الله عليه ، قد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إن الله ليرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها)) ، يعرف أن هذه الشربة وهذه الأكلة وهذا الملبس وهذا المسكن نعمته جل وعلا فيحمد الله فيرضى عنه ربه سبحانه . قد كان عليه الصلاة والسلام إذا أوى إلى فراشه قال : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا ، وَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مَأْوِي)) ، يذكر نعمة الله عليه قبل أن ينام ، المسلم يذكر نعمه الله عليه .

فذكر النعمة والاعتراف بفضل الله سبحانه وتعالى على عبده وحمده جل وعلا وشكره على نعمه هذا الذي يتحقق به إيمان المسلم ، أما إذا كان ينسب النعمة إلى غير المنعم بها فهذا من كفران النعم وهو داخلٌ في ما كان عليه أهل الجاهلية فيما أشير إليه في قوله تبارك وتعالى : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ .

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة والأربعون: الكفر بآيات الله .

قال رحمه الله تعالى : «الثامنة والأربعون: الكفر بآيات الله» أي عدم الإيمان بها ؛ بجحدها وعدم قبولها وعدم قبول ما تضمنته من الهدى والفلاح وسعادة الناس في الدنيا والآخرة . فكان من صنائع أهل الجاهلية الكفر بآيات الله وهي كلامه ووحيه تبارك وتعالى المنزل على أنبيائه ورسله ، ثم ماذا عندما يكفرون بآيات الله بأي شيء يؤمنون؟ تجدهم يؤمنون بالخرافة والضلال والأهواء والباطل ، ويدعون النور الذي جاء في آيات الله تبارك وتعالى ؛ وهذه جاهلية جاهلية جهلاء ، لا يؤمنون بآيات الله يكفرون بها وفيها عزهم وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة

، ويؤمنون بالخرافة والأوهام والشعوذة وكتب السحر والكتب المظلمة ، يؤمنون بها ويقبلون عليها ، وكلام الله تبارك وتعالى وآياته ووحيه وتنزيله هذه لا يؤمنون بها بل يكذبون ويحسدون .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة والأربعون : جحد بعضها.

«التاسعة والأربعون جحد بعضها» أي انه لا يجحدها كاملة وإنما يجحد بعضها ، ولا سيما إذا كان هذا البعض يخالف هواه ولا يوافق ما يُريد وما يتوجه إليه ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى في شأن اليهود : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٨٥] ؛ فيؤمن ببعض آيات الكتاب ويجحد بعضاً ، يؤمن منها بما يوافق هواه ، ويجحد منها ما كان مخالفاً لهواه ولتوجهه ؛ فهذا أيضاً من الجاهلية لأن الآيات كلها كلام الله وكلها حق وهدى وسعادة وفلاح للإنسان في الدنيا والآخرة ، فكونه يؤمن ببعضها ويجحد بعضها هذا تفریق بين متماثل ، كلها حق وكلها هدى وكلها ضياء ونور فما الذي يجعله يؤمن ببعض ويكفر ببعض والكل حق وهدى!! ما الذي فرّق بين ما آمن به وما لم يؤمن به ؛ فهذا كله من دلائل جاهلية هؤلاء .

قال رحمه الله تعالى :

الخمسون : قولهم ﴿ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١] .

الخمسون من مسائل الجاهلية: «قولهم ﴿ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ﴾» ؛ وهذه قالها اليهود جحداً لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وما بعثه الله تبارك وتعالى به من الحق والهدى ، لما جاء عليه الصلاة والسلام بالقرآن الكريم كلام رب العالمين ووحيه وتنزيله سبحانه وتعالى قال اليهود ردّاً لذلك وتكديباً به ﴿ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ . ولاحظ كلمه هؤلاء الأفاكين المفتريين! لم يقولوا فقط هذا الذي جئت به لم وأدّعت أنه منزل من الله لم ينزل من الله ، بل قالوا هذا الكلام العام قالوا: ﴿ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ مطلقاً ؛ فهذا جحداً للكتب المنزلة كلها ، وهذا يشمل أيضاً التوراة التي يدّعون الانتساب إليها وأنهم من أهلها ، ولهذا جاء في السياق نفسه ﴿ قُلْ مَنْ أُنْزِلَ التَّوْرَةُ ﴾ ؛ التوراة التي تدّعون أنكم تؤمنون بها من

الذي أنزلها ؟ فهم يقولون في ردهم وتكذيبهم للوحي المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ؛ وهذه الكلمة فيها جحد لجميع الكتب المنزلة . والإيمان بكتب الله أصل من أصول الإيمان قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ [الشورى: ١٥] أي آمنت بكل كتاب أنزله الله على كل رسول ، وهؤلاء قالوا ﴿ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ جحد للكتب المنزلة كلها ، وقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، قال جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [النساء: ١٣٦] ؛ «أل» في قوله : ﴿ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ للاستغراق ؛ أي جميع الكتب المنزلة من قبل ﴿ وَمَنْ يُكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ فجحد الكتب المنزلة وعدم الإيمان بها كفر بالله تبارك وتعالى ؛ لأنها كتب الله فمن كفر بها فهو كافر بالله تبارك وتعالى .

قال رحمه الله تعالى :

الحادية والخمسون: قولهم في القرآن ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] .

المسألة الحادية والخمسون من مسائل الجاهلية: «قولهم» أي أهل الشرك وأهل الجاهلية «في القرآن» أي في كلام الله تبارك وتعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قولهم ﴿إِنْ هَذَا﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي ليس كلام الله ، وليس منزلاً من الله تبارك وتعالى ، ولم يتكلم الله تبارك وتعالى به ، بل هو قول البشر ، أي هذا كلام قاله بشر لم يقله الله تبارك وتعالى وإنما قاله بشر أي قاله أحد الناس ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأت به من الله تبارك وتعالى . وهذا كفر وجاهلية جهلاء كان عليها هؤلاء ؛ قالوا ذلك جحداً للحق ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ . وهذا الزعم زعم متكرر من أهل الجاهلية في رد الوحي ، عندما يقولون ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي أن هذا مخلوق من مخلوقات الله ليست صفة من صفاته وليس من كلامه تبارك وتعالى ؛ وهذا يؤدي إلى رد الوحي وامتهانه وعدم قبوله ، بخلاف ما إذا آمن الإنسان بأنه وحي الله وتنزيله وكلامه فإن هذا يورث الإنسان تعظيم الكلام والعناية به وقدره حق قدره ؛ فكان من جاهلية هؤلاء المتكررة عبر التاريخ الادعاء بأن الوحي المنزل من الله تبارك وتعالى ليس من كلام الله .

ولهذا في القرآن ورد في سياق تكذيب بعض أمم الأنبياء لأنبيائهم قولهم للأنبياء: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٧] وفي قراءه ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ، مثل قول الوليد هنا ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي مخلوق ليس من كلام الله تبارك وتعالى .

فالقول بأن القرآن مخلوق هذه جاهلية ميراث موروث من أهل الجاهلية ، الذي يقول أن القرآن مخلوق وأنه ليس كلام الله تبارك وتعالى هذه تركة ورثت من أهل الجاهلية ، قد قال عليه الصلاة والسلام : ((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) ، ويوجد في المنتسبين للإسلام من يدعون ذلك ؛ يدعون أن القرآن مخلوق وأنه ليس كلام وأنه إما عبارة عن كلام الله أو حكاية عنه ، وأن الله بزعمهم -تعالى عما يقولون- لا يتكلم ، فهذا كله جاهلية وضلال وإفك وقول على الله تبارك وتعالى بلا علم .

فالقرآن كلام الله ، قال عز وجل ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ، فالقرآن كلام الله ، والتوراة كلام الله ، والإنجيل كلام الله ، ولا يزال رب العالمين يتكلم متى شاء بما شاء كلامًا يليق بجلاله وكماله وعظمته ، وكما أنه سبحانه وتعالى له ذات لا تشبه الذوات فهو تبارك وتعالى له صفات تليق بجلاله وكماله منها الكلام لا تشبه الصفات ، فنؤمن بذلك ونقر به ونثبت لربنا تبارك وتعالى الكلام ونقول : إن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى منه بدأ وإليه يعود ، قال عز وجل ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] ، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢] ، فهو من الله هو الذي تكلم به جل وعلا . فمن قال في القرآن غير ذلك فهذه جاهلية ، والله عز وجل تواعد في هذا السياق من قال هذا القول الآثم والكلام الباطل ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ توعده تبارك وتعالى بقوله ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٦-٢٨] إلى آخر الآيات .

قال رحمه الله :

الثانية والخمسون : القدح في حكمة الله تعالى .

«الثانية والخمسون : القدح في حكمة الله تعالى» وهذا من الجاهلية ؛ الزعم بأن مشيئة الله وأفعاله سبحانه وتعالى تصدر عن غير حكمة ، فينفون الحكمة في أفعاله جل وعلا ، وهذا من الجاهلية لأنه تبارك وتعالى لا يفعل شيء إلا عن حكمة ، وهو تبارك وتعالى حكيم من أسمائه «الحكيم» الذي له الحكمة البالغة جل وعلا في كل أفعاله ،

ولا يفعل شيئاً إلا عن حكمة ، خلق الخلق لحكمة ، وأوجد هم لحكمة ، وشرع الشرائع لحكمة وأمر بالأوامر ونهى عن النواهي لحكمة ، لا يأمر بشي إلا وفيه مصلحة ونفع للعباد ، ولا ينهى عن شيء إلا وفيه مضرة على العباد. أفعاله وأوامره ودينه كل ذلك صادر عن حكمة . فمن جاهلية أهل الجاهلية ومن أخذ بسنة أهل الجاهلية من فرق الضلال نفي الحكمة عن الله ، قد وجد في بعض الفرق المنتسبة للإسلام نفي الحكمة ويقولون إن الله عز وجل يفعل بمشيئة يخلق ويوجد ونحو ذلك لا عن حكمة ، فينفون الحكمة والتعليل في أفعال الله تبارك وتعالى . وهذه جاهلية جهلاء .

قال رحمه الله تعالى :

الثالثة والخمسون : إعمال الحيل الظاهرة والباطنية في دفع ما جاءت به الرسل ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ ﴾ [آل عمران: ٧٢] .

قال رحمه الله : «المسألة الثالثة والخمسون : إعمال الحيل الظاهرة والباطنية في دفع ما جاءت به الرسل» وهذه من طرائق أهل الجاهلية يحتالون على الشرائع وعلى ما جاءت به الأنبياء ويبحثون عن دفعه وردّه بأنواع الحيل ، وكلما أمروا بأمر أرادوا أن يتفلسفوا منه وأن يتخلصوا منه بأي حيلة وبأي طريق . ومن أكثر الأمم فعلا للحيل اليهود، وهم أهل مكر أهل مكر كبار ، وأهل احتيال واسع للتخلص من الشرائع والتوصل مما يأمرهم الله تبارك وتعالى به ، فأهل حيل كثيرة جداً مرادهم بها التخلص من أوامر الله تبارك وتعالى . والله عز وجل ذكر شيئاً من حيل هؤلاء على وجه التحذير للأمة من أن يفعلوا مثل فعلهم ، مثل ما ذكر تبارك وتعالى من نهيهم عن اصطياد الأسماك في يوم السبت ، فلما نهاهم عن ذلك احتالوا ، فكانوا يضعون الشباك في البحر يوم الجمعة ويأخذونها يوم الأحد ، وهذه من حيل اليهود ، والله عز وجل لما نهاهم عن الاصطياد يوم السبت ابتلاهم ؛ فأصبح الصيد يكثر كثرة مغرية يوم السبت ويفتقدونه في الأيام الأخرى ، فاحتالوا على شرع الله سبحانه وتعالى فكانوا يضعون الشباك يوم الجمعة ويأخذونها ممتلئة بالأسماك يوم الأحد ، وهم بزعمهم أنهم لم يباشروا صيداً يوم السبت . وهذا الذي ابتلى الله سبحانه وتعالى به اليهود ابتلى به أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ؛ فهو جل وعلا نهاهم عن الصيد وهم حُرْم ، فكان الصيد يأتي تناله رماحهم وأيديهم ، يأتي الصيد وهم من أهل الصيد ويجبون الصيد وتتوق نفوسهم للصيد فنهاهم الله عز وجل عن الصيد فابتلاهم الله أن تنال الصيد رماحهم وأيديهم ، حتى لو بيده يريد أن يمسكه يستطيع ، فما كانوا يتعرضون له. فرق بين أهل الإيمان والصدق مع الله

تبارك وتعالى ، وبين أهل المكر والاحتيال والكيد.

فالمكر والاحتيال والكيد هذه جاهليو ومن طرائق أهل الجاهلية ، أما المؤمن فإنه يتلقى أوامر الله سبحانه وتعالى بالقبول والانقياد والاستسلام ، ولا يحتال على أوامر الله تبارك وتعالى ، ولا يبحث لنفسه عن حيل يُمشي بها الأمر ويتعدى بها حدود الله تبارك وتعالى . وهذا الاحتيال يدخل على نفس الإنسان عندما تُريد أن تتفلسف من الأوامر وتتخلص منها فيبدأ يبحث عن الحيل التي يتخلص فيها بزعمه من أمر الله تبارك وتعالى .

قال : « **كَقَوْلِهِ ﴿وَمَكُرُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾** » وهذه الآية جاءت في سياق بيان حال اليهود ومكرهم الكبار في التفلسف من أوامر الله تبارك وتعالى والتخلص من شرائعه وما يأمر به تبارك وتعالى عباده بالمكر ؛ أي بالاحتيال وأنواع التلبس الذي يريدون به التخلص مما يأمرهم الله به تبارك وتعالى به .

قال : « **وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ﴾** » وهذه أيضا داخلة فيما سبق من احتال اليهود ومكر اليهود وسعيهم أيضا في نشر الباطل ، يحتالون مثل هذه الحيل من أجل نشر الباطل ورد الحق . وماذا يقصد هؤلاء بهذه الطريقة ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ ﴾ ماذا يقصدون بذلك ؟ لأنهم بهذه الطريقة يريدون خلخلة أهل الإيمان وإدخال الشكوك عليهم ، مثل أن يأتي مجموعة من هؤلاء أهل الكتاب ويدخلون في الإسلام ويقولون اقتنعنا أنه الدين الحق وآمنا ، في الصباح الباكر يأتون ويقولون نحن اقتنعنا بأن دينكم دين الحق وأنه من الله وأن فيه الهدى وما نحن نعلن إيماننا ونعلن إسلامنا ؛ هذا في أول النهار كذبا ليس عن قناعة ولا عن صدق ، ثم في آخر النهار يقولون لا ، نحن تبين لنا أن هذا دين غير صحيح وأنه دين كاذب وأنه دين ملفق فنحن نرجع . فهذه الطريقة يسلكها بعض هؤلاء من أجل خلخلة أهل الإيمان وتشكيكهم في الدين ؛ فيبدأ الضعفاء والجهلة يقولون هؤلاء آمنوا وعرفوا الدين واقتنعوا بما فيه ثم في آخر النهار كفروا !! إذا في شيء في هذا الدين ، فيبدأ الشك يدخل على الجهلاء والضعفاء ، فهذه حيلة يفعلها هؤلاء من أجل تشييك الناس في دينهم ، يطلبون من بعضهم أو يتواصون على أن يؤمنوا بالكتاب أو يعلن بعضهم الإسلام لوقت معين ثم يرجع ، ومرادهم بهذه الحيلة تشكيك الناس تشكيك أهل الإيمان في دينهم ، خلخلة إيمانهم ؛ فهذه كلها من حيل اليهود وحيل أهل الضلال والباطل ، وهذا كله من الجاهلية .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والخمسون : الإقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه ، كما قال في الآية .

هذا كالتفصيل لما سبق ؛ من جاهلية هؤلاء «الإقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه» وهذه حيلة يفعلها هؤلاء ليتوصلوا من خلالها إلى دفع الحق ورد الدين الذي بُعث به أنبياء الله تبارك وتعالى ورسله عليهم صلوات الله وسلامه ، فيحتالون مثل هذه الحيل من أجل أن يتوصلوا من خلالها إلى دفع الحق .

قال: «الإقرار بالحق» أي الإقرار الظاهري ظاهراً بالحق ؛ فيعلنون أنهم مثلاً أسلموا وأنهم آمنوا بما جاء به الرسول ظاهراً يعلنون ذلك ؛ من أجل أن يتوصلوا إلى دفعه ، كيف يتوصلون إلى دفعه ؟ أي بعد أن يمكثوا فترة ليست بطويلة مقربين بالحق معلنين الدخول فيه يعلنون بعد ذلك رجوعهم ، مجموعة منهم تعلن الإقرار بالحق ثم بعد وقتٍ ليس بالطويل يعلنون رجوعهم عن الحق . ومرادهم مرادهم أصلاً بالدخول والإقرار ومن ثم الرجوع مرادهم بذلك كله دفع الحق ، طريقه يفعلونها واحتيال يحتلونه من أجل دفع الحق وردة وإدخال الشك على أهله .

قال رحمه الله تعالى :

الخامسة والخمسون : التعصب للمذهب ، كقوله فيها : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣] .

قال : «الخامسة والخمسون: التعصب للمذهب» أي المذهب الذي هم عليه والمسلك الذي يسلكونه بعجره وبُجره وكيفما كان ، ولو كان كله أهواء وكله ضلال وكله باطل يتعصبون له تعصباً أعمى ولا يحيدون عنه قيد أنملة بل يتمسكون به وينافحون عنه ويدافعون متعصبين له تعصباً أعمى . لهذا وضعوا قاعدة لأنفسهم يعلنون فيها تعصبهم لمذهبهم ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ؛ أي لا تقبلوا من أحد مهما يقول لكم ، حتى لو ما كان يقوله حق بين نور ووضوح ، لا تقبلوا من أحد إلا لمن تبع دينكم ؛ أي من كان معكم على دينكم وعلى مذهبكم اقبلوا منه ، أما من لم يكن كذلك إياكم أن تأخذوا منه حرفاً واحداً أو تقبلوا منه شيئاً.

فهذا من الجاهلية ؛ الحق أحق أن يُتبع ، والواجب على صاحب الحق أن يقبل الحق أينما وجدته ، فالتعصب الأعمى جاهلية كان عليها أهل الضلال والباطل وجاء الإسلام بإبطال ذلك ودعوة الناس إلى الإيمان بالحق وإلى التفكير ، وإلى الخروج من ربة التقليد الأعمى والتعصب الأعمى ، والنظر في الأمور والوقوف عند الأدلة والحجج، والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالسؤال بالهداية ، قد كان نبينا عليها الصلاة والسلام يقول في استفتاحه لصلاة الليل: ((اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، أَهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)).

قال رحمه الله تعالى :

السادسة والخمسون : تسميه اتباع الإسلام شركاً كما ذكره في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

قال : «المسألة السادسة والخمسون: تسميه اتباع الإسلام شركاً» أي شركاً بالله عز وجل . وهذه من الأمور التي فعلها أهل الجاهلية لرد الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

وذكر المصنف رحمه الله تعالى شاهداً لهذه الجاهلية قال : « كما ذكره الله تبارك وتعالى في قوله ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ » وقد ذكر العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى في كتب التفسير في سبب نزول هذه الآية : أن نصارى نجران لما أتوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام ودعاهم إلى الإيمان ووضح لهم الدين وبيّن لهم ما بُعث به صلاة الله وسلامه عليه ، وأن دين الأنبياء واحد كلهم دعاة إلى توحيد الله عز وجل وإخلاص الدين له ، لما دعاهم إلى ذلك وبيّن لهم عليه الصلاة والسلام هذا البيان قالوا : أنت تريد منا أن نعبدك ؛ فسمّوا الذي دعاهم إليه عليه الصلاة والسلام من التوحيد والاستسلام لله والانقياد له وتحقيق توحيده تبارك وتعالى «شركاً» ، فقالوا للنبي عليه الصلاة والسلام أنت تريد منا أن نعبدك ، وعبادة المخلوقين من دون الله شرك بالله . ولهذا أنزل الله سبحانه وتعالى في إبطال دعوى هؤلاء مُبرئاً رُسله كلهم من ذلك فقال: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ، فالرسول مبرءون من ذلك، منزهون من أن يقولوا مثل هذه المقالة .

وبهذا يُعلم الفساد العريض الواسع الذي يقع فيه بعض من ينتسب إلى دين محمد عليه الصلاة والسلام ثم يتخذه معبوداً من دون الله يصرف له أنواع العبادة ؛ يدعو ويستغيث به ويلتجئ إليه ويطلب منه المدد والعون ، فهذا كله مناقض تمام المناقضة لهذه الآية ، ومناقض تمام المناقض للإسلام الذي بُعث به عليه الصلاة والسلام ، لأنه بعث بما بُعث به جميع الأنبياء من إخلاص الدين لله وأفراده تبارك وتعالى بالعبادة وأن العبادة لا يُصرف منها شيء منها لأحدٍ كائن من كان ، لا لنبي مرسل ولا ملك مقرب ولا لغيرهما من مخلوقات الله تبارك وتعالى ، لأن العبادة حق لله عز وجل لا يُصرف شيء منها إلا له عز وجل .

قال رحمه الله تعالى :

المسألة السابعة والخمسون : «تحريف الكلم» أي كلام الله سبحانه وتعالى «عن مواضعه» أي التي أنزل عليها ، وكلام الله تبارك وتعالى أنزل مشتملاً على الحق والنور والهدى والضياء ، وقد سلك أهل الجاهلية في رد كلام الله سبحانه وتعالى المشتمل على الحق والنور مسالك كثيرة من أجل رده ، منها التحريف ؛ تحريف الكلم عن مواضعه، ولهذا قال سبحانه وتعالى في ذمه لليهود: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [البقرة: ١٣] .

والتحريف: هو التغيير والتبديل ، ويكون التحريف بتغيير الألفاظ ، ويكون أيضاً بتغيير المعاني .
 ويكون التحريف بتغيير الألفاظ : أي يغيروا ألفاظ كلام الله ، مثل ما صنع اليهود في تحريف التوراة ، حرفوها تحريفاً واسعاً وغيروا فيها وكتبوا أشياء بأيديهم وزعموا أنها من كلام الله وزادوا ونقصوا وبدلوا وغيروا في كلام الله ، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي يبدلونه بتغيير ألفاظه .

ويبدلونه بتغيير معانيه ومدلولاته ؛ ومن أمثله على تحريف اليهود: أن الله سبحانه وتعالى لما أمرهم أن يقولوا حطّه أي حُطّ عنا خطايانا وأن يدخلوا الباب سجداً حرفوا ذلك فزادوا نوناً قالوا حنطة أي حبه من حنطه ، فتغير المعنى وتغير المدلول وفسد المراد ، لأنهم قيل لهم قولوا حطة أي حطّ عنا خطايانا فزادوا نون قالوا «حنطة» تحريفاً للكلم ، وقال ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ فدخلوا الباب على آسائهم على ظهورهم ؛ كل ذلك مخالفه وتغيير وتبديل لما أمرهم الله تبارك وتعالى به .

فهذا من الجاهلية ؛ سواء تحريف الألفاظ أو تحريف المعاني . وهذه السنة التي كان عليها اليهود وُجد أيضاً في المنتسبين إلى محمد عليه الصلاة والسلام وإلى دين الإسلام من سلكوا هذا المسلك . وتحريف ألفاظ القرآن غير مستطاع ، الله عز وجل حفظ القرآن وصانه عن ذلك ، فاشتغلوا بتحريف المعاني ، وقبض الله سبحانه وتعالى من الأئمة العدول علماء الإسلام من ينفون عن كلام الله تحريف المبطلين وتأويل الجاهلين ، فوجد من يحرف في الكلام ويبدل ويغير ويحمل القرآن على غير معناه وعلى غير مدلوله ، سواء في صفات الله تبارك وتعالى أو في أمور الدين الأخرى بين مقلّ أو مستكثر ، ومن يقرأ دين الباطنية يري تحريفاً لمعاني كلام الله تبارك وتعالى شنيعاً عجبياً فيه إلغاء للشرائع والعقائد ولكل ما جاء عن الله تبارك وتعالى ، لأن كل شيء من كلام الله له تفسير عندهم على ما يهوهونه، وهكذا أهل الباطل من أصحاب العقائد الفاسدة أيضاً يشتغلون بالتحريف؛ تحريف الأسماء وتحريف الصفات وتحريف ما لا يوافق أهواهم من كلام الله تبارك وتعالى ، فهذا كله من الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها .

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة والخمسون : لِي الألسنة بالكتاب .

قال المسألة قال الثامنة والخمسون : «لي الألسنة بالكتاب» يلوون ألسنتهم بالكتاب أي يحركونها به ليُظن أنهم من أهل الكتاب ، وهم ليس من أهل الكتاب ولكن هذا المسلك سلكه هؤلاء ليُظن أنهم من أهل الكتاب ومن ثم يتوصلوا إلى ما يريدونه من باطل وإلى ما يريدونه من ضلال ؛ فهذا أيضاً من أعمال الجاهلية ، يحرك لسانه بالكتاب تلاوةً ترتيلاً ليُظن أنه من أهل الكتاب وهو ليس من أهله .

بل مما يُذكر وهو عجيب ما يُذكر : أن بعض المبشرين -أو بعض المنصرين بعبارة أدق- حفظ القرآن لا شيء إلا ليشتكك الناس وليلبس عليهم وليثير التشابه في بينهم وليشككهم في دينهم ، فمن ينظر إليه ويجده يحفظ آيات من القرآن يطمئن إلى ما سيقول ، ثم يجعل هذه منفذاً له لنشر ما عنده من ضلال وباطل . فهذه من طرائق أهل الضلال .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة والخمسون : تلقيب أهل الهدى بالصباة الحشوية .

قال : «التاسعة والخمسون تلقيب أهل الهدى بالصباة» أي الصابئة «والحشوية» أي أهل الحشو ، حشو لأمر ليس فيها فائدة وليس من ورائها طائل ؛ فينبزونها بالألقاب ، ينبزون أهل الحق بالألقاب فيقولون صابئة أو يقولون حشوية أو يقولون غثاء أو غُثر أو نحو ذلك من الكلمات التي يطلقونها على أهل الحق وأهل الهدى من أجل تنفير الناس عن الحق والهدى ، لما عجزوا عن مقاومة الحجج والبيانات وأفلسوا من ذلك لجؤوا إلى حيلة المفلسين وهي: الكذب الرخيص والدعايات الملفقة ؛ هؤلاء صابئة ، هؤلاء حشوية ، هؤلاء نابئة، هؤلاء غثر ، هؤلاء كذا ، ألقاب يطلقونها على أهل الحق والهدى من أجل أن ينفروا الناس عنهم . وهذه طريقة موجودة عند أهل الباطل في قديم الزمان وحديثه ؛ إذا أرادوا تنفير الناس عن حقٍ أو هدى موجوداً عند غيرهم لقبوا من عنده الحق بالألقاب لينفروا عن الحق الذي معه .

قال رحمه الله تعالى :

الستون : افتراء الكذب على الله .

قال : «الستون: افتراء الكذب على الله» وهذا كثيرٌ عند أهل الباطل ؛ يفترون الكذب على الله سبحانه وتعالى وينسبون إليه افتراءً وكذباً ينسبون إليه ضلالهم وباطلهم وما هم عليه من نحل زائفة وعقائد باطلة ، ينسبونها إلى الله تبارك وتعالى افتراءً على الله وكذباً على الله سبحانه وتعالى . قد قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا

تَصِفُ أَلْسِنُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ [النحل: ١١٦] . فهؤلاء من طرائقهم الكذب على الله سبحانه وتعالى وذلك بنسبة ما هم عليه من عقائد باطلة وأديان فاسدة إلى الله عز وجل ، يقولون هذا الذي نحن عليه هو دين الله ، يقولون هذا هو من الله ، أو يقولون الله الذي حرم هذا أو الله الذي حل هذا كذباً وافتراءً على الله سبحانه وتعالى ؛ فهذا من مسالك أهل الجاهلية .

والكذب على الرسل الله من الكذب على الله ، لأن الرسل مبلغون عن الله ، قد قال عليه الصلاة والسلام : ((من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)) ، ولهذا أهل البدع استغلوا هذا المسلك القبيح الكذب على الرسول عليه الصلاة والسلام من أجل نشر بدعهم ونشر خرافاتهم . وذكرت لكم بعض الأمثلة على ذلك فيما سبق؛ بعض الكذبة من المشركين عبدة الأوثان وعبدة القبور يقول قال صلى الله عليه وسلم (إذا أعييتكم الأمور فعليكم بأهل القبور) والعياذ بالله . هذا كلام لا يقوله مشرك فضلاً عن يقوله مسلم ، فضلاً أن يقوله عالم ، فضلاً أن يقوله نبي الله صلى الله عليه وسلم ، النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجُفَّتِ الصُّحُفُ)) هذا كلامه عليه الصلاة والسلام . أيضاً قول بعض الكذبة من المشركين إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لو اعتقدت في حجر نفعك) ؛ هذا كلام المشركين أهل القبور وأهل الشرك وأهل الوثنية. وينزه كل مسلم كل عالم فضلاً عن نبي الله ورسوله عليه الصلاة والسلام عن مثل هذا الكلام الفاسد الباطل .

فالشاهد أن أهل الجاهلية في قديم الزمان وحديثه من طرائقهم الكذب على الله والكذب على رسله عليهم صلوات الله وسلامه .

قال رحمه الله تعالى:

الحادية والستون: التكذيب بالحق .

«الحادية والستون : التكذيب بالحق» يكذبون على الحق ويكذبون بالحق ؛ يكذبون على الحق على رب

العالمين، ويكذبون بالحق الذي جاءهم من الله تبارك وتعالى يحدونه ولا يؤمنون به ، فجمعوا بين سؤاتين في باب التكذيب :

■ الأولى : الكذب على الله بنسبة الأديان الفاسدة الباطلة التي هم عليها إلى الله عز وجل .

■ الثانية : التكذيب بما جاءهم من الله يكذبون به .

فجمعوا بين سؤاتين : تكذيب الحق الذي جاءهم من الله سبحانه وتعالى، وكذب على الله بنسبه الباطل الذي هم عليه إلى الله تبارك وتعالى ، وكل ذلك جاهلية .

قال رحمه الله تعالى :

الثانية والستون: كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا الى الشكوى للملوك كما قالوا ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٧]

هذا من طريقه أهل الجاهلية ومن مسالك المفلسين من الحجج والبراهين ، لهم مسالك كثيرة منها هذا المسلك الذي ذكره المصنف رحمه الله: « كونهم إذا غلبوا بالحجة » أي لم يستطيعوا مقاومة حجة بحجة وبرهان ببرهان «يلجئون إلى الشكوى للملوك» كيف يصنعون ؟ يأتون إلى الملك ويقولون له: إن فلان يسعى للإطاحة بملكك ويخطط لأن يكون هو الملك ، وهكذا يلفقون بأشياء ويكذبون أمور من أجل أن يتسلط الملك عليه ، فهذه طريقه من طرائق أهل الجاهلية ، ولهذا قال : «كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك» وطريقتهم في الشكوى متكررة ، ماذا يقولون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تتركهم هكذا يفسدون ويعثون في الأرض فساداً !! حتى ملكك الذي أنت عليه يتضرر من هذا الفساد الذي هم يسعون فيه ، أَتَذَرُ مُوسَى؟! تترك موسى) إلى متى تتركه ؟ يحرضون الملوك حتى يتسلطوا على أهل الحق هذه طريقه من طرائق أهل الجاهلية .

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كان من دعاة الحق وأئمة الهدى ، ولما عجز خصومه من أهل البدع وأهل الضلال وأهل الباطل عن مقاومة الحجج التي معه سلكوا هذه الطريقة ، وذهبوا إلى الوالي وقالوا له مفترين وكاذبين: أن ابن تيمية يخطط أن يكون هو الوالي وأن تكون الولاية له وإلى متى تتركه ؟ فقام الوالي واستدعي ابن تيمية وأخذا يسأله ويحقق معه في هذا الموضوع ، فقال له ابن تيمية رحمه الله «والله إن ملكك هذا لا يساوي عندي فلسين» ، فقال : «والله إني أعلم أنك صادق» ؛ رجل معروف بالعلم والاشتغال بالدعوة إلى الله وبالتعليم ولا يفكر أصلاً ولا يخطر في باله مثل هذا الأمور .

فالشاهد أن هذا من الطرائق التي يسلكها أهل الباطل وأهل الضلال ؛ الفزع إلى الملوك بالشكوى إليهم وتلصيق التهم الافتراءات على أهل الحق .

قال رحمه الله تعالى :

الثالثة والستون : رميهم إياهم بالفساد في الأرض كما في الآية .

«رميهم إياهم» أي دعاة الحق من الأنبياء وأتباع الأنبياء من الدعاة الحق «بالفساد في الأرض كما في الآية» أي المتقدمة. فهذا من مسالك أهل الباطل يزعمون أن أهل الحق يفسدون في الأرض، ولهذا قالوا ﴿أَنْذِرْ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ، فزعموا أن موسى وقومه أي الذين كانوا معه على الحق والهدى أنهم من المفسدين في الأرض ، ولهذا بالمقابل لما سعى فرعون لنقض ما جاء به موسى ماذا قال للناس ؟ قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] يعني لا أهديكم إلى السبيل الذي هو الإفساد الذي عليه موسى ، أهديكم إلى سبيل الرشاد . ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ كلمة في ظاهرة جميلة لكنها تحمل الكفر والباطل ؛ وهذه طريقه أهل الباطل ، يلمعون الشي الذي يدعون إليه ويصفونه بالصفات الجميلة حتى يُقبل ، وأيضا يقعون في أهل الحق كذباً وافتراءً حتى ينفر الناس منهم ، مثل قولهم عن أهل الحق أنهم مفسدين في الأرض وأنهم من أهل الفساد في الأرض من أجل صد الناس عن الحق الذي معهم .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والستون: رميهم إياهم بانتقاص دين الملك، كما قال تعالى: ﴿وَيَذَرَكْ أَهْلَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] وكما قال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر: ٢٦] .

قال: «الرابعة والستون رميهم إياهم» أي رمي أهل الجاهلية أهل الحق «بانتقاص دين الملك» هذه من الطرائق «كما قال تعالى: ﴿وَيَذَرَكْ أَهْلَكَ﴾» قال أهل الضلال لفرعون منفري من موسى عليه السلام : أن موسى جاء بدين يريد أن يتوصل به إلى إلغاء ما أنت عليه من الدين الصحيح ﴿وَيَذَرَكْ أَهْلَكَ﴾ أي يلغي كل ما أنت عليه من الحق والهدى ، هكذا قالوا لفرعون ﴿أَنْذِرْ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قالوا ﴿وَيَذَرَكْ

وَالْهَتَكَ .

«وكما قال تعالى ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾» أي يغير الدين الحق الذي أنتم عليه . فهذه من طرائق أهل الجاهلية في رد الحق والهدى .

قال رحمه الله تعالى :

الخامسة والستون : رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك كما في الآية .

«رميهم» أي أهل الجاهلية «إياهم» أي أهل الحق «بانتقاص آلهة الملك»

قال : «كما في الآية» أي المتقدمة ﴿وَيَذَرَكْ وَالْهَتَكَ﴾ فيقولون هذا جاء ينتقص من الآلهة ويحط من شأنها ويقلل من قدرها فأیضا جعلوا هذا مسلکاً لهم للتنفير من الحق والصد عنه .
قال رحمه الله تعالى :

السادسة والستون : رميهم إياهم بتبديل الدين كما قال تعالى : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] .

«رميهم» أي أهل الجاهلة «إياهم» أي أهل الحق «بتبديل الدين» تبديله: أي تغييره .

«كما قال تعالى فيما ذكر عن فرعون أنه قال لقومه ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾» أي أخاف عليكم من موسى أن يبدل دينكم ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ، وهذا من قبيل : "رمتني بدئها وانسلت" . هذا صنيع فرعون ، صنيع فرعون هو إظهار الفساد في الأرض ، بل أعظم الفساد في الأرض جاء على يديه وعلى يدي أمثاله ومن هم على شاكلته ، وأما موسى عليه السلام وبقية الأنبياء جاءوا بالحق والهدى وصلاح الناس وجاء بما تدعوا إليه الفطر السليمة والعقول السليمة ، هذا الذي جاء به موسى عليه السلام ، لكن هؤلاء من أجل التنفير والصد عن الحق والهدى يقولون مثل هذا الكلام ، قال ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ .

قال رحمه الله تعالى :

السابعة والستون: رمية اياهم بانتقاص الملك كقولهم ﴿وَيَذَرُكَ أَهْلَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] .

الشاهد من الآية قوله ﴿وَيَذَرُكَ﴾ أي يتركك ويلغي مكانتك ومنزلتك ، وهذا فيه انتقاص لك وخط من شأنك وقدرك . فهذه من طرائق هؤلاء ، من طرائق هؤلاء : رمي أهل الحق بانتقاص الملك مثل ما جاء في هذه الآية ﴿وَيَذَرُكَ أَهْلَكَ﴾ .

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة والستون: دعواهم العمل بما عندهم من الحق ، كقوله ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١] مع تركهم إياه .

ثم ذكر المسألة الثامنة والستون : «دعواهم العمل بما عندهم من الحق» ؛ هذا ادعاء ، لكن من حيث الواقع العملي خلاف ذلك ، يدعون أنهم يعملون بالحق الذي عندهم لكن في حقيقة الأمر حتى الحق الذي عندهم هم مضيعون غير عاملين به . قال: كقولهم ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ وهم في الواقع حتى الذي أنزل عليهم مفرطين فيه ولهذا قال المصنف : «مع تركهم إياه» .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة والستون: الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء .

«التاسعة والستون: الزيادة في العبادة» ؛ أي الزيادة على حد المشروع ، على حد ما شرع الله لهم. «كفعلهم يوم عاشوراء» أي يوم العاشر من محرم ، ويوم العاشر من محرم هو اليوم الذي أهلك الله سبحانه وتعالى فيه فرعون وجنوده بالغرق ، ولهذا كان اليهود يصومونه ، صامه موسى عليه السلام شكراً لله تبارك وتعالى وكانوا يصومونه شكراً لله ، لكنهم لم يكتفوا بذلك أتوا بأعمال كثيرة يفعلونها في ذلك اليوم هي لم تشرع لهم ، ليست مشروعهم يفعلونها في ذلك اليوم يوم عاشوراء زائدة عن الحد الذي شرع لهم مما جاء في دين نبي الله موسى عليه السلام . ولما بُعث النبي عليه الصلاة والسلام ووجد أن اليهود يصومونه وسأل عن ذلك وقيل له فقال عليه الصلاة والسلام : ((نحن أحق بموسى منهم)) وصامه عليه الصلاة والسلام وأمر بصيامه ، وأمر أيضاً بمخالفة اليهود في ذلك قال: ((لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر)) ؛ يصوم العاشر شكراً لله على إغراقه لفرعون في ذلك اليوم ، ويصوم التاسع من أجل مخالفته اليهود. فصيام التاسع والعاشر من شهر محرم من

سنة نبينا عليه الصلاة والسلام أن يصوم المسلم التاسع من شهر محرم والعاشر من شهر محرم ، صيام العاشر شكر لله تبارك وتعالى على ما أنعم جل وعلا به وأكرم عز وجل ، وصيام التاسع من أجل المخالفة .

والشاهد أن هؤلاء من جاهليتهم الزيادة في العبادة أي على حد المشروع ؛ فيوم العاشر من محرم يمارسون فيه أعمال غير مشروعة ولا دليل عليها من كتاب الله ولا من سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

ثم أن الله عز وجل قد ابتلى الناس في يوم العاشر من محرم ببلوى ألا وهي: قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ظلماً ، قتل في هذا اليوم في يوم العاشر من محرم ، وقتله ظلم وعدوان رضي الله عنه وأرضاه ، قد قال عنه عليه الصلاة والسلام وعن أخيه الحسن : ((سيد شباب أهل الجنة)) ، ومكانه الحسن والحسين معروفه عند أهل العلم وأهل السنة وأهل الفضل ؛ فهم من الصحابة الأخيار ومن آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ولهما مكانتهما العلية ومنزلتهما الرفيعة ، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يبتلي الناس بأن يُقتل الحسين رضي الله عنه ظلماً في يوم العاشر من محرم ، فكان قتله في ذلك اليوم باب فتنة وابتلاء ، فمن الناس من جعلوا ذلك اليوم في كل عام على مر التاريخ يوم مآثم وإظهار للحزن ويوم حزن ويوم لطم للخدود وشق الجيوب وعمل بإعمال أهل الجاهلية مما لم يشرعه الله سبحانه وتعالى ولم يأذن لعباده به ، ونسوا ما شرع لهم في هذا اليوم . اليوم في خضم الدخول في هذا الأمور نسوا المشروع في ذلك اليوم ، وربما لو قيل لبعضهم ماذا يشرع للمسلمين في يوم عاشوراء؟ ربما لا علم لهم بذلك وليس عندهم منه خبر لاشتغالهم بهذا الأمر .

وقابل هؤلاء لرد بدعتهم وضلالهم ببدعه أخرى جعلوا يوم عاشوراء يوم توسعة ويوم فرح ويوم أكل وشرب وتوسعة على الأولاد والحلوى إلى آخره ؛ من أجل رد على بدعه هؤلاء . وهذا خطأ وهذا خطأ ، ولا يتعبد لله سبحانه وتعالى بالأهواء والمحدثات وإنما يتعبد لله تبارك وتعالى بما شرع ، ولهذا يوم عاشوراء تمارس فيه أمور وممارسات كثيرة كلها لم يأذن بها الله وليست في دين الله ولا في دين نبيه عليه الصلاة والسلام، والذي يشرع لنا في يوم عاشوراء أن نصومه شكراً لله ، وإن نصوم معه اليوم التاسع من أجل مخالفة اليهود وأن نكون على الطمأنينة وعلى العبادة وعلى القيام بطاعة الله سبحانه وتعالى بما شرع لنا وبما أمرنا تبارك وتعالى به.

ونكتفي بهذا القدر والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد واله وصحبه أجمعين .

الدرس التاسع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال المؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

التاسعة والستون : الزيادة في العبادة كفعلهم يوم عاشوراء.

السبعون: نقصهم منها كتركهم الوقوف بعرفات.

بيّن رحمه الله تعالى في هاتين المسألتين ما كان عليه أهل الجاهلية من الزيادة على المشروع من جهة ، والنقص منه من جهة أخرى ، وأن الواجب على المسلم أن يكون على حذر من هذه الجاهلية وذلك بالوسطية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ، والوسط: هو الذي يقيم على الصراط لا يكون غاليا ولا جافيا ، لا يزيد عليه ولا ينقص منه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((إياكم والغلو في الدين)) ؛ سواء كان ذلك بتجاوز الحد أو بالنقص منه . فكان من طريقة أهل الجاهلية في عددٍ من المسائل يزيدون على الحد المشروع .

ومثّل على ذلك رحمه الله تعالى «كفعلهم يوم عاشوراء» وعرفنا أن يوم عاشوراء هو اليوم الذي نجي الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام ومن معه وأغرق فيه فرعون وجنوده ، وأن موسى عليه السلام صامه شكراً لله تبارك وتعالى ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ((نحن أحق بموسى منهم)) لأنهم كانوا يصومون ذلك اليوم تأسياً بموسى عليه السلام ، لكن لم يكونوا يقتصرّون على عبادة الصيام بل يتخذون ذلك اليوم يوم احتفال يُظهرون فيه الزينة والاحتفاء وأشياء يفعلونها زائدة على الحد المأمور ، فهذا زيادة في الدين .

وأشرت أيضاً أن الله عز وجل ابتلى الناس في ذلك اليوم بمصيبة وهي قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهذه ولا شك مصيبة عظيمة ، ولما كانت هذه المصيبة وقعت في هذا اليوم أخطأ على إثر ذلك طائفتان من الناس ؛ طائفة أخذت تجعل هذا اليوم على مدار الأعوام يوم مأتم ويوم حزن تُلطم فيه الخدود وتشق فيه الجيوب ويُدعى فيه بدعوى أهل الجاهلية ، وقسم آخر من الناس بزعم منهم رد باطل أولئك اتخذوا ذلك اليوم يوم توسعة على الأولاد والأهل في الطعام والشراب واللباس ؛ وكل ذلك مما لم يشرعه الله ولم يأذن به تبارك وتعالى ، الذي شرع للناس في يوم عاشوراء هو صيامه والتقرب إلى الله تبارك وتعالى بصيام ذلك اليوم ، فمن زاد على حد المشروع له فهذه جاهلية لم يأذن بها الله تبارك وتعالى ، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] .

وكما أن الزيادة على المشروع باطلة لا تجوز ، فكذلك النقص والتدين بذلك والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بذلك؛ ولهذا عقد رحمه الله المسألة السبعون قال : «**نقصهم منها**» أي من العبادة التي شرع جل وعلا لعباده .

قال : «**تركهم الوقوف بعرفات**» والوقوف بعرفات هي من إرث نبي الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام ، ولهذا جاء في بعض الأحاديث أن نبينا عليه الصلاة والسلام بعث إلى الناس وهم وقوف بعرفات وقال لهم : ((أنتم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم)) ؛ أي وقوفكم في عرفات إرث من إرث إبراهيم عليه السلام . فكان المشركون لا يقفون في عرفات ويقولون لا نخرج خارج الحرم ، فيقفون في المزدلفة وتركوا هذا الإرث المبارك الذي هو الوقوف بعرفات ، قد قال الله سبحانه : ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] أي من عرفات ، لا من مزدلفة ، لأن الوقوف بعرفات شعيرة من شعائر الحج وهو إرث من إرث إبراهيم عليه السلام . فما كانوا يقفون في عرفات ، حتى لما حج النبي عليه الصلاة والسلام تحرى بعضهم أن لا يخرج إلى عرفات ، لأنهم مضوا على هذا الأمر وعلى ترك الوقوف في عرفات إلى أن بُعث عليه الصلاة والسلام وعاد الأمر إلى ما كان عليه أولا في الإرث المبارك لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام . ترك أولئك الوقوف بعرفات ووقفهم في المزدلفة ترك للواجب الذي فرضه الله سبحانه وتعالى على من حج أن يقف في عرفات ، فتركوا ذلك وكانوا لا يقفون إلا في المزدلفة ولا يتجاوزونها، فهذا ترك للواجب ونقص من العبادة .

إذا هؤلاء من جاهليتهم إما الزيادة في المشروع مالم يأذن به الله ، أو النقص منه ؛ وكلا من الزيادة والنقص من الجاهلية .

قال رحمه الله تعالى :

الحادية والسبعون : تركهم الواجب ورعا.

قال : «**الحادية والسبعون: تركهم الواجب ورعا**» أي يتورعون بترك ما أوجب الله سبحانه وتعالى عليهم ، يتكون أمورا أوجبها الله سبحانه وتعالى عليهم يفعلونها على سبيل التورع ؛ وهذا من الجاهلية ، كيف يكون ما أوجه الله على عباده أمرا يتورع من فعله!! لاشك أن هذا من الجاهلية ، كيف يُتقرب إلى الله عز وجل بالتورع عن أمر أوجه الله على عباده!! التورع يكون عن الأمور المحرمة والأمور المشتبهة والأمور التي فيها ريبة ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)) ، أما الواجبات وفرائض الدين فهذه كيف تجعل مجالا يتورع الإنسان منه ويتجنبه تورعا!! فهذه من جاهلية هؤلاء .

والأمثلة على ذلك من حالهم كثيرة منها : ما سبق أن مر معنا وهو تركهم للباس تورعا من أن يطوفوا به وقد فعلوا فيه الذنوب والمعاصي ، فكانوا يطوفون بالبيت عرا ويتورعون من الطواف باللباس لأن اللباس بزعمهم لباس عصوا

الله تبارك وتعالى به فلا يطوفون به ، يتورعون من لبسه ، ولبسه واجب ، ستر العورة واجب ويحرم على الإنسان أن يكشف عورته ؛ فيتركون الواجب الذي هو ستر العورة تورعاً ؛ أي على سبيل الورع يقولون كيف نطوف بثياب عصينا الله تبارك وتعالى بها! .

قال رحمه الله تعالى :

الثانية والسبعون : تعبدهم بترك الطيبات من الرزق.

«الثانية والسبعون: تعبدهم بترك الطيبات من الرزق» ترك ما أباحه الله سبحانه وتعالى لهم وأحله لهم من الطيبات يتعبدون لله تبارك وتعالى بترك ذلك ؛ أي يجعلون ترك الطيبات من الرزق نوعاً من العبادة التي يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى ، ولهذا جاء في أعمال أهل الجاهلية أنهم يحرمون أموراً مثل تحريمهم لأصناف من بهيمة الأنعام كالوصيلة والحام ونحوها ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] ؛ فيجعلونها محرمة على أنفسهم يحرمونها على أنفسهم ويتدينون ويتقربون إلى الله سبحانه وتعالى بذلك التحريم ، تحريمهم لتلك البهائم على أنفسهم يعدون ذلك قرينةً من القرب التي يتقربون بها إلى الله تبارك وتعالى ، ولهذا قال عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

قال رحمه الله تعالى :

الثالثة السبعون: تعبدهم بترك زينة الله .

قال «الثالثة والسبعون : تعبدهم بترك زينة الله» أي يجعلون من القرب التي يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى ترك الزينة ، ومثال ذلك سبق قريباً ؛ وهو أنهم يتركون اللباس الذي هو زينة وجمال للإنسان وسترٌ لعورته ، يتركون اللباس ويتجردون من ألبستهم يفعلون ذلك على وجه التدين والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى والله يقول: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والسبعون: دعوتهم الناس إلى الضلال بغير علم.

الخامسة والسبعون: دعوتهم إياهم إلى الكفر مع العلم.

هنا يشير رحمه الله تعالى في هاتين المسألتين إلى مسلكين من مسالك أهل الجاهلية:

■ المسلك الأول يصف فيه حال عبّاد هؤلاء وهم الرهبان المنقطعين للعبادة والعمل متقربين بها إلى الله سبحانه وتعالى عن غير علمٍ ، بل برهبانية ابتدعوها وعبادات اخترعوها لم يشرعها الله سبحانه وتعالى لهم ؛ فهذا الصنف من الناس حالهم كما وصف الشيخ رحمه الله تعالى «يدعون الناس إلى الضلال بغير علم» لأنهم هم ضالون في أنفسهم يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى ببدع وأهواء وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان ، وفي الوقت نفسه يدعون غيرهم إلى أن يتقربوا إلى الله سبحانه وتعالى بهذه البدع والضلالات التي كانوا يتقربوا إلى الله سبحانه وتعالى بها. ومثل هؤلاء وعلى طريقة هؤلاء أهل الضلال في كل وقتٍ وحين ممن يُحدثون في الدين مما لم يأذن به الله وما لم يشرعه الله ثم يدعون الناس إلى تلك البدع، فدعاة البدع ودعاة الضلال فيهم شبه برهبان النصارى الذين تقربوا إلى الله سبحانه وتعالى ببدع ما أنزل الله بها من سلطان ثم صاروا دعاةً إلى تلك البدع . كذلك من يحدث في دين الله جل وعلا ما لم يأذن به الله وما لم يشرعه الله سبحانه وتعالى على عباده ثم يكون داعية إلى ذلك فهذا فيه شبهة من رهبان النصارى .

■ ثم ذكر رحمة الله تعالى المسألة الثانية وهي : «دعوتهم إياهم إلى الكفر مع العلم» ليس عن جهل ولكن عن علمٍ بأن هذا الذي يدعون الناس إليه كفرٌ بالله وشرك به سبحانه وتعالى ، يضلون الناس بعلم ويدعون الناس إلى الكفر والضلال والباطل عن علم ، فهم في أنفسهم يعرفون عن أنفسهم أنهم دعاة للضلال ودعاة للباطل ودعاة للكفر بالله تبارك وتعالى ، لكن يدفعهم إلى ذلك أغراض عديدة مثل: الطمع في الرئاسة ، أو الطمع في الأموال، أو حسد الناس على ما أتاهاهم الله سبحانه وتعالى من الخير والفضل ، أو غير ذلك من الأغراض .

وهذه الحال التي يشير إليها حال اليهود ، والحالة الأولى حال عبّاد النصارى ، قد قال الله سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي أهل العلم والعمل ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وهم اليهود الذين عندهم علم لا يعملون به ﴿ وَكَالضَّالِّينَ ﴾ وهم النصارى الذين يعملون بغير علمٍ ، ولهذا قال من قال من سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى «من فسد من علمائنا ففيه شبهة باليهود ، ومن فسد من عبّادنا ففيه شبهة بالنصارى» ؛ من فسد من علمائنا : أي عنده علم لا يعمل به ، ومن فسد من عبّادنا أي من يعبد الله بالبدع والأهواء والضلالات وما لم يشرعه الله سبحانه وتعالى لعباده .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة والسبعون: المكر الكبار كفعل قوم نوح.

قال: «السادسة والسبعون: المكر الكبار» والمكر يكون فظيغًا بالغًا مبلغه في الكبر والشناعة عندما يكون صاحبه يخطط لإيقاع الناس في الكفر بالله عز وجل والشرك به وعبادة الأصنام والأوثان والبقاء عليها ، فمن كان يخطط لهذا الأمر ويرتب له ويريد أن يكون الناس عبدةً للأوثان والأصنام وأن يبقوا على هذه العبادة فهذا أشنع المكر وأكبره ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى عن قوم نوح: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٢-٢٤] ؛ فالمكر الكبار هو التخطيط الآثم والترتيب لدعوة الناس إلى الشرك بالله ، ودعوة الناس إلى البقاء على الشرك بالله تبارك وتعالى.

قال رحمه الله تعالى :

السابعة والسبعون: أن أئمتهم إما عالمٌ فاجر وإما عابدٌ جاهل ، كما في قوله ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٥-٧٨] .

قال رحمه الله تعالى : «المسألة السابعة والسبعون : أن أئمتهم إما عالمٌ فاجر وإما عابدٌ جاهل» ؛ أئمتهم : أي من جعلوهم أسوة لهم وقدوة لهم يقتدون بفعالهم ويتشبهون بهم وبأعمالهم ، لا يخرجون عن رجلين : إما عالم فاجر ، أو عابد جاهل .

ﷺ إما عالم فاجر عنده علم بشرع الله تبارك وتعالى ولكن فجوره يجعله أولاً هو في نفسه لا يعمل بهذا العلم ، ويجعله فجوره ثانياً : يدعو الناس إلى غير هذا العلم ؛ فإن كان كتاباً حرفه وغيّر فيه وبدل ، وإن كان حكماً شرعياً ألغاه ووضع مكانه غيره من الأعمال التي لم يشرعها الله سبحانه وتعالى ، واتخذ أيضاً ترأسه بعلمه سبيلاً لأكل أموال الناس بالباطل وارتكاب الفواحش ونحو ذلك من الآثام . فقدوة هؤلاء وأئمتهم إما عالم فاجر على الصفة التي أشرت إليها .

ﷺ أو عابدٌ جاهل يعبد الله بجهل وعن غير علم ، «ومن عبد الله بغير علم فإن ما يفسد أكثر مما يصلح» كما

قال بذلك أهل العلم ، من عبد الله بجهل فإنما ما يفسد أكثر مما يصلح بعبادته . وإذا كان يعبد الله عز وجل بالجهل والبدع والأهواء ثم يكون في الوقت نفسه داعية إلى ذلك فهذا شر إلى شر .

إذا قدوة هؤلاء لا يخرجون عن رجلين : إما عالم فاجر أو عابد جاهل ، وذكر الدليل على ذلك قال : « كما في قوله ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٦) أَوْ كَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ » ؛ فقلوه تبارك وتعالى ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ إلى آخره هذا حال العالم الفاجر ، يسمع كلام الله عنده علم به ، سمعه وبلغه كلام الله وفهمه وعرف معناه لكن ماذا صنع ؟ قال ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ لا يفعلون هذه الممارسات عن جهل بل عن علم ، ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فهذه حال العلماء الفجار .

ثم ذكر تبارك وتعالى حال العباد الجهلة بقوله ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ أي إلا مجرد قراءة وتلاوة يقرأ الآيات لكن لا يدري ماهي ، ولا يعبد الله بما تدل عليه لأنه لا يدري ماهي ولا يعرف معناها ، بل يعبد الله سبحانه وتعالى بالبدع والأهواء ، أما آيات الله وكلامه فإنه لا يفهمه ، حظه منه مجرد القراءة والتلاوة ، ولهذا قال : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ أي إلا مجرد قراءة ، يقرؤون الآيات قراءةً بألسنتهم ، أما الفهم فهم بعيدون عنه فضلا عن أن يعملوا بآيات الله تبارك وتعالى ، ولهذا قال جل وعلا : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [البقرة: ١٢١] ، قد قال العلماء : إن تلاوة الكتاب حق التلاوة تكون بالقراءة للآيات ، والفهم لمعانيها ، والعمل بما تقتضيه ؛ كل ذلك يعد تلاوةً ، حتى العمل نفسه يعد تلاوةً ، العمل والإتباع يعد تلاوةً ولهذا قال ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا ﴾ [الشمس: ٢] أي تبعها ، فإتباع الكتاب والعمل بما جاء به هذا جزء من تلاوته . والأميون وهم عبدة جهلة يعبدون الله تبارك وتعالى بغير علم وحظهم من كلام الله وكتابه هو مجرد التلاوة .

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة والسبعون: دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس .

قال: «الثامنة والسبعون: دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس» ولهذا قالوا ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] ، وهذه دعاوى رخيصة سهلة على اللسان أن ينطق بها ، لكن الدعاوى لا قيمة لها ؛ إذا لم يحقق الإنسان ما ينال به الولاية وما ينال به تولى الله تبارك وتعالى له فإن دعاواه لا تفيده ، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] لا يكفي مجرد الدعاوى أن يقول الإنسان أنا يحبني الله ، أو أنا أحب الله ، أو أنا من أولياء الله ، هذه الدعاوى لا تفيد صاحبها شيئا ، ولهذا قال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ ، وفي الحديث المشهور عند أهل العلم بـ«حديث الولي» وفيه يقول الله سبحانه وتعالى: ((من عاد لي وليا أذنته بالحرب)) ذكر الله سبحانه وتعالى فيه في هذا الحديث القدسي علامة الولي ومن هو الولي؟ قال: ((من عادا لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) فذكر من هو الولي وأن الولي : هو الذي يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالفرائض ثم ينتقل إلى درجة أعلى من ذلك بعد تقربه إلى الله سبحانه وتعالى بالفرائض ألا وهي التقرب إليه بالنوافل والرغائب والمستحبات ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) .

فالذي لا يفعل الفرائض ويفرط في الواجبات ويرتكب المحرمات من أين له أن يكون وليا لله تبارك وتعالى؟! وهذه حال هؤلاء ؛ تركوا دين الله وضيّعوا الواجبات وارتكبوا المحرمات ثم مع هذا الركام من الباطل الذي هم عليه والذي يمارسونه يقولون نحن أبناء الله أحماءه ، بل قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١١١] لن يدخل الجنة إلا نحن ، ومن سوانا لن يدخلها ، وهم أهل شرك وكفر ومعاصي وآثام وترك المحرمات ثم مع هذا الركام الكبير من الباطل يقولون نحن أولياء الله ونحن أحماء الله ولن يدخل الجنة إلا نحن!! ويقولون لن تمسنا النار إلا أيام معدودات أيام قليلة ، فمثل هذه الدعاوى رخيصة .

ولهذا من ضل من دعاة الباطل سلكوا مثل هذا المسلك وادّعو مثل هذه الدعاوى ، ولهذا يوجد عند بعض أئمة الطرقية من أهل الضلال والباطل نظير هذا الكلام ، وزعمهم أن الجنة بأيديهم ، وأنه لا يدخل أحد النار من مريديهم وأتباعهم ونحو ذلك ، مثل هذه الدعاوى سهلة على كل لسان ورخيصة يمكن النطق بها لكنها لا تجدي ولا تفيد صاحبها شيئا ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ

بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] .

ثم إن ولي الله سبحانه وتعالى حقًا وصدقًا لا يزكي نفسه ، لا يقول أنا من أولياء الله ، وأنا من المقربين ، لا يقول ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢] ، لا يزكي نفسه بل لا يزال مطيعا لله سبحانه وتعالى محافظا على أوامر الله متجنبًا الحرام والآثام وهو خائف ، قال عبدالله بن أبي مليكة رحمه

الله وهو من علماء التابعين «أدركت أكثر من ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على نفسه» ، قال الحسن البصري رحمه الله : «إن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة ، والمنافق جمع بين إساءة وأمن» ؛ المنافق يسيء العمل وهو آمن من مكر الله ، مع إساءته يقول : أنا من أولياء الله ، وأنا من أهل الجنة ، وأنا لن أدخل النار، ونحو ذلك من الدعاوى .

قال رحمه الله :

التاسعة والسبعون : دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه؛ فطالبهم الله بقوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾

«دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه» دعواهم محبة أي أنهم يحبون الله وأن الله يحبهم قالوا ﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ بِاللَّهِ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ١٨] ، فهم يدعون أنهم يحبون الله وأن الله سبحانه وتعالى يحبهم مع تركهم شرعه !! أي لا يطيعون الله ولا يمثلون أوامره ولا يجتنبون ما نهاهم عنه تبارك وتعالى ، وفي الوقت نفسه يقولون الله يحبنا ونحن أحبنا الله ، يقولون هذا القول مع أنهم تاركون لشرع الله سبحانه وتعالى .

قال المصنف: «فطالبهم الله بقوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾» فجعل تبارك وتعالى علامة المحبة صدق الإتياع ، اتباع الرسل ولزوم شرع الله سبحانه وتعالى الذي أنزله تبارك وتعالى على رسله هذه علامة المحبة ، ولهذا بعض العلماء يسمي هذه الآية الكريمة «آية المحنة» ؛ أي من ادعى محبة الله فليمتحن نفسه على ضوء هذه الآية ، هل هو متبع لشرع الله أو غير متبع ؟ إن كان متبعا فهذا من علامات صدق المحبة ، وإن كان غير متبع يمارس المحرمات ويترك الواجبات فأين البرهان؟

تعصي الإله وأنت تزعم حبه

هذا لعمر في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته

إن المحب لمن أحب مطيع

لو كان هناك محبة صادقة لوجدت الطاعة ؛ فإذا لم توجد الطاعة فعدم وجودها دليل على عدم وجود المحبة ، لا يمكن أن يكون هناك محبة قلبية صادقة وفي الوقت نفسه عصيان وعدم طاعة لله تبارك وتعالى . فطالبهم الله أن يبرزوا علامة صدق محبتهم لله تبارك وتعالى إن كانوا صادقين ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ .

ولهذا عند هذه الآية الكريمة قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه التفسير : «هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله دون أن يلزم الشرع النبوي بأن دعاواه كاذبة» ، وأورد عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال :

«زعم قوما قالوا إنا نحب ربنا حبا شديدا فأنزل الله قوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾» ، وأيضا نقل عن بعض السلف كلمة جميلة جدا قال : «ليس الشأن أن تُحِب ولكن الشأن أن تُحَب» ؛ ليس الشأن أن تقول أنا أحب الله بادِّعاء ذلك مجرد دعوى ، ولكن الشأن أن تحب أي أن يحبك الله ، والله سبحانه وتعالى لا يحبك بمجرد هذه الدعاوى مع تركك لطاعته وفعلك للمحرمات والآثام والموبقات التي لا تزيد الإنسان من الله إلا بعدا ، فقال «ليس الشأن أن تُحِب ولكن الشأن أن تحب» أي أن يحبك الله ، والله سبحانه وتعالى يحبك بفعل الفرائض والعناية بالطاعات كما مر معنا في الحديث القدسي ((ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)).

فالذي يطلب لنفسه محبة الله ويرجو أن يكون ممن يحبهم الله سبحانه وتعالى فليسلك المسالك التي توصله إلى ذلك؛ وذلك بفعل الأوامر وترك النواهي ، وفي الدعاء المأثور الثابت عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول في دعائه: «اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يقربني إلى حبك» . والشاهد هنا قوله ((والعمل الذي يقربني إلى حبك)) ، لا بد من الأعمال والطاعات التي تقرب الإنسان إلى حب الله تبارك وتعالى.

قال رحمه الله:

الثمانون: تمنيهام الأماي الكاذبة كقوله ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] ، وقوله ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١١١] .

قال رحمه الله تعالى «المسألة الثمانون : تمنيهام الأماي الكاذبة» أي مع الضلال الذي هم عليه والباطل الذي يمارسونه والبعد الكبير عن دين الله الذي شرع لعباده وأمرهم به ، مع ذلك كله يتمنون الأماي الكاذبة ؛ أي مع الشرك والضلال والباطل يقول: أتمنى أن أكون في الدرجة العالية من الجنة مثلا ، وأتمنى أن لا أدخل النار وألا يعذبني الله، وأتمنى أن ألقى الله وهو راضٍ عني وغير ساخط .. أماي تكذبها الأعمال ، ولهذا وصف الشيخ رحمه الله الأماي بأنها كاذبة لأن الأعمال تكذبها ؛ يتمنى ولا يعمل! والأماي التي لا يكون هناك معها عمل تتحقق به الأماي لا توصل الإنسان إلى مطلوبة ، ولهذا مر معنا في الآية الكريمة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يُعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] ، وفي هذا المعنى يقول الحسن البصري رحمه الله : «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه الأعمال» ؛ "ليس الإيمان بالتمني" أي بمجرد الإتيان بمثل هذه الأماي الكاذبة ، "ولا بالتحلي" أن يصف نفسه بالإيمان دون أن يقوم بحقيقة الإيمان ودون أن يحقق الإيمان في نفسه ، «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه الأعمال» .

قال رحمه الله : «تَمْنِيهِمُ الْأَمَانِي الكاذبة كقولهم ﴿لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤] » النار لن تمسنا، وإن مستتنا تمسنا أيام قليلة معدودة ، حتى بعضهم قالوا أن النار إنما تمسنا المدة التي عبدنا فيها العجل قبل رجوع موسى إلينا ، فأيام معدودات هي التي تمسنا فيها النار ثم نخرج ونكون في الجنة .

أيضا مثل ذلك قولهم ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ هذه أمانى ؛ لا ندخل النار ندخل الجنة هذه أمانى لا يترتب عليه وقوع الأمر الذي يتمنونه ما لم يحققوا الأعمال التي تكون بها النجاة من النار ويكون بها دخول الجنة ، وفي الدعاء المأثور «اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» ، فالجنة لها أعمال وأقوال تقرب إليها ، والنار لها أعمال وأقوال تقرب إليها؛ فالذي يعمل الأعمال التي تقرب إلى الجنة يفوز بالجنة ، والذي يعمل الأعمال التي تقرب إلى النار ييؤ بدخول النار، أما مجرد الأمانى فإنها لا تجدي ولا تفيد صاحبها شيئا.

قال رحمه الله تعالى :

الحادية والثمانون : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد .

قال رحمة الله تعالى : «المسألة الحادية والثمانون: اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد» ؛ اتخذها مساجد المراد به: أن هؤلاء اتخذوا قبور أنبيائهم مكاناً للعبادة يتحرون العبادة عندها والمكث عندها أي الوقوف الطويل والدعاء عندها ، فاتخذوها مساجد: أي اتخذوها موضعاً للعبادة ، سواءً بنو عليها بناءً جعلوه مسجداً ، أو اتخذوها موضعاً للعبادة بدون أبنية يعكفون عندها ويتحرون العبادة عندها ويمارسون العبادة عندها كل ذلك من اتخذها مساجد .

فاتخاذ القبور مساجد يكون بأمرين :

١. يكون بالبناء عليها بحيث تكون مسجداً ، أي مسجداً مبنياً وضع للعبادة .
٢. والأمر الثاني : أن تكون القبور مكاناً تُتحرى العبادة عنده ، بحيث يعكف عند القبر ويتحرى الدعاء والذكر لله تبارك وتعالى عند القبر ، فهذا من اتخاذها مساجد

اتخاذ القبور قبور الانبياء والصالحين مساجد ، وقد قال عليه الصلاة والسلام قبل أن يموت : ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ممن صنعوا عليه الصلاة والسلام ؛ ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد)) اتخذوها مساجد بالبناء عليها ، واتخذوها مساجد بجعلها موضعاً للعبادة يتحرون العبادة عندها . وشاهد هذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث ((جُعِلَت لي الأرض مسجداً)) أي

مكانا للعبادة أينما تدرك الإنسان المرء الصلاة يصلي ، ويستثنى من ذلك المقبرة والحمام ؛ المقبرة ليست مكانا تُتحرى العبادة فيه أو تُفعل فيه ، وفعل العبادة أي القرية التي يتقرب بها إلى الله عند المقابر أو في المقابر هذا من ذرائع الشرك ووسائل الباطل ، ولهذا قال : ((لاتصلوا إلى القبور)) لأن هذا ذريعة الشرك حتى وإن كان لا يريد أن يصلي إلا لله ، ولهذا مرة كان أنس يصلي وأمامه قبر ما انتبه ، كأنهم كانوا في طريق وكان يصلي وأمامه قبر ما انتبه إليه ؛ فأخذ يصيح به عمر رضي الله عنه : «يا أنس القبر، يا أنس القبر» مثل ما تقول لصاحبك "يا فلان الحية" أو "يا فلان العقرب"؛ لأن هذا ذريعة الشرك ، تحري العبادة السجود والركوع عند القبور حتى لو لم يقصد صاحبه إلا التقرب إلى الله سبحانه وتعالى هذا ذريعة للشرك وعبادة القبور من دون الله .

فمن جاهلية أولئك : اتخاذ القبور مساجد ؛ أي مكاناً تتحرى العبادة عندها.

قال رحمه الله :

الثانية والثمانون : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذكر عن عمر رضي الله عنه .

قال «الثانية والثمانون : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد» آثار الأنبياء : أي المواضع التي للأنبياء فيها أثر معين ، مثل شجرة جلس تحتها ومعه قومه أو بايعوه عندها ، أو جلس في مكان أو مر في مكان أو نحو ذلك ؛ فمن الجاهلية اتخاذ آثار الأنبياء مساجد ، يعني يقول هذا موضع جلس فيه النبي نفعل هنا مسجد ، أو نتحرى الصلاة في هذا المكان ، أو هذه الشجرة جلس عندها أو مر بها فتحرى الصلاة عندها ، وهكذا ، يجعلون آثار الأنبياء مساجد أي مكانا تتحرى العبادة عنده السجود والركوع ؛ فهذه من أعمال أهل الجاهلية .

ولهذا أشار المصنف قال : «كما ذكر عن عمر» ، لأن عمر وجد بعض الناس يمشون على الشجرة التي تمت عندها بيعة الرضوان ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] ، فهذه الشجرة وجد عمر أن بعض الناس يتحرى في سفره المرور عندها الصلاة ، فأمر عمر رضي الله عنه بقطع الشجرة وقال : «إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ؛ اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد» أي يتحرون العبادة عند آثار الأنبياء .

ونحن مطالبون بإتباع آثار الأنبياء الذي هو دينهم والكلام الذي بلغوه للناس والأعمال التي هم قدوة للناس بها ؛ عبادة الله وفعل الخيرات وتجنب المحرمات والآثام ، ولهذا يسمي أهل العلم أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام «آثار» ، وبعض مصنفات أهل العلم في الحديث سموها بهذا الاسم «الآثار» ، لأن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم هي آثاره التي يجب على الإنسان أن يحرص عليها وأن يأخذ منها النصيب الأوفر ، أما أن يتخلى عن هذه الآثار ويتبع الآثار التي هي الأماكن التي مر بها أو جلس عندها أو نحو ذلك ويتحرى العبادة عندها فهذا أمر هو من الأمور التي لم يشرعها الله سبحانه وتعالى لنا .

قال رحمه الله :

الثالثة والثمانون : اتخاذ السُرج على القبور .

«الثالثة والثمانون : اتخاذ السُرج على القبور» أي الاضاءات ، يضعون سُرج تضيء المكان وتجعل القبر مكاناً مضيئاً ؛ فيضعون السرج ويضعون أيضاً الستائر ويضعون الزينة على القبور ، ومثل هذه الأمور وضعها على القبور يحرك قلوب الجاهل والطغام والعوام إلى العكوف عند القبور وتحري العباداة عندها وتعظيم القبور التعظيم الذي لم يأذن به الله تبارك وتعالى ، فتكون سبب فتنة للناس ؛ فهذا من أعمال أهل الجاهلية «اتخاذ السرج على القبور» ، قال عليه الصلاة والسلام ((لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها السرج)) لعن عليه الصلاة والسلام من يفعل ذلك ، لأن اتخاذ السرج على القبور من أسباب الافتتان بالقبور والتعلق بها.

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والثمانون : اتخاذها أعياداً.

«اتخاذها» أي القبور «أعياداً» أي مكاناً يعاود إما بعود العام أو الشهر أو اليوم أو الأسبوع أو نحو ذلك ، مثل أن يقول قائلهم "أنا كل سبت أذهب إلى القبر" أو مثلاً "كل يوم بعد العشاء مثلاً" ، فيجعل وقتاً ثابتاً يعاود فيه القبر ويكرر ذلك تلك المعاودة ، ولهذا جاء في الدعاء عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((اللهم لا تجعل قبري عيداً)) أي مكاناً يُقصد بالمعاودة والتكرار كل يوم مثلاً أو كل شهر أو على رأس كل سنة أو نحو ذلك من المعاودة ، فدعى النبي صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه وتعالى بهذه الدعوة قال ((اللهم لا تجعل قبري عيداً)) . فمن أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بالتحذير منها : اتخاذ القبور عيداً.

قال رحمه الله :

الخامسة والثمانون: الذبح عند القبور.

«الخامسة والثمانون: الذبح عند القبور» أي ذبح القرابين تقرباً للمقبورين بها ، أو تحرياً لذبحها عند القبور تبركاً ؛ فهذا من أعمال أهل الجاهلية ، كانوا يتقربون إلى المقبورين بذبح النذور عندها وذبح الذبائح عندها ؛ فهذا من

الشرك بالله سبحانه وتعالى وهو من أعمال الجاهلية ، وقد قال الله تعالى ﴿قُلْ إِن صَّلَّيْتُمْ وَسَلَّيْتُمْ وَنَحَّيْتُمْ وَمَمَّيْتُمْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] قوله ﴿وَسُكِّي﴾ : أي ذبحي .

قد جاء في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((دخل رجل النار بذباب ودخل رجل الجنة بذباب)) قالوا: وكيف ذاك؟ رجل يدخل النار بذباب وآخر يدخل الجنة بذباب!! أمر عجيب ، قالوا وكيف ذاك؟ قال : ((مر رجلان بقوم عندهم صنم ولا يجوزه أحد -لا يمر أحد من عنده- إلا قالوا له قَرِّب ، فمر هذان الرجلان بهذا الصنم فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب -لا أملك أي أنا مستعد لكن ليس عندي شيء أقرب- قالوا قرب ولو ذبابا فاصطاد ذبابا وقطع رأسه تقربا لذلك الصنم فمات فدخل النار ، قالوا للآخر قرب، قال : ما كنت لا قرب لأحد غير الله ، فقطعوا رأسه فدخل الجنة)) إذا كان التقرب لتلك المعبودات ولو بذباب موجبا لدخول النار فكيف بمن يشتري أطيب بهيمة الأنعام وأسمنها وأحسنها ويأتي بها يقودها ويسوقها إلى القبر ويدبحها عنده متقربا بها إليه!! فهذا من الشرك بالله تبارك وتعالى المصادم للتوحيد كل المصادمة.

قال رحمه الله :

السادسة والثمانون: التبرك بآثار المعظمين؛ كدار الندوة ، وافتخار من كانت تحت يده بذلك ، كما قيل لحكيم بن حزام رضي الله عنه بعث مكرمة قريش؟ فقال: «ذهبت المكارم إلا التقوى» .

ثم قال رحمه الله تعالى : «المسألة السادسة والثمانون: التبرك بآثار المعظمين» أي عندهم ، وآثار المعظمين: هي المواقع التي لها اختصاص بهم ، كأن يكونوا مثلاً كانوا يجلسون فيها كثيراً أو كانت ناديا من أندية أو موضعاً معروفاً يجلسون فيه أو بإعمالٍ معينة لهم في تلك الأماكن ، «التبرك بآثار المعظمين» أي التماس البركة بإتيان أماكن المعظمين عندهم فيجلس في تلك الأماكن طلباً للبركة ، أو ربما مسح يده أو ألصق صدره بتلك الأماكن طلباً للبركة ، أو جعل ملابسه أو شيء من حاجاته وطعامه في تلك الأماكن طلباً للبركة ؛ كل ذلك من أعمال أهل الجاهلية «التبرك بآثار المعظمين» .

وضرب مثلاً لذلك قال : «كدار الندوة» وهذه الدار كانت لبعض المعظمين عندهم فكانت مكاناً يتخذ للتبرك وطلب البركة ، وهذا من جاهلية هؤلاء .

قال : «وافتخار من كانت تحت يده بذلك» يعني تلك الآثار من كانت تحت يده يفتخر بذلك ، لأنه عنده مكان مبارك ومكان تطلب فيه البركة وتُلتَمَس ، فكانوا من عنده شيء من تلك الأمكنة يفتخر بذلك .

قال : «كما قال لحكيم بن حزام بعث مكرمة قريش؟» يعني تخلّيت عنها وتركها ؟ «فقال : ذهبت المكارم إلا

التقوى» أي تقوى الله سبحانه وتعالى .

ونكتفي بهذا القدر والله أعلم وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد.

الدرس العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال المؤلف رحمه الله تعالى وغفر له و للشارح والسامعين :

السادسة والثمانون: التبرك بآثار المعظمين كدار الندوة ، وافتخار من كان تحت يده بذلك ، كما قيل لحكيم ابن حزام رضي الله عنه : بعث مكرمة قريش؟ قال : «ذهبتم المكارم إلا التقوى».

قال المصنف رحمه الله تعالى في كتابة المسائل الجاهلية : «السادسة والثمانون» أي من الخصال والأعمال التي كان عليها أهل الجاهلية «التبرك بآثار المعظمين»؛ التبرك : طلب البركة ، والبركة: هي النماء والزيادة . فكان من طرائق أهل الجاهلية طلب البركة بآثار المعظمين ، وآثار المعظمين: هي المواضع التي كان للمعظمين بها صلة؛ كجلوس أو مكث أو درس أو نحو ذلك . والمعظمين: أي من لهم مكانة في النفوس؛ لرئاسة أو لكرم أو خصال حميدة أو نحو ذلك . فكانوا يتبركون بآثار المعظمين؛ أي يطلبون البركة للمكث عندها ، أو التمسح بها ، أو وضع حاجاتهم وأمتعتهم فيها ليبارك فيها .

قال : «التبرك بآثار المعظمين كدار الندوة»؛ دار الندوة كانت مجمعا للمعظمين عندهم من أعيانهم ورؤسائهم وكُبرائهم يتداولون فيها الآراء ويتشاورون ، وهي منتدى لهم ، فكان لها شأن .

قال: «كدار الندوة وافتخار من كانت تحت يده بذلك» افتخار من كانت تحت يده أي تحت يده دار الندوة بذلك أي يكون هذا الأثر المعظم تحت يده ، مع إن الآثار وتعظيمها باب فتنة على الناس وتعلق بها وطلب للبركة من جهتها ؛ وذلك لقرب النفوس من الدخول في الضلال والخرافة من خلال هذه الآثار.

قال : «كما قيل لحكيم ابن حزام بعث مكرمة قريش» كانت دار الندوة تحت يد حكيم بن حزام فباعها رضي الله عنه ، فلما باعها قيل له : بعث مكرمة قريش؟ أي أن هذه المكرمة وهي الأثر العظيم لا يفرط فيه ولا يضيع

بل يحتفظ به ، المحافظة على الآثار يحافظ عليه .

« قيل له بعت مكربة قريش؟ قال: ذهبت المكارم إلا التقوى » وهذه كلمة عظيمة قالها رضي الله عنه في هذا المقام، قال « ذهبت المكارم » المكارم التي تُظن وترجى وتطلب من خلال الآثار أو من خلال أمور أخرى هذه كلها ذهبت ؛ أي أذهبها الله عز وجل بالإسلام ، إلا التقوى: أي إلا مكربة التقوى كما قال الله عز وجل ﴿ إِنِ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] ، فالذي يريد المكربة ويريد البركة ويريد الفلاح والعزة يطلبها بالتوجه إلى الله وبطاعة الله والقيام بعبادته سبحانه وتعالى ، لا بالتعلق بالآثار أو بالأوهام أو بالخرافات ، فكل ذلك لا يُطلب من جهته بركة أو مكربة ، والمكربة تُطلب بتقوى الله جل وعلا .

قال رحمه الله تعالى :

السابعة والثمانون: الفخر بالأحساب .

الثامنة والثمانون: الطعن في الأنساب .

التاسعة والثمانون: الاستسقاء بالأنواء .

التسعون: النياحة .

ثم ذكر رحمه الله تعالى هذه الأمور الأربعة من مسائل الجاهلية ، قد جمعها نبينا عليه الصلاة والسلام محذراً منها في حديث واحد ، حيث قال صلى الله عليه وسلم: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة ، قال : والنائحة إذا لم تتب تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)) ؛ فذكر عليه الصلاة والسلام هذه الخصال الأربعة من خصال أهل الجاهلية محذراً منها ، في الوقت نفسه أخبر عليه الصلاة والسلام أنها لا تُترك ، سيوجد في الأمة من يمارس هذه الأعمال التي هي من أعمال أهل الجاهلية .

قال : «الفخر بالأحساب» أي: التفاخر تفاخر الإنسان بحسبه ، أي أنا مثلاً يقول ابن فلان الذي يملك كذا أو الذي يرأس كذا أو الذي عنده كذا ويتفاخر بأحسابه من الأجداد والآباء والمآثر التي كانوا عليها ، "نحن كنا كذا، نحن كنا كذا ونحن عندنا كذا" تفاخر ؛ فهذا من أعمال الجاهلية ، من أعمال الجاهلية التفاخر بالأحساب ، بل كانوا يعقدون مجالس يتفاخرون فيها وينشئ عن تلك المجالس زيادة الأحقاد والضغائن والعداوات بينهم وبغي بعضهم على بعض وتسلط بعضهم على بعض ، كل ذلك ينشئ عن التفاخر والتعالي بين الناس ؛ فجاء الإسلام بالنهي عن ذلك والتحذير منه .

قال : «الطعن في الأنساب» أي : طعن بعضهم في أنساب بعض ، كأن يقول : "أنت لا أصل لنسبك ، أو

أنت نسبك وضيع ، أو أنت من نسب ديني" أو نحو ذلك طعنًا في أنساب الناس بالازدراء والانتقاص والتحقير والتهوين من شأنهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع : ((إلا كلكم من آدم وآدم من تراب ، إلا لا فضل لأعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى)) والله عز وجل قال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] . فمن أعمال الجاهلية الطعن في أنساب الناس من أجل الازدراء والتحقير والانتقاص .

قال : «الاستسقاء بالأنواء» الاستسقاء: طلب السقيا ، بالأنواء: أي مواضع النجوم ، جاء في بعض الأحاديث ((الاستسقاء بالنجوم)) اعتقاد أن السقيا ونزول المطر ينزل بتأثير النجوم وأنها هي السبب والمؤثر في نزول المطر ، ولهذا كانوا إذا نزل المطر يقولون "مطرنا بنؤى كذا وكذا" كما جاء في الحديث قال النبي عليه الصلاة والسلام : ((قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، من قال :مطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، ومن قال مطرنا بنو كذا وكذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب)) . فمن أعمال الجاهلية الاستسقاء بالأنواء؛ أي اعتقاد أو الظن أن الأنواء هي السبب في نزول المطر ، إذا ظن أنها سبباً في نزول المطر وأن الذي ينزل المطر هو الله ثم نسب إليها نزول المطر لظنه أن الأنواء سببٌ في نزول المطر فهذا من كفران النعمة ، أما إذا اعتقد أن الأنواء أو النجوم هي التي تنزل المطر فهذا من الشرك الناقل من الملة . والأنواء ليست سبباً لنزول الأمطار ، سبب نزول الأمطار رحمة الله جل وعلا ؛ رحمته بعباده وإقبال العباد عليه بالتوبة والإنابة والاستغفار كما قال عز وجل : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠-١١] الأنواء ليست سبباً لنزول الأمطار ، سبب نزول الأمطار هو إقبال العباد على الله تائبين منيبين مستغفرين ، كما أن الذنوب والمعاصي والآثام سبب في تأخر نزول الأمطار أو في عدم نزولها ، فإن التوبة والإنابة والاستغفار سبب في نزول الأمطار ، ولأجل ذلك شرعت صلاة الاستسقاء ؛ أن يجتمع الناس يصلون ويدعون الله عز وجل ويستغفرون ، فلا يقال إن الأنواء سبباً ، هي أصلاً ليست سبب لنزول المطر ، لم يجعلها الله سبحانه وتعالى سبباً لنزول المطر ، فنسبة المطر أو نزول المطر إليهما مع اعتقاد أن المنزل له هو الله تبارك وتعالى هذا كفران النعمة ، وإذا كان عن عقيدة في الأنواء ذاتها أو النجوم ذاتها فهذا كفر أكبر ينقل صاحبه من ملة الإسلام .

قال : «النياحة» ؛ النياحة : البكاء بصوت وعويل وتسخط وجزع على الميت وتعداد مآثره ومحاسنه بكاءً وشجباً وتسخطاً ، وأيضاً تكون النياحة بضرب الحدود وشق الجيوب وقطع الشعر تسخطاً وجزعا ، وهذا كله من أعمال الجاهلية ؛ كان إذا مات لهم ميت أخذوا يصيحون ويُسْمَعُ لهم عويلٌ وصياح وبكاء عالي وتسخط على الأمر الذي وقع وموت ميتهم ، وأيضاً يمزقون الثياب بقطع جيوبها ، ويضربون الحدود كل ذلك تسخطاً ، ويكثر هذا الأمر في النساء لضعف المرأة وقلة الصبر فيها ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في تنمة الحديث : ((والنائحة إذا

لم تتب))، الأمر يشمل حتى النائح لكن خص المرأة بالذكر بقوله ((والنائحة)) لأن هذا الأمر يكثر في النساء ، ولهذا الضعف الذي في المرأة مُنعت المرأة من زيارة القبور ، قال عليه الصلاة والسلام : ((لعن الله زوارات القبور)) لأن المرأة ضعيفة ما تتحمل مثل الرجل .

قال : ((والنائحة إذا لم تتب)) إذا لم تتب من النياحة التي كانت عليها وماتت غير تائبة منها ((تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)) ؛سربال: أي ثياب تغطي جسمها من القطران ، والقطران هو النحاس المذاب يصلي الجسم صلياً ويحرقه ويغطي ثيابها ، القطران هو النحاس المذاب أو الزفت المذاب ، ((ودرع من جرب)) الدرع: هو الذي يغطي الصدر ، فتقام يوم القيامة على هذه الهيئة وهذا جزاء من جنس العمل ؛ لأنها لما حصلت لها المصيبة لم تصبر ولم ترضَ بالمقضي والمقدر ومسكت جيبها ومزقته ودرعها قطعت في المصيبة ، فعوقبت من جنس العمل ، قطعت درعها ومزقته فثكسى يوم القيامة كساءً هذه صفته ((تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)) .

قال رحمه الله :

الحادية والتسعون : أن أجل فضائلهم البغي ، فذكر الله فيه ما ذكر .

«أن أجل فضائلهم» أي أهل الجاهلية «البغي» ؛ أي أجل أمر يدعونه فضلاً لهم يتفاخرون به ويمدحون أنفسهم بفعله ويعُدُّونه في مآثرهم ، وعندما ينشئون القصائد والأشعار يعدونه في مقدمة مفاخرهم ومآثرهم البغي ؛ أي عدوان بعضهم على بعض ، عدوانا على الدماء وعدوانا على الأموال وعدوانا على الأعراض ، فهذا البغي يعدونه مفخرة ، وإذا أراد بعضهم أن يتفاخر وأن يعدد مآثره أو يعدد مآثر قبيلته أول ما يفتخر به البغي ، يقول "نحن الذين قتلنا من قبيلة كذا عدد كذا مثلاً ، ونحن أخذنا من نوقهم وإبلهم كذا وكذا" فيعدون بغيهم وعدوانهم على الأعراض والأموال والدماء مفخرةً ، ولهذا قال رحمه الله : «أن أجل فضائلهم البغي» ، وهذا يظهر عند التفاخر عندما تتفاخر القبائل وتعدد المآثر الذي هم عليها أبرز مفخرة عندهم البغي .

قال : «فذكر الله فيه ما ذكر» ذكر الله فيه أي في البغي ما ذكر أي من التحذير وبيان حرمة وأنه لا يحل ولا يجوز ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۚ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] ، فهذه أمور حذر الإسلام منها ونهى عنها ؛ أن يبغي أحدٌ على أحد ، لا يبغي عليه لا في مال ولا في عرض ولا في نفس ، البغي حرام ، ولهذا في حجة الوداع

قال عليه الصلاة والسلام : ((إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا)) وأيضا في حجة الوداع قال عليه الصلاة والسلام : ((ألا إنما هن أربع)) يعني أمور خطيرة احذروها وتجنبوها ((ألا إنما هن أربع : لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا)) ؛ قوله عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث ((لا تقتلوا النفس ولا تزنوا ولا تسرقوا)) هذه أنواع البغي ؛ البغي على الدماء «لا تقتلوا» ، البغي على الأعراض «لا تزنوا» ، البغي على الأموال «لا تسرقوا» ، فحذر عليه الصلاة والسلام من البغي بأنواعه ، اعتداء الإنسان على الآخر في نفسه أو في ماله أو في عرضه هذا مما جاءت الشريعة في التحذير منه أشد التحذير .

قال رحمه الله :

الثانية والتسعون: أن أجل فضائلهم الفخر ولو بحق ؛ فنهى عنه .

قال : «أن أجل فضائلهم الفخر» أي التفاخر ، فالفخر هو يعدونه عندهم في باب الفضائل أمرا مهما ، عندما يجلسون في تعداد الفضائل كلٌّ يفخر ، والفخر لا يخلو كما ألمح المصنف من حالتين : إما أن يكون فخر بحق ، أو بغير حق . فخر بحق : أي بأمر موجود وأمرٍ حصل يفخرون به . أو فخر بغير حق : باختلاق أمور يكذبون أنهم فعلوها أو حصلت لهم وهي لم تقع . ولهذا يقول رحمه الله : «أن أجل فضائلهم الفخر ولو بحق» أي ولو بأمر هو معدود من أعمالهم أو فعلوه أو وجد منهم ، فالفخر والتفاخر لا يجوز بل المطلوب هو التواضع وأن لا يفخر الإنسان على أخيه ، بل يتواضع سواء كان الفخر بحق أو بغير حق كل ذلك لا يجوز ، وهؤلاء كان من فضائلهم التفاخر .

قال رحمه الله تعالى :

الثالثة والتسعون : أن تعصب الإنسان لطائفته على الحق والباطل أمر لا بد منه عندهم ؛ فذكر الله فيهم ما ذكر .

ثم ذكر رحمه الله هذه المسألة وهي: التعصب الأعمى ، تعصب الواحد منهم التعصب الأعمى لطائفته وطائفته في أي أمر يكون منها ؛ حق أو باطل ، هدى أو ضلال ، لا يبالون طالما أنه من أفعال طائفته فهو يعده حقا ، غير متأمل أو متدبر أو متفكر فيه ، بل هو متعصب لطائفته تعصب أعمى .

قال رحمه الله : «أن تعصب الإنسان لطائفته على الحق والباطل أمر لا بد منه عندهم» يعني هذه أمور مسلّمة

عندهم لا ينفكون عنها ، كل واحد منهم متعصب لطائفته وإن فعلت طائفته ما فعلت ، فهو متعصب لها سائر على نهجها مقتفي آثار طائفته بقطع النظر عن كون الأشياء التي تمارسها طائفته حق أو باطل هدى أو ضلال .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والتسعون: أن من دينهم أخذ الرجل بجرمة غيره ، فأُنزل الله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأعام: ١٦٤]

«أن من دين أهل الجاهلية أخذ الرجل بجرمة غيره» وهذه من جاهلية هؤلاء ، فمثلا لو أن رجلا من قبيلة اعتدى على رجل آخر من قبيلة أخرى فقتله ، من جاهلية هؤلاء أنهم لا يأخذون القاتل نفسه والمعتدي نفسه بجرمته فيعاقب بمثل ما عاقب به ، بل لا يقنعون بالقاتل نفسه فيطلبون مثلا رأس رئيس القبيلة أو كبيرها ، أو يطلبون بدل ذلك عشرة من أعيان القبيلة ، وهؤلاء ما ذنبهم ؟! ما ذنب هؤلاء العشرة!! أو ما ذنب رئيس القبيلة!! أو ما ذنب الوجهاء في القبيلة عندما يطالب بدمهم ويُقتلون مقابل أن واحد منهم اعتدى !! فهذه من الجاهلية ، العدل والإنصاف والحق أن المعتدي الظالم الباغي هو الذي يعاقب ، أما الآخر الذي لم يحصل منه باغي ولا عدوان بأي حق يعاقب؟

ولهذا قال رحمه الله : «فَأُنزل الله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾» لا يؤاخذ الإنسان بذنوب الآخرين إذا لم يكن هو المتسبب أو الفاعل أو المباشر ، فجاء الإسلام بقوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ . فمن جاهلية هؤلاء أخذ العقوبة من غير المعتدي ، وهذا الأمر يحصل في الناس وعند السفهاء ، حتى في نطاق يعني ضيق بين الجهال والسفهاء من صغار السن ، عندما يعتدي صغير على صغير بضربه يذهب ويضرب إخوانه ؛ هذا من نوع جاهلية أولئك ، لأن ما علاقة الآخرين باعتداء شخص! العقوبة إذا أنزلت تنزل بالمعتدي نفسه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .

قال رحمه الله تعالى :

الخامسة والتسعون: تعيير الرجل بما في غيره ، فقال ((أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية)).

قال : «تعير الرجل بما في غيره»؛ التعيير : هو الانتقاص للإنسان وذكر العيب فيه ، والله سبحانه وتعالى قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ

يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ [الحجرات: ١١] . فكان من جاهلية هؤلاء في باب التعيير أن يعيروا الشخص بما في غيره ، ليس فقط يعيرونه بما فيه من الصفات بل يعيرونه بما في غيره .

وضرب رحمه الله مثال على ذلك «قال أعيرته بأمه؟» عندما قال أحد الصحابة لآخر «يا ابن السوداء» غضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ((أعيرته بأمه؟ إنك امرئ فيك جاهلية)) لأن هذا من خصال الجاهلية تعيير الإنسان بما في غيره ؛ هذا من خصال الجاهلية التي جاء الإسلام بالتحذير منها والنهي عنها ، لا يعيّر الإنسان ، والتعيير سخرية وتهكم بالآخرين يمنع منه ، وإذا كان تعيير بما في الغير لا بما في الإنسان فهذا أشنع وهو من أعمال أهل الجاهلية .

قوله عليه الصلاة والسلام ((إنك امرئ فيك جاهلية)) فيه دليل على أن المسلم قد يقوم فيه شيء من خصال الجاهلية ولا يكون كافراً بها بل ينقص إسلامه ، تكون سبباً في نقص إسلامه ، وهذا يقال في كل عمل من أعمال الجاهلية ليس كفراً ، مثل ما سبق معنا : الفخر في الأحساب ، والطعن بالأنساب ، والنياحة على الميت ؛ هذه من كبائر الذنوب وليست كفراً ، فإذا وقعت من الإنسان يكون بوقوعه فيها فيه جاهلية ينقص بها إيمانه ويضعف دينه ، ولا يكون بها كافراً منتقلاً من ملة الإسلام .

قال رحمه الله :

السادسة والتسعون: الافتخار بولاية البيت ؛ فذمهم الله بقوله ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧] .

قال: «السادسة والتسعون: الافتخار بولاية البيت» أي تولي أمر بيت الله الحرام من عناية بالبيت ونظافته وصيانه ونحو ذلك من الأعمال ، ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩] ، فيفتخرون بولاية البيت «فذمهم الله بقوله ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾» لماذا ؟ لأنهم جعلوا ولاية البيت هي عملهم الصالح وتركوا طاعة الله ولزوم أمره والقيام بعبادته تبارك وتعالى وتحقيق الإيمان به ، وأخذوا يتفاخرون بهذا الأمر ويستكبرون وهم معرضين عن طاعة الله تبارك وتعالى .

ولهذا يقول المصنف : «فذمهم الله بقوله ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾» ؛ ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُ صَوْنَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ فلاحظ هنا السياق: استكبار وافتخار بولاية البيت ، وإعراض عن كتاب الله عز وجل وطاعة الله وامتنال أمره تبارك وتعالى

التي فيها سعادتهم ، ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكصُونَ ﴾ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿ أي لم تقبلوا على الكتاب ولم تقبلوه بل كنتم على أعقابكم تنكصون ، ثم في الوقت نفسه عندكم استكبار "نحن كذا ، نحن الذين عندنا كذا ، نحن الذين تولينا كذا ، نحن أهل السقاية ، نحن أهل الرعاية للبيت" مستكبرين به سامرا تهجرون ، آيات الله تتلى عليهم لا يتدبرونها ولا ينصاعون لها ولا يتمثلون ، ويتفاخرون ويستكبرون بولايتهم للبيت وسقايتهم للحاج ، ولهذا ذمهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية وفي آيات أخر بهذا الصنيع .

قال رحمه الله :

السابعة والتسعون: الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء فأتى الله بقوله ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ١٣٤]

أيضا من جاهلية هؤلاء «الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء» يقيمون على الشرك وعلى الكفر ولا يستجيبون للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يطيعون الله عز وجل في أوامره ويتفاخرون بكونهم ذرية الأنبياء ، والله يقول : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ [المؤمنون: ١٠١-١٠٢] ، وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام : ((من بطأ به دينه لم يسرع به نسبه)) ، فيتفاخرون بكونهم ذرية الأنبياء وهم في الوقت نفسه معرضون عن نهج الأنبياء وطريقة الأنبياء؛ ألا وهي توحيد الله وإخلاص الدين له وطاعته وامتنال أوامره سبحانه وتعالى .

قال : «فأتى الله بقوله ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾» ؛ عندما يقول القائل منهم "أنا من ذرية إبراهيم" ؛ هل قوله "أنا من ذرية إبراهيم" أن يكون له من صحائف أعمال إبراهيم عليه السلام ؟ أبداً أعمال إبراهيم عليه السلام له وهي التوحيد والإيمان وهو خليل الرحمن ، وأعمالهم هم الشرك والكفر بالله عليهم . ولهذا جاء بقوله ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ ؛ الأنبياء كسبوا الإيمان والتوحيد والإخلاص والطاعة لله وبلاغ دينه، وأنتم كسبتم هذا الشرك والباطل الذي تمارسونه ، ولكل ما كسب ، ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأحقاف: ١٩] ، كل يجازي بعمله .

قال رحمه الله :

الثامنة والتسعون : الافتخار بالصنائع ، كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث .

«الافتخار بالصنائع» الصنائع التي تيسرت لهم ، فمن تميز بصناعةٍ ما فإنه يفخر على من دونه ويتعالى عليه .
ومثّل ذلك بمثال قال : «كفخر أهل الرحلتين على أهل الحرث» أهل الرحلتين: كما في الآية ﴿لَا يَلَابِفُ قُرَيْشٍ﴾ (١)
إِلَابَفِهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿[قریش: ١-٢]﴾ كان لهم رحلتين في السنة ، أعيانهم وتجارهم وأثرياءهم لم رحلتين تجاريتين في السنة ؛ رحلة في الصيف كانت إلى الشام ، ورحلة في الشتاء إلى اليمن ، لغرض التجارة . فأهل الرحلتين رحلة الشتاء ورحلة الصيف يفخرون على أهل الحراثة الذين لهم أرض يحرثونها فهؤلاء يفخرون عليهم يفخرون عليه بأنهم أهل الرحلتين ؛ فهذا من الجاهلية التفاخر بالصنائع . ومثل ذلك عندما يفخر إنسان على زميله بصناعته يقول "أنا عندي وظيفة أنت ما عندك وظيفة" يفخر عليه ، أو مثلاً يقول "أنا عندي تجارة أنت ما عندك تجارة" ، أو "أنا عندي تجارة وأنت تعمل في وظيفة كذا وكذا أنا أفضل منك أنا أحسن منك" تفاخر ، هذا على طريقة هؤلاء وعلى نهجهم التفاخر بالصنائع ، من ميزه الله بصناعه لا يفتخر على الآخرين بل يحمد الله تبارك وتعالى الذي يسرّ له وأنعم عليه ويسأله تبارك وتعالى المزيد من فضله ، لا أن يجعل هذا الذي منّ الله عليه وأكرمه به سبباً للتفاخر على الناس والتعالي عليهم ، فإن مثل هذا التفاخر من عمل أهل الجاهلية .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة والتسعون: عظمة الدنيا في قلوبهم كقولهم ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِ

عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] .

«التاسعة والتسعون: عظمة الدنيا في قلوبهم» أي سلبت قلوبهم وأخذت قلوبهم وأصبح هي أعظم شيء عندهم ، عظمة الدنيا في قلوبهم أي في قلوب أهل الجاهلية . وبين رحمه الله مثلاً يوضح عظمة الدنيا في قلوب هؤلاء ، وهو قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ﴾ ؛ عظيم عنده دنيا عنده ملك عنده جاه ، لا أن يعطى القرآن لرجل أو لشاب يتيم ولد يتيمًا ولا يملك مالاً ، ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ﴾ أي له مكانته وله قدره من المال ، وسموا أشخاصًا معينين يقولون: لولا نزل على فلان! فلان معروف بالمال معروف بالثراء معروف بالمكانة ؛ فهذا يدل على عظمة الدنيا في قلوبهم وأن مقياس الأمور العظيمة يرجع إلى من أوتي الدنيا ، ولهذا رد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] ؛ هذا الذي عنده مال الله الذي أعطاه ،

والذي عنده النبوة الله الذي أعطاه النبوة ، والفضل بيد الله سبحانه وتعالى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، والله ذو الفضل العظيم ، ﴿أَهُمْ يُقْسِمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ .

قال رحمه الله :

المائة : التحكم على الله كما في الآية .

«المائة: التحكم على الله»؛ التحكم على الله في قسمه سبحانه وتعالى بين عباده ، ومن تحكمهم على الله سبحانه وتعالى ما جاء في الآية السابقة: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ لا ينزل على محمد عليه الصلاة والسلام اليتيم الفقير الذي ليس عنده مال ، هناك رجال عظماء كبار أصحاب أموال أصحاب جاه ؛ لو نزل عليهم القرآن ! فهذا تحكم على الله عز وجل ، رحمة الله عز وجل وفضله سبحانه يمن به على من يشاء ، مثل ما قال تبارك وتعالى في آخر سورة الحديد قال: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩] ، الفضل فضله والممن منه سبحانه وتعالى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [قصص: ٦٨] ، الأمر له جل وعلا . فهؤلاء من جاهليتهم التحكم على الله ، لماذا أعطى الله فلان كذا ولم يعط فلان كذا؟ تحكم على الله وقول عليه تبارك وتعالى بغير علم .

قال رحمه الله تعالى :

الحادية بعد المائة: ازدراء الفقراء فأتهم بقوله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] .

ثم ذكر هذه المسألة «ازدراء الفقراء» ازدراءهم: انتقاصهم واحتقارهم والتقليل من شأنهم ، ولهذا من ازدرائهم للفقراء طلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام أن يطرد الفقراء الذين عنده ، وقالوا إن كبرائنا وعظمائنا لا يليق بهم أن ينضموا إلى هؤلاء الفقراء ويكونون هم وإياهم شيئا واحداً ؛ فأتاهم بقوله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ .

ونكتفي بهذا القدر ، والله تعالى أعلم .

وصلّى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الدرس الحادي عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح وللسامعين في كتابه مسائل الجاهلية :
الثانية بعد المئة : رمية أتباع الرسل بعدم الإخلاص وطلب الدنيا فأجابهم بقوله ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ

مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٥٢] .

قال رحمه الله تعالى في المسألة الثانية بعد المائة من مسائل أهل الجاهلية : «رمية أتباع الرسل بعدم الإخلاص وطلب الدنيا» ؛ أي رمي أهل الجاهلة أتباع الرسل أي المتبعين للرسل من الفقراء والضعفاء ونحوهم ممن أشار المصنف رحمه الله تعالى في المسألة التي قبلها إلى أنهم يزدرونهم ويحتقروهم وينتقصونهم ، فكانوا يرمونهم بعدم الإخلاص وأنهم إنما دخلوا في دين النبي صلى الله وسلم طلباً للدنيا وطلباً للمال وطلباً للرئاسة ونحو ذلك .
قال : «رمية أتباع الرسل بعدم الإخلاص وطلب الدنيا» أي أنهم إنما أرادوا بالدخول مع النبي صلى الله عليه وسلم في دينه إنما أرادوا بذلك الدنيا لم يكونوا بذلك مخلصين .

وأورد قول الله عز وجل ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ؛ وهذه الآية أيضاً لها تعلق بالمسألة التي قبلها وهي : ازدراء هؤلاء للفقراء وانتقاصهم لهم ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، والله عز وجل أثبت هؤلاء أنهم يبتغون بهذا العمل وجه الله قال : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ ، على خلاف ما ادَّعاه فيهم أهل الجاهلية من أنهم إنما أرادوا الدنيا أو أرادوا المال أو نحو

ذلك ، فالله عز وجل رب العالمين قال في شأن هؤلاء ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وهذا هو الإخلاص .
ثم إن مقالة هؤلاء أهل الجاهلية في هؤلاء الفقراء أنهم إنما أرادوا الدنيا ؛ نية الإنسان بينه وبين الله ، وحسابه على الله تبارك وتعالى ، ولهذا قال : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ

شَيْءٌ ﴿ النوايا عِلْمُهَا عند الله تبارك وتعالى ، وتكَلَّمُ هؤلاء الجاهِلين في نوايا هؤلاء تكَلَّمُ في مالا علم لهم بِهِ ؛ وبهذا يستفاد فائدة أنه لا يجوز للإنسان أن يدخل في نوايا الناس ، النية بين الإنسان وبين ربه ، لا يطلع عليها إلا الذي يعلم ما في الصدور الخبير تبارك وتعالى ، فليس للإنسان أن يدخل في نوايا الناس كأن يقول هذا نيته فاسدة ، أو هذا نيته غير صالحة ، أو هذا لا يريد بهذا العمل إلا الرياء لا يريد وجه الله ، هذا أمر يتعلق بالنية والنية محلها القلب ، ونية الإنسان بينه وبين الله ، صَلُحَتْ أو فَسَدَتْ هي بينه وبين الله تبارك وتعالى ؛ ولهذا الذي لنا هو الظاهر وأما السرائر فالله عز وجل هو الذي يَتَوَلَّاهَا ، ولهذا الدخول في نوايا الناس هذا من أعمال أهل الجاهلية ، لا يُدْخِل في نية الإنسان ، نية الإنسان بينه وبين الله ، والله تبارك وتعالى هو المطلع وهو العليم بما في الصدور سبحانه وتعالى .

قال :

الثالثة بعد المائة : الكفر بالملائكة .

الثالثة بعد المائة من مسائل الجاهلية كفرهم بالملائكة ، والكفر بالملائكة سواء كان كفراً بهم من حيث وجود الملائكة بمعنى أن يجحد هؤلاء وجود الملائكة ، أو جحد خصائص الملائكة ، أو إعطاؤهم من الخصائص ما لا يليق بهم ، أو نحو ذلك من أنواع الكفر . وأهل الجاهلية فيهم فيما يتعلق بالملائكة أنواع من الكفر ؛ فمن الجاهليون من أنكروا الملائكة ، ومن الجاهليون من جعلوهم شركاء مع الله سبحانه وتعالى في العبادة ، ومن الجاهليون من قالوا في حقهم 'نهم بنات الله -تعالى الله عما يقولون- وكل ذلك كفراً بالملائكة ، ولا يكون مؤمناً بالملائكة إلا من آمن بهم وبأسمائهم وأوصافهم وخصائصهم ووظائفهم الواردة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه الواردة في شرائع الله ، فلا يكون مؤمناً بالملائكة إلا بذلك ، أما من جحد وجود الملائكة أو جعلهم شركاء لله أو أعطاهم من الخصائص ما لا يليق إلا بالله أو نحو ذلك فهذا كله كفر بالملائكة .

والكفر بملائكة الله عز وجل كفر بالله ، لأنه لا يستقيم إيمان العبد بالله إلا إذا آمن بما أمره الله تبارك وتعالى بالإيمان به ؛ ولهذا أضاف تبارك وتعالى الإيمان بالملائكة إلى الإيمان به في آيات ، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فأضاف الإيمان بملائكته تبارك وتعالى إلى الإيمان به ، فالإيمان بهم من الإيمان بالله ، ومن كفر بالملائكة فهو كافر بالله تبارك وتعالى .

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان وأصل من أصول الدين ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل المشهور عندما سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإيمان قال : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره)) ، وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧] فالإيمان بهم أصلاً من أصول الإيمان. والإيمان بالملائكة : هو الإيمان بأسماء الملائكة ، وأعداد الملائكة ، ووظائف الملائكة ، وأوصاف الملائكة الواردة في القرآن والسنة إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فُصِّل .

قال رحمه الله:

الرابعة بعد المائة : الكفر بالرسول .

قال «الرابعة بعد المائة: الكفر بالرسول» أي : رُسل الله عليهم صلوات الله وسلامه الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في إبلاغ دينه وبيان شرعه يتنزل عليهم وحي الله تبارك وتعالى فيبلغونه تاماً وافياً كما أمرهم الله عز وجل بذلك من غير زيادة ولا نقصان . فالكفر برسل الله تبارك وتعالى كفرٌ بالله وهو من أعمال أهل الجاهلية ، من أعمال أهل الجاهلية الكفر بالرسول وعدم الإيمان بهم ، والإيمان بالرسول أصل من أصول الإيمان، لا يكون مؤمناً بالله عز وجل من لا يؤمن برسل الله عز وجل . والرسول الإيمان بهم : هو إيمانٌ بأنهم بعثوا من الله عز وجل وأن الله هو الذي بعثهم وأرسلهم ، والإيمان بأنهم أهل صدقٍ ووفاءٍ ، وأنهم بلغوا البلاغ المبين وما تركوا خيراً إلا دلوا أمهم عليه ولا شراً إلا حذروا منه ، وأنهم جاهدوا في الله حق جهاده حتى أتاهم اليقين ، وأنهم مجتمعون على الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وإخلاص الدين له ، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ((نحن الأنبياء أبناء علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى)) أي عقائدنا واحدة أصولنا واحدة لكن الشرائع تختلف ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨] ، فالكفر بالرسول هذا من أعمال الجاهلية .

قال رحمه الله:

الخامسة بعد المائة : الكفر بالكتب .

قال : «الخامسة بعد المائة: الكفر بالكتب» أي كتب الله عز وجل المنزل على رسله الكرام ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥] ؛ فهذا من أصول الإيمان أن تؤمن بكل كتاب أنزله الله تبارك وتعالى على أي رسول ، سواء عِلِمَتْ اسم هذا الكتاب أو لم تعلمه ، أو علمت شيئاً من تفاصيل ذلك الكتاب أو لم تعلم ، لا بد من الإيمان بكل كُتُب الله تبارك وتعالى المنزل ، والإيمان بأنها حق ، وأنها تنزيل الله تبارك وتعالى ، وأنه عز وجل هو الذي تكلم بها ، وأن رسله الكرام بلغوها وافية بلا زيادة ولا نقصان ، وأنها مشتملة

على الهداية والفلاح، وأن من آمن بها وعمل بها ممن أنزلت عليهم فقد سَعِدَ في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بها فقد خسر الخُسْران المبين في الدنيا والآخرة . فالإيمان بالكُتب أصلٌ من أصول الإيمان ، وأهل الجاهلية يجحدون كتب الله عز وجل ، ويجحدون الخير الذي فيها وما اشتملت عليه ؛ من الدعوة إلى الهدى والحق والتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وغير ذلك مما اشتملت عليه كتب الله .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة بعد المائة : الإعراض عما جاء عن الله .

قال: «السادسة بعد المائة: الإعراض عما جاء عن الله» وهذا يسميه أهل العلم كفر الإعراض ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣] يعرض بقلبه وبسمعه ، لا يستمع الحق ولا يتدبر بقلبه الحق بل مُعرض عنه تماماً، لا يستمع إليه ولا أيضاً يتدبر الحق بقلبه ؛ فهو معرض بسمعه لا يعطي كلام الرسل اهتماماً فلا يسمعه ولا يتدبره، فهذا كافرٌ كفر إعراضٍ، معرضٌ عما جاءت به الرسل ، إذا نودي ودُعي لسمع كلام الرسل وما جاءوا به من الحق أعرض وصد ؛ فهذا كفرٌ كان عليه أهل الجاهلية ، يسميه أهل العلم «كفر الإعراض» .

قال رحمه الله :

السابعة بعد المائة : الكُفر باليوم الآخر .

قال: «السابعة بعد المائة: الكُفر باليوم الآخر» أي يوم القيامة وما فيه من الجزاء والحساب والجنة والنار والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى ومجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ؛ فكان في الجاهلية من يُنكر اليوم الآخر والبعث والقيام بين يدي الله تبارك وتعالى ، قال عز وجل : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنُؤْيِعَنَّهُمْ﴾ [التغابن: ٧] فكان فيهم من ينكر البعث والجزاء والحساب ، وكان فيهم من يؤمن بذلك إجمالاً وفيهم من ينكره . فإنكار البعث أو إنكار شيء من التفاصيل التي تكون يوم القيامة كُل ذلك من أعمال أهل الجاهلية وصنائعهم . والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان وأصل من أصوله العظام .

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة بعد المائة : التكذيب بِلقاء الله .

قال : «الثامنة بعد المائة: التكذيب بِلِقَاءِ اللَّهِ» وهذا من الإيمان باليوم الآخر ؛ التكذيب بِلِقَاءِ اللَّهِ: بمعنى أن العبد سيلقى الله عز وجل يوم القيامة ويقف بين يديه ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ؛ فكان في الجاهلية من ينكر لقاء الله تبارك وتعالى . ومن أنكر لقاء الله فسدت أعماله ، ومن آمن بِلِقَاءِ اللَّهِ تبارك وتعالى فإن هذا الإيمان يدفعه للاستعداد للقاء الله والوقوف بين يدي تبارك وتعالى ، ولهذا قال جل وعلا: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] ، ولهذا أيضاً يكثر في الأحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل كذا)) ؛ لأن الإيمان باليوم الآخر والإيمان بِلِقَاءِ اللَّهِ يُحرك الإنسان إلى فعل الصالحات وترك السيئات .

قال رحمه الله تعالى:

التاسعة بعد المائة : التكذيب ببعض ما أخبر به الرُّسل عن اليوم الآخر كما في قوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ [الكهف: ١٠٥] ، ومنها التكذيب بقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الناح: ٤] ، وقوله: ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَكَأُخُلَّةً وَكَأُشَقَاعَةً﴾ [البقرة: ٢٥٤] ، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]

قال رحمه الله : «التاسعة بعد المائة: التكذيب ببعض ما أخبر به الرسل عن اليوم الآخر» ؛ وهنا ينبه المصنف رحمه الله في هذه المسائل أن كفر الجاهلية متفاوت فيما يتعلق بالأمر المغيبة ، فمنهم مثلاً من يجحد وجود الملائكة أصلاً ، ومنهم من يؤمن بوجود الملائكة وينكر بعضهم أو ينكر بعض أعمالهم وخصائصهم ، فيما يتعلق باليوم الآخر منهم من يجحد اليوم الآخر ويكفر بوجود ذلك اليوم وينكر البعث ، ومنهم من يؤمن باليوم الآخر لكنه يجحد كثيراً من التفاصيل التي جاءت بها رسل الله عن اليوم الآخر ، لأن جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم دعوا أممهم إلى الإيمان باليوم الآخر ، وذكروا لهم أيضاً تفاصيل كثيرة تكون في ذلك اليوم ؛ فكان كفر الكافرين بذلك اليوم متفاوتاً ؛ منهم من جحد ذلك اليوم أصلاً وكفر بذلك اليوم ووجوده ، ومنهم من آمن باليوم الآخر وآمن بالبعث والحساب ولكنه يجحد شيئاً من التفاصيل أو جملة من التفاصيل التي تكون في ذلك اليوم العظيم . ولهذا قال هنا : «التكذيب ببعض ما أخبر به الرسل عن اليوم الآخر» ، وهذا موجود عند بعض أهل الجاهلية يكذبون ببعض ما أخبر به الرسل عن اليوم الآخر ، وضرب على ذلك جملة من الأمثلة .

قال: «كما في قوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾» خص شيئاً من اليوم الآخر بالذكر وأنهم كذبوا به وهو لقاء الله عز وجل وأن الناس في اليوم الآخر يلقون الله جل وعلا يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ؛

جحدوا ذلك ، مثل ما مر معنا في المسألة السابقة «عدم الإيمان بقاء الله» .

قال : «ومنها التكذيب بقوله ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾» ، ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب والله عز وجل هو الدّيان أي المجازي المحاسب ، ولهذا يوم القيامة يجمع تبارك وتعالى الأولين على صعيد واحد سبحانه وتعالى ويناديه بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب يقول أنا الملك أنا الدّيان؛ الدّيان: أي المجازي المحاسب الذي يُجْازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته . فمن أهل الجاهلية من أنكر ذلك وأن هناك حساب وجزاء وجنة ونار أنكروا ذلك وجحدوه ، وبعضهم جحد ذلك وجحد جملة من التفاصيل الواردة في ذلك بإسفاف ، مثل أبو جهل كما جاء في بعض كتب التفسير وبعض كتب الأخبار لما قيل له إن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [الدثر: ٣٠] أي النار عليها تسعة عشر ؛ أي من الملائكة ، على النار تسعة عشر ، فقال كلاماً معناه : وماذا يضيركم ؟ أنتم رجال ، كل عشرة من الرجال يكفوننا واحداً من هؤلاء التسعة عشر ؛ فهذا كله من التهكم والجحد للتفاصيل التي يذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لما يكون في ذلك اليوم .

وهذه التركة تركة أهل الجاهلية في الجحد لهذه التفاصيل أو الاستخفاف بها موجودة عند الطرقية وأهل الباطل وأهل الضلال ؛ أحد شيوخ الطرقية الضلال يقول لمريديه : "لا عليكم يوم القيامة أبصق على النار وتصبح حشيشاً أخضر" يستخف ويستهين بهذا الأمر ، هكذا أيضاً فيما يتعلق بالجنة والنعيم الذي فيها ؛ أهل الضلال وأهل الجاهلية يأخذون هذه الأمور مأخذ الاستخفاف والتهكم والاستهزاء. قال : «ومنها التكذيب بقوله ﴿مَالِكِ يَوْمِ

الدِّينِ﴾»

«وقوله : ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾» أيضاً هذه الحقائق التي جاء الخبر عنها في القرآن أن يوم القيامة لا بيع فيه ولا خُلَّة ولا شفاعة ، فهذا أيضاً مما يجحد به أهل الجاهلية ويتهمون به . ويوم القيامة يوم لا يبيع فيه ، عندما يأتي الإنسان يوم القيامة مفلساً من الحسنات ((أتدرون من المفلس...)) الحديث ، عندما يأتي الرجل مفلساً من الحسنات هل يجد سوقاً تباع فيه الحسنات فيشترى بها ليزيد في حسناته؟ أو هل يجد سوق يبيع فيه سيئاته فتشتري منه سيئاته وتُحْمَل عنه ؟ فيوم القيامة ليس فيه بيع وليس فيه شراء ، لا تُباع الحسنات ولا تُشْتَرى السيئات ، فمن قديم بالحسنات فقدم بخير وفاز بخير ، ومن قديم بالسيئات فقد خسر الخسران العظيم . يوم القيامة ليس فيه بيع كما قال ربنا عز وجل ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ﴾ .

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ أيضاً ليس هناك يوم القيامة خليلٌ يتحمل عن خليله سيئاته ، أو خليل يعطي خليله من حسناته ، بل كلٌ يقول "نفسي نفسي" ، ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧] ، كلٌ يقول نفسي نفسي ، لا تملك نفس لنفس شيئا ، في ذلك اليوم كلٌ مشغول

بنفسه ، كل مشغول بهول مَطلعه ، فليس في ذلك اليوم خلة .

﴿وَلَا شَفَاعَةَ﴾ الشفاعة التي نُفيت هنا هي الشفاعة التي يعتقدونها أهل الجاهلية ؛ وهي أن الناس والملائكة وغيرهم يشفعون عند الله ابتداءً لمن شاءوا بدون إذن الله ، هكذا كانوا يعتقدون ؛ يعتقدون أن الملائكة وأن الأنبياء يشفعون عند الله سبحانه وتعالى لمن شاءوا بدون إذن الله مثل ما يُشفع عند الملوك وعند الرؤساء وعند الأعيان يشفع عندهم الوجهاء يستغلون وجاهتهم فيشفعون ؛ فقاوسوا الله تبارك وتعالى بخلقه وأثبتوا الشفاعة الابتدائية للأنبياء وللملائكة وللأصنام وغيرها ، أثبتوا لهم شفاعة ابتدائية فأبطل الله ذلك قال : ﴿وَلَا شَفَاعَةَ﴾ ، وقال : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يُأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فالشاهد أن هذه العقيدة الباطلة ؛ اعتقاد هؤلاء في الشفاعة الابتدائية سواء للملائكة أو الأنبياء أو غيرهم هذا كله مما جاء إبطاله في كتاب الله عز وجل ، والقرآن أثبت الله عز وجل فيه الشفاعة بشرطين :

- الأول : إذن الله تبارك وتعالى للشافع .

- والثاني : رضاه تبارك وتعالى عن المشفوع له .

أما أن يشفع أحد عند الله تبارك وتعالى بدون إذن الله لمن شاء الشافع ممن لم يرض الله سبحانه وتعالى عمله وقوله فهذا أبطله الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم .

ثم أورد رحمه الله قول الله عز وجل : ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ؛ وهذا أيضاً مما يجحده أهل الجاهلية . ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي أن الشفاعة لا تكون إلا لمن كانت هذه صفته ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ شهد بالحق : أي بلا إله إلا الله ، وهم يعلمون : أي يعلمون معنى ما شهدوا به ، لا أن يقولوا «لا إله إلا الله» بألسنتهم قولاً مجرداً بل يقولونها عن علم ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)) فاشتراط العلم ، قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] اشتراط العلم . فلا تنفع هذه الشهادة إلا من كان شاهداً لهذه الشهادة بعلم ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ، فهذا أيضاً ممن ينكره أهل الجاهلية وهم يثبتون الشفاعة للأنبياء أو الملائكة أو غيرهم بدون إذن الله جل وعلا ولمن شاءوا سواء رضي الله سبحانه وتعالى عمل المشفوع له أو لم يرضه ؛ فجاء القرآن بإبطال ذلك ، وأثبتت الشفاعة التي هي بإذن الله تبارك وتعالى وبرضاه عز وجل عن المشفوع لهم .

قال رحمه الله :

العاشرة بعد المائة : قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

قال رحمه الله : «العاشرة بعد المائة: قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس» ؛ بالقسط : أي بالحق والإيمان والخير والعدل والهدى ؛ فكان من أعمال أهل الجاهلية أنهم يقتلون من كان يأمر بالقسط والعدل ، وقتلهم لمن يأمر بالقسط والعدل من الناس دليل على أنهم ظلمة وأنهم أهل إجرام وأهل عدوان ، وليس عندهم حُجج ، لو كان عندهم حجج لقابلوا هؤلاء بالحجج والبراهين ، ولكن لما كانوا مفلسين من الحجج والبراهين قابلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس بالقتل ؛ يقتلوهم ليتخلصوا بقتلهم من دعوتهم ، فقتلهم للذين يأمرون بالقسط من الناس دليل إفلاسهم من الحجج وأنهم ليس عندهم على أديانهم وعقائدهم أي حجة أو برهان يبرزونه ، ولهذا يقابلون دعاة الحق والهدى بقتلهم للتخلص من الحق الذي يدعون إليه .

قال رحمه الله :

الحادية عشرة بعد المائة : الإيمان بالجبت والطاغوت.

قال : «الحادية عشر بعد المائة: الإيمان بالجبت والطاغوت» ؛ إيمان هؤلاء بالجبت والطاغوت . وقيل الجبت: هو السحر ، وقيل هو: الشيطان ، وقيل يشمل هذا وذاك . والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد . فهؤلاء من جاهليتهم لإيمانهم بالجبت والطاغوت . قال تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١] ، فهذا من صنائع أهل الجاهلية لإيمانهم بالجبت والطاغوت ، كتاب الله عز وجل بينهم فيكفرون به ويكفرون ببعضه ! ثم يؤمنون بالسحر ويؤمنون بالشياطين وما تمليه عليهم من الباطل .

قال رحمه الله:

الثانية عشرة بعد المائة : تفضيل دين المشركين على دين المسلمين.

تفضيل دين المشركين على دين المؤمنين كما في الآية المتقدمة ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ

الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿١٤٦﴾ ؛ وهذا فعله اليهود ، اليهود عندما ذهبوا إلى مشركي مكة كفار قريش يتفاوضون معهم على قتال محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه ، سألهم المشركون قالوا : من أهدى سبيلا نحن أم محمد ؟ نحن نصل الرحم ونكرم الضيف ونفعل كذا ، ومحمد بدّل ديننا وغيّر وفعل ، فقال اليهود لكفار قريش : "أنتم أهدى سبيلاً من محمد" ، قالوا ذلك مع أنهم يعرفون أن كفار قريش عبّاد أصنام وأوثان ، ويعرفون أن محمداً عليه الصلاة والسلام مرسل حقاً من ربه ولكن كفروا به حسداً ، وإلا كما أخبر الله عنهم ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] ، وموجود في الكتاب الذي بين أيديهم ذكره وصفته عليه الصلاة والسلام ومبعثه وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولما سألهم كفار قريش قالوا من أهدى سبيلا نحن أم محمد ؟ قال اليهود للكفار: أنتم أهدى سبيلاً ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ أي سبيل الكفار أهدى وأفضل من سبيل أهل الإيمان ؛ فهذا من الجاهلية أن يفضّل الإنسان الباطل على الحق حسداً ، أو لكونه في نفسه شيء على صاحب الحق ، أو لغير ذلك من الأغراض ؛ فهذا كله من أعمال أهل الجاهلية .

قال رحمه الله :

الثالثة عشرة بعد المائة : لبس الحق بالباطل .

وهذا أيضاً من أعمال أهل الجاهلية ليرّوجوا من خلاله باطلهم ؛ أنهم يلبسوا الحق بالباطل ، ولبس الحق بالباطل: أي خلطه به ، لا يقدّم الباطل باطلاً خالصاً وإنما يمزجه بشيء من الحق حتى يغترّ الجهال والعوام بالحق الذي خلط بالباطل فيقبلوا الحق ؛ فهذه طريقه من طرائق أهل الجاهلية في ترويج باطلهم أنهم يخلطون الحق بالباطل ، يلبسون الحق بالباطل ، وذلك من أجل أن يروّجوا باطلهم .

قال رحمه الله :

الرابعة عشرة بعد المائة : كتمان الحق مع العلم به .

الرابعة عشرة بعد المائة من أعمال أهل الجاهلية : «كتمان الحق مع العلم به» وذلك لغرض في نفسه وهوى في فؤاده ؛ فيكتم الحق وهو عالمٌ به لكونه يخالف هوى عنده أو غرض في نفسه فيكتمه ، وهذا من أعظم وأشنع الضلال؛ أن يكون من عنده علم بالحق كاتماً للحق غير مبينٍ له ، وذلك مراعاةً لهوى نفسه فيكتم الحق الذي علمه والحق الذي بلغه من دين الله تبارك وتعالى ، يبلغه فلا يبينه للناس ويكتمه عنهم وذلك إتباعاً لهواه وتحقيقاً

لمراد نفسه، فيكنتم دين الله عز وجل وشرعه والحق الذي بلغه من دين الله للأغراض التي قامت في نفسه ؛ فهذا من أعمال أهل الجاهلية .

والشواهد على ذلك من واقعهم كثيرة ، مثل القصة المشهورة قصة الرجم ؛ لما زنى أحد اليهود بامرأة يهودية وجاءوا يتحاكمون إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام : ((ما حكم الزاني في التوراة ؟)) قالوا: حكمه أنه يؤتى ويسود وجهه وينكس على دابة ويطاف به في الأسواق ، فطالبهم النبي عليه الصلاة والسلام أن يأتوا بالتوراة حتى يُنظر هل هذا الحكم الذي قالوه موجود أم يوجد فيها حكم غيره ؟ فجيء بالتوراة ووضعت بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام ونظروا فيها ، فجاء أحدهم فوضع إصبعه على آية الرجم ، فيها أن حكم الزاني أنه يُرجم فوضع يده ؛ فهذه من طرائق هؤلاء ، الشيء الذي لا يريدونه من وحي الله ومن شرعه يكتمونونه ويذكرون للناس خلافه .

قال رحمه الله:

الخامسة عشرة بعد المائة : قاعدة الضلال وهي: القول على الله بلا علم .

«الخامسة عشر بعد المائة : قاعدة الضلال وهي القول على الله بلا علم» ؛ قوله «قاعدة الضلال» أي : ركيزة الضلال وأساسه ؛ فهذه التي هي القول على الله بلا علم هي أساس كل ضلال وأساس كل باطل . وهذه الكلمة من الشيخ رحمه الله مع وجازتها تبين لنا خطورة القول على الله بلا علم ، وأن القول على الله بلا علم هو أساس كل ضلال وركيزة كل باطل ؛ ولهذا قال هنا «قاعدة الضلال» أي التي عليها يبنى الضلال ويؤسس ، فكل ضلال وكل باطل قائم على القول على الله تبارك وتعالى بلا علم . ولهذا كان القول على الله تبارك وتعالى بلا علم أعظم المحرمات وأكبر الآثام ، ولهذا في الآية الكريمة التي جمعت المحرمات الخمس التي اتفق على تحريمها جميع الأنبياء وهي قوله سبحانه : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] هذه الآية جُمع فيها خمس محرمات اتفقت الشرائع على تحريمها ، حُتمت بأخطرها وأعظمها وهي القول على الله سبحانه وتعالى بلا علم . والقول على الله بلا علم هو سبب الشرك ، هو سبب البدع ، هو سبب الضلالات بأنواعها ، فكل ضلال وباطل قائم على هذه الركيزة ، ولهذا قال الشيخ رحمه الله تعالى : «قاعدة الضلال» هكذا وصف القول على الله بلا علم ، وصفه بأنه قاعدة الضلال أي ركيزة الضلال التي يُبنى عليها الضلال ويؤسس .

قال رحمه الله :

السادسة عشرة بعد المائة : التناقض الواضح لما كذبوا بالحق كما قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ

فِي أَمْرٍ مُرِيحٍ ﴾ [٥٠:٥] .

قال : «السادسة عشرة بعد المائة: التناقض الواضح لما كذبوا بالحق» ؛ التناقض الواضح هذا نتيجة التكذيب بالحق ، من كان مكذباً بالحق لابد أن يتناقض ، ولا يمكن أن يستقيم للإنسان قول أو ينضبط له كلام أو يجتمع له أمر إلا إذا كان مصداقاً بالحق ، ومن كذب بالحق لابد أن يتناقض ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] ؛ الذي لا يصدق بالحق ولا يؤمن به ينفطر أمره ويضطرب ويكون في أمر مُريح ، وهذه نتيجة حتمية لابد منها للتكذيب بالحق ، من كذب بالحق لابد أن يتناقض ﴿ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] ، فمن كذب بالحق لابد أن يتناقض ، ولهذا قال رحمه الله : «التناقض الواضح لما كذبوا بالحق كما قال الله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مُرِيحٍ ﴾» أي أمر مضطرب ، وهذا كما قدمت نتيجة حتمية لابد منها للتكذيب بالحق ، فمن كذب بالحق لابد أن يتناقض ، ولا يمكن أن يستقيم على أمر أو ينضبط له قول مادام أنه مكذب بالحق .

قال رحمه الله:

السابعة عشرة بعد المائة : الإيمان ببعض المنزل دون بعض.

قال: «السابعة عشرة بعد المائة: الإيمان ببعض المنزل دون بعض»؛ وهذا دليل على أنهم مُتبعين للأهواء ، إنما يتبعون أهوائهم ، ولهذا من دلائل كونهم متبعين للأهواء أنهم يفرقون بين المتماثل ، الوحي المنزل كله حق وكله هدى وكله من الله تبارك وتعالى ، فمن فرّق بين هذا الحق وهذا الهدى فأمن ببعض وكفر ببعض فهو متبع للهوى ، لو كان متبعاً للحق لآمن بالحق كله ولصدق بالمنزل كله ، فكونه يتبع ويؤمن ببعض المنزل ويكفر ببعض هذا دليل على إتباعه هواه وإتباعه للباطل ، لأن المنزل كله حق وكله وحي الله وتنزيله تبارك وتعالى ، والواجب الإيمان به كله .

قال رحمه الله:

الثامنة عشرة بعد المائة : التفريق بين الرسل .

«التفريق بين الرسل» وهذا نظير ما تقدم ؛ يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض ، وهذا من جاهلية هؤلاء لأنهم كلهم رسل الله ، وكلهم أهل حق وهدى ، وكلهم على دين واحد وعلى نهج واحد ، وكلهم أهل صدق وأهل وفاء؛ فالإيمان ببعض والكفر ببعض جاهلية ، وقد قال الله عز وجل في شأن أهل الإيمان: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] . والتكذيب برسول واحد تكذيب بالجميع ، والكفر برسول واحد كُفراً بالجميع ، من كذب برسول واحد من رسل الله فهو كافر بجميع الرسل ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥] وهم إنما كذبوا نوحاً عليه السلام ؛ فسمى تبارك وتعالى تكذيبهم لنوح وهو واحد من المرسلين تكذيباً للمرسلين كلهم ، فالتكذيب برسول واحد تكذيب بالرسل كلهم ؛ لماذا ؟ لأن الكل رسل الله وكلهم دعاة إلى شيء واحد ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ، يقول عليه الصلاة والسلام : ((نحن الأنبياء أبناء علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى)) أي عقيدتنا واحدة ، فالرسل كلهم دعاة إلى الحق والهدى ، فمن آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر بالجميع .

قال رحمه الله :

التاسعة عشرة بعد المائة : مُحَاصِمَتُهُمْ فِيمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ .

وهذا أيضاً من صنائع أهل الجاهلية ؛ المخاصمة فيما ليس لهم به علم ، أي هم أهل جدل وأهل خصومة ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] ، أهل خصومة يخاصمون ويجادلون فيما ليس لهم به علم ؛ هذه جاهلية ، ولا تزال موجودة في بعض الناس ، يُقحم نفسه ويجادل ويخاصم فيما ليس له به علم ، لكنه أوتي الجدل وأحب الجدل وأحب الخصومات ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)) ثم تلا قول الله تبارك وتعالى ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ ، فكانوا أهل الخصومة ويجادلون فيما ليس لهم به علم ، لا علم لهم بالشيء ولكنهم يخاصمون ويجادلون ؛ فهذه من خصال أهل الجاهلية .

قال رحمه الله :

العشرون بعد المائة : دعواهم إتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم.

«العشرون بعد المائة: دعواهم إتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم» ؛ دعواهم أي : زعمهم أنهم متبعين للسلف أي أنهم متبعين للأنبياء والرسل وأنهم على نهج الرسل ، مثل ما سبق مر معنا ادّعاء المشركين أنهم على نهج إبراهيم عليه السلام يدّعون ذلك ، يدّعون أنهم على نهجه وأنه هو سلفهم وأنهم متبعون له ، وإبراهيم الخليل كسر الأصنام بيده ، وهم نصبوا الأصنام عند الكعبة وفي جوفها وخالفوا إبراهيم في التوحيد وفي الحق والهدى الذي كان يدعا إليه، وفي الوقت نفسه يزعمون أنهم أتباع له! فهذه من طرائق أهل الجاهلية ؛ «دعواهم إتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم» في واقعهم وفي أعمالهم وفي أقوالهم مخالفين ، يزعمون أنهم متبعين للسلف ، وهذا أيضاً لا يزال موجود، لا يزال موجود من يدّعي أنه يتبع السلف وهو مخالف لهم في الأقوال والأعمال ، لو سئل قيل له هل أنت صاحب سنة أو صاحب بدعة ؟ يقول أنا صاحب سنة ، لكن من حيث الواقع العملي هو صاحب بدعة يمارس البدع ، لكن لا يقول أنا صاحب بدعة ، يقول "أنا صاحب سنة ، وأنا على سنة النبي صلى الله عليه وسلم" ، فيوجد في الناس من هذه طريقتة وهي من طريقة أهل الجاهلية ؛ يزعم أنه من أتباع السلف لكنه في الواقع العملي وفي حقيقة أمره مخالف لهم .

قال رحمه الله :

الحادية و العشرون بعد المائة : صدّهم عن سبيل الله من آمن به .

وهذا أيضاً من أعمال أهل الجاهلية الصد عن الحق وعن دين الله تبارك وتعالى وعن الهدى ، ويرتبون في ذلك مخططات ويمكرون مكرّاً كباراً ، وهذا موجود في قديم الزمان وحديثه ؛ صد من آمن عن الحق والهدى ، وقد ذكر الشيخ رحمه الله تعالى فيما سبق أمثلة لصد هؤلاء عن الحق والهدى ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْنَا الَّذِي آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ﴾ [آل عمران: ٧٢] ؛ هذا تخطيط للصد عن الهدى ، ولهم مثل ذلك أمور كثيرة جداً يرتبونها ويخططون من أجل صد الناس عن الحق والهدى .

قال رحمه الله :

الثانية والعشرون بعد المائة : مودتهم الكفر والكافرين.

«الثانية والعشرون بعد المائة: مودتهم» أي محبتهم وميلهم إلى «الكفر والكافرين» ؛ فهذا أيضاً مما كان عليه أهل الجاهلية ميلهم لمن كان كافراً وميلهم للكفار ، وتجانفهم وإعراضهم عن من كان مؤمناً وعن الإيمان .

قال رحمه الله :

الثالثة والعشرون بعد المائة : مودتهم الكفر لمن آمن.

هذا أيضاً من جاهلية هؤلاء ؛ من جاهلية هؤلاء : مودتهم الكفر لمن آمن ، يعني يودون من المؤمن أن يكفر بالله تبارك تعالى ، مثل ما جاء في قوله تبارك وتعالى ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩] ، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] فهذا أيضاً من الأمور التي عليها أهل الجاهلية ؛ مودتهم أن يكفر المؤمن .

قال رحمه الله :

الرابعة والعشرون بعد المائة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعشرون بعد المائة : العيافة، والطرق ، والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم إلى الطاغوت ، وكراهة التزويج بين العيدين .
والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم ذكر رحمه الله هذه المسائل من مسائل أهل الجاهلية؛ قال : «والعيافة» ؛ والعيافة : هي زجر الطير ، وكان هذا من أعمال أهل الجاهلية التشاؤم بالطير ؛ إذا أراد أحدهم أن يسافر لتجارة أو أراد أن يتزوج أو أراد أن يقوم بعمل من الأعمال زجر الطير من أماكنها ، فإذا ذهبت ذات اليمين أقدم ، وإذا ذهبت ذات الشمال أحجم ، فهذا من جاهلية هؤلاء ؛ العيافة .

قال : «والطرق» أي : الطرق بالحصى في الأرض ، وهذا يفعلونه من أجل أن يتكهنوا في الأمور التي سيقدمون عليها ، يطرقون في الأرض أو يخطون خطوطاً في الأرض بينون عليها إما الإقدام أو الإحجام ، فهذا أيضاً من أعمال أهل الجاهلية.

«والطيرة» : أي التشاؤم بالطيور برواحها ومحيئها ذات اليمين أو ذات الشمال ، أو أيضاً بأنواع من الطيور ؛ إذا أراد أحدهم أن يسافر ثم رأى في طريقه يوماً تشاءم وامتنع من السفر ، فهذا من أعمال أهل الجاهلية .

«والكهانة» : أي الذهاب إلى الكهنة والعرافين الذين يدعون معرفة الأمور ، قد قال عليه الصلاة والسلام : ((من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((إن الرقي والتمايم والتولة شرك)) ، وجاء عنه في ذلك أحاديث عديدة.

قال : «والتحاكم إلى الطاغوت» أيضاً هذا من جاهلية هؤلاء ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] ، فمن جاهلية هؤلاء التحاكم إلى الطاغوت ، والطاغوت : هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد.

ثم ختم رحمه الله هذه المسائل بالمسألة الأخيرة وهي «كراهة التزويج بين العيدين» أي عيد الفطر وعيد الأضحى ، فهذا أيضاً من جاهلية هؤلاء وهو من التشاؤم بالأوقات ، فلا يتزوجون في هذا الوقت ، وخاصة شوال الذي يأتي بعد عيد الفطر يأتي بعد رمضان هذا لا يتزوجون فيه ، ويرون أن الزواج في مثل هذا الوقت سبب لفشل الزواج ، وهذا من جاهليتهم التشاؤم بالأوقات ، الزواج في كل وقت من ليل أو نهار مباح ومشروع ولا يختص بوقت معين إلا ما جاء النهي عنه من الخطبة والنكاح حال الإحرام هذا من محظورات الإحرام ، يُمنع من عقد النكاح أو الزواج في حال إحرامه تعظيماً للإحرام . أما أهل الجاهلية فكان عندهم بعض الأوقات يمتنعون من الزواج فيها ويعتقدون أنها سبب لفشل الزواج ، ولهذا جاء في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : «تزوج بي النبي صلى الله عليه وسلم في شوال ، وبني بي في شوال ، وإني من أحظى زوجاته عنده» . ولهذا قال أهل العلم في شرح الحديث : كأنها أرادت أن ترد على من كان على ما عليه أهل الجاهلية من التشاؤم بالزواج في شهر شوال وأنه شؤم، فهي تقول النبي صلى الله عليه وسلم تزوجني في شوال وبني بي في شوال وإني من أحظى زوجاته عنده . فالشهور والأيام ليس لها علاقة ببركة الزواج أو عدم البركة ، البركة من الله عز وجل ، ومن أرادها أن يلتمس أسبابها في زواجه وفي كل أموره.

وبهذا ختم الشيخ رحمه الله تعالى المسائل التي أراد التنبيه عليها وبيانها في هذا الكتاب ، وكما جاء في المقدمة لم يقصد الشيخ رحمه الله تعالى حصر المسائل ، وإنما أراد أن يضرب على ذلك جملة من الأمثلة ، وأيضاً مراده رحمه الله تعالى بعرض هذه المسائل أن يحذر المسلم من الوقوع في هذه الأمور وهذه الخصال التي هي من أعمال الجاهلية، لاسيما وأن نبينا صلى الله عليه وسلم أخبر في الحديث الصحيح قال : ((لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً ذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) ، قال ذلك عليه الصلاة والسلام محذراً أمته ، ولا يتمكن الإنسان من تجنب خصال أهل الجاهلية إلا بمعرفتها ؛ ولهذا حذيفة بن اليمان يقول : «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الخير وكُنْتُ أسأله عن الشر مخافته» ، فمعرفتك بهذه الخصال خصال أهل الجاهلية يعتبر غنيمة لك لتجاهد نفسك على اتقاء واجتناب والبعد عن هذه الخصال .

نعوذ بالله تبارك وتعالى من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء ، ونعوذ به تبارك وتعالى من الفتن كلها ما ظهر منها وما بطن ، ونعوذ به تبارك وتعالى من أن نشرك به ونحن نعلم ونستغفره تبارك وتعالى لما لا نعلم ، ونعوذ به تبارك وتعالى من شر ما علمنا ومن شر ما لم نعلم ، ونعوذ به تبارك وتعالى من شر ما عملنا ومن شر ما لم نعمل ، ونعوذ به تبارك وتعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونعوذ به تبارك وتعالى من شر الشيطان وشركه وأن نقترف على أنفسنا سوءاً أو نجره إلى مسلم ، ونعوذ به تبارك وتعالى من الشيطان الرجيم ومن همزه ونفخه ونفثه ، ونعوذ به تبارك وتعالى من شر ما استعاذ منه عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ونسأله جل وعلا من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ، ونعوذ به من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ، ونسأله تبارك وتعالى أن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً ، وأن يصلح لنا شأننا كله ، وأن يجعل ما تعلمناه حجة لنا لا علينا إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثم ختم المصنف رحمه الله تعالى كتابه المستطاب بقوله «والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم»

والله أعلم وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .